السفينة القادرية

للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني

المتوفى سنة ٥٦١ هـ

تحتوي على:

غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر

للإمام شهاب الدين ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ

وشرح الصلاة الصغرى وتسع صلوات أخرى للجيلاني

تأليف: سيدي محمد بن أحمد المنلا رحمه الله تعالى

وشرح حزب الوسيلة للجيلاني

تأليف: سيدي محمد الأمين الكيلاني رحمه الله تعالى

وقصائد للجيلاني وأمداح قيلت فيه

جمع: سيدي محمد بن أحمد المنلا رحمه الله تعالى

علق عليها ووضع حواشيها

عبد الجليل عبد السلام



طبعة جديدة
مزيدة ومصححة ومنقحة



تحتوي على:

غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر

للإمام شهاب الدين ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ

وشرح الصلاة الصغرى وتسع صلوات أخرى للجيلاني

تأليف: سيدي محمد بن أحمد المنلا رحمه الله تعالى

وشرح حزب الوسيلة للجيلاني

تأليف: سيدي محمد الأمين الكيلاني رحمه الله تعالى

علق عليها ووضع حواشيها

عبد الجليل عبد السلام

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان

رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ ـ ٣٦٦١٣٥ ـ ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ١١ ـ ٩٤٢٤ بيروت ـ لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Etage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P.: 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3700-X



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله النبيّ العربي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الكرام المنتجبين.

وبعد،

فهذا كتاب «السفينة القادرية»، ويسمى أيضاً بـ «مجموع القادرية». ويشتمل على الصلاة الكبرى في شرح الصلاة الصغرى، وصلوات أخرى، من إنشاء الشيخ الأكبر سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، وبشرح الشيخ سيدي محمد بن أحمد الشهير بالمنلا قادري رحمه الله.

ويشتمل أيضاً على «التعليق الموسوم بالمواهب الجليّة في شرح حزب الوسيلة» للشيخ سيدي محمد الأمين الكيلاني، رحمه الله.

أما عملنا في هذا الكتاب فهو:

أولاً: حرصنا بقدر الطاقة على تنقية النص من الأخطاء، حيث وجدنا الكثير من الكلمات والألفاظ غير الواضحة أو المطموسة، والتي لم يكن من السهل توضيحها وفهمها.

ثانياً: شرحنا في حواشي الكتاب ما في متنه من غريب اللغة أو صعب المتناول منها، وذلك استناداً إلى المعاجم اللغوية المشهورة.

ثالثاً: وضعنا في حواشي الكتاب تعريفاً وافياً ـ مع ذكر المراجع ـ بالأعلام الواردة في المتن، وما أهملناه من ذلك إما معروف مشهور، ولم نجد ضرورة

لنافل القول فيه، وإما لم نهتد إليه فيما بين أيدينا من المراجع والمصادر، وقد أشرنا إلى ذلك أيضاً.

رابعاً: بذلنا ما أمكننا من الجهد في شرح المصطلحات الصوفية استناداً إلى موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي.

خامساً: خرّجنا جميع الأحاديث النبويّة والآثار، تخريجاً وافياً، وضبطنا نص الحديث استناداً إلى كتب الحديث المعتبرة.

سادساً: خرّجنا جميع الآيات القرآنية الكريمة على المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

سابعاً: أضفنا إلى الكتاب، كتاب «غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر» لابن حجر العسقلاني.

ثامناً: وضعنا ترجمة وافية للمؤلف.

تاسعاً: وضعنا مقدمة في علم التصوّف أخذناها من كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/ ٤٥٦ـ ٤٦٦).

وأخيراً، نرجو أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه تعالى، ولله الكمال وحده، وهو ولي التوفيق.

ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني

هو عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست بن أبي عبد الله بن يحيى الزاهدي بن محمد بن داود، محيي الدين، أبو محمد الجيلي، الجيلاني البغدادي، العارف بالله الصوفي الحنبلي، ولد سنة ٤٧٠هـ، ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقّه على أبي سعيد المخرمي الحنبلي، وكان قد بنى مدرسة ففوّضها إلى الشيخ عبد القادر، فكان يتكلم على الناس بها، ويعظهم، وينتفع به الناس انتفاعاً كثيراً، وكان له سمت حسن، وصمت، غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان فيه تزهد كثير وله أحوال صالحة ومكاشفات، ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات. توفي ليلة السبت ثامن شهر ربيع الآخر من سنة ٥٦٢هـ، وله تسعون سنة، ودفن بالمدرسة التي كانت له.

مؤلفاته

١ ـ تحفة المتقين وسبيل العارفين.

٢ ـ حزب الرجاء والانتهاء.

٣ ـ رسالة الغوشية.

٤ ـ الغنية في التصوّف.

٥ ـ فتوح الغيب.

٦ ـ الفيوضات الربانيّة في الأوراد القادرية.

٧ ـ الكبريت الأحمر في الصلاة على النبي ﷺ.

٨ ـ مراتب الوجود.

٩ ـ معراج لطيف المعاني.

١٠ ـ يواقيت الحكم.

وغير ذلك.

انظر ترجمته في:

١ ـ كشف الظنون ٥/ ٥٩٦.

٢ ـ الأعلام للزركلي ٤/ ٤٧.

٣ ـ النجوم الزاهرة ٥/ ٣٧١.

٤ ـ شذرات الذهب ٤/ ١٩٨.

٥ ـ الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٠٨.

٦ ـ الكواكب الدريّة ١/ ٦٧٦.

٧ ـ فوات الوفيات ٢/ ٢.

٨ ـ معجم المؤلفين ٥/ ٣٠٧.

٩ ـ هدية العارفين ١/ ٥٩٦.

١٠ ـ البداية والنهاية ١٢/ ٢٧٦.

مقدمة في علم التصوف[1]

هو التخلّق بالأخلاق الإلٰهية. وخرقة التصوف هي ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يده لأمور، منها: التزيي بزيّ المراد ليتلبّس باطنه بصفاته كما يتلبّس ظاهره بلباسه وهو لباس التقوى ظاهراً وباطناً. قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعرَاف: الآية ٢٦]. ومنها وصول بركة الشيخ الذي ألبسه من يده المباركة إليه. ومنها نيل ما يغلب على الشيخ في وقت الإلباس من الحال الذي يرى الشيخ ببصيرته النافذة المنوّرة بنور القدس وأنه يحتاج إليه لرفع حجبه العائقة وتصفية استعداده فإنه إذا وقف على حال مَنْ يتوب على يده علم بنور الحق ما يحتاج إليه، فيستنزل من الله ذلك حتى يتصف قلبه به فيسري من باطنه إلى باطن المريد. ومنها المواصلة بينه وبين الشيخ به فيبقى بينهما الاتصال القلبي والمحبة دائماً ويذكّره الإتّباع على الأوقات في طريقته وسيرته وأخلاقه وأحواله حتى يبلغ مبلغ الرجال، فإنه أبٌ حقيقي كما قال عليه الصلاة والسلام: «الآباء ثلاثة: أب ولدك، وأب علّمك، وأب ربّاك»، هكذا في الاصطلاحات الصوفية.

قيل: التصوّف الوقوف مع الآداب الشرعيّة ظاهراً، فيرى حكمها من الظاهر في الباطن، وباطناً فيرى حكمها من الباطن في الظاهر فيحصل للمتأدّب بالحكمين كمال. وقيل: التصوّف مذهب كله جدّ فلا يخلطوه بشيءٍ من الهزل. وقيل: هو تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلّق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى على الحقيقة، وإتّباع رسوله ﷺ في الشريعة. وقيل: ترك الاختيار، وقيل: بذل المجهود والأنس بالمعبود. وقيل: حفظ حواشيك من مراعاة أنفاسك.

---

(١) مأخوذة من كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي ١/٤٥٦ ـ ٤٦٦.

وقيل: الإعراض عن الاعتراض. وقيل: هو صفاء المعاملة مع الله تعالى، وأصله التفرّغ عن الدنيا. وقيل: الصبر تحت الأمر والنهي، وقيل: خدمة التشرّف وترك التكلّف واستعمال التطرّف. وقيل: الأخذ بالحقائق والكلام بالدقائق والإياس بما في أيدي الخلائق، كذا في الجرجاني.

اعلم أنه قيل: إن التصوّف مأخوذ من الصفاء وهو محمود في كل لسان، وضده الكدورة وهو مذموم في كل لسان. وفي الخبر ورد أن النبي المصطفى ﷺ قال: «ذهب صفاء الدنيا ولم يبق إلا كدرها». إذن: الموت يعتبر اليوم تحفة لكل مسلم.

وقد اشتق ذلك الاسم من الصفاء حتى صار غالباً على رجال هذه الطائفة؛ أما في عصر النبي ﷺ فكان اسم الصحابة هو ما يطلق على أكابر الأمة، ثم كانت الطبقة التالية طبقة التابعين، ثم كانت الطبقة الثالثة اتباع التابعين، ثم صار يطلق على من يعتنون بأمر الدين أكثر من غيرهم اسم الزّهاد والعبّاد، ثم بعد ظهور أهل البدع وادعائهم الزهد والعبادة انفرد أهل السنَّة بتسمية الخواص منهم ممن يراعون الأنفاس باسم الصوفية. وقد اشتهروا بهذا الاسم، حتى إنهم قالوا: إن إطلاق هذا الاسم على الأعلام إنما عُرِفَ قبل انقضاء القرن الثاني للهجرة.

وجاء في توضيح المذاهب: أما التصوّف في اللغة فهو ارتداء الصوف وهو من أثَرِ الزهد في الدنيا وترك التنعم. وفي اصطلاح أهل العرفان: تطهير القلب من محبة ما سوى الله، وتزيين الظاهر من حيث العمل والاعتقاد بالأوامر والابتعاد عن النواهي، والمواظبة على سنّة النبي ﷺ. وهؤلاء الصوفية هم أهل الحق، ولكن يوجد قسم منهم على الباطل ممن يعدّون أنفسهم صوفية وليسوا في الحقيقة منهم، وهؤلاء عدّة من الفرق إليك بعض أسمائها: الجبية والأوليائية والشمراخية والإباحية والحالية والحلولية والحورية والواقفية والمتجاهلية والمتكاسلية والإلهامية.

وما تسمية هؤلاء بالصوفية إلا من قبيل إطلاق السيد على غير السيد. وأما مراتب الناس على اختلاف درجاتهم فعلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الواصلون الكُمَّل وهم الطبقة العليا.

القسم الثاني: السالكون في طريق الكمال، وهؤلاء هم الطبقة الوسطى.

والقسم الثالث: سكان الأرض والحُفَر (أهل المادة) «اللاصقون بالتراب» وهؤلاء هم الطبقة السفلى التي غايتها تربية البدن بتحصيل الحظوظ المادية كالشهوات النفسانية والمُتع الشهوانية وزينة اللباس، وليس لهم من العبادات سوى حركة الجوارح الظاهرية.

وأما القسم الأول الواصلون فهم أيضاً قسمان:

الأول: وهم مشايخ الصوفية الذين حصَّلوا مرتبة الوصول بسبب كمال متابعتهم واقتدائهم بالنبي ﷺ. ثم بعد ذلك أذِنَ لهم بدعوة الناس إلى سلوك طريق اقتفاء النبي ﷺ.

وهؤلاء هم الكاملون والمكملون الذين وصلوا بالعناية الإلٰهية إلى ميدان البقاء بعدما فنوا عن ذواتهم واستغرقوا في عين الجمع.

وأما القسم الثاني من الفئة الأولى فهم الذين بعد وصولهم إلى درجة الكمال لم يؤذَنْ لهم بإرشاد عامة الناس، وصاروا غرقى في بحر الجمع، وفنوا في بطن حوت الفناء ولم يصلوا إلى ساحل البقاء.

وأما السالكون فيهم أيضاً قسمان:

١ ـ الطالبون لوجه الله.

٢ ـ والطالبون للجنة والآخرة.

فأما الطالبون لوجه الحق فهم طائفتان: المتصوّفة الحقيقيون والملامتِيّة. والمتصوفة الحقيقيون هم جماعة تنزَّهوا عن نقص الصفات البشرية. واتصفوا ببعض أحوال الصوفية، واقتربوا من نهايات مقاماتهم، إلا أنهم ما زالوا متشبثين ببعض أهواء النفوس، ولهذا لم يدركوا تماماً نهاية الطريق كأهل القرب من الصوفية.

وأما الملامَتِية فهم قوم يسعون بكل جد في رعاية معنى الإخلاص ودون ضرورة كتم طاعاتهم وعباداتهم عن عامة الناس. كما يكتم العاصي معصيته، فهم خوفاً من شُبْهة الرِّياء يتحرَّزون عن إظهار عباداتهم وطاعاتهم. ولا يتركون شيئاً من أعمال البر والصلاح، ومذهبهم المبالغة في تحقيق معنى الإخلاص.

وقال بعضهم: الملامتية لا يظهرون فضائلهم ولا يسترون سيئاتهم، وهذه

الطائفة نادرة الوجود. ومع ذلك لم يزل حجاب الوجود البشري عن قلوبهم تماماً، ولهذا فهم محجوبون عن مشاهدة جمال التوحيد لأنهم حين يخفون أعمالهم فهم ما زالوا ينظرون إلى قلوبهم. بينما درجة الكمال أن لا يروا أنفسهم ولا يبالوا بها وأن يستغرقوا في الوحدة. قال الشاعر:

ما هو الغير؟ وأين الغير؟ وأين صورة الغير؟ فلا والله ما ثمَّة في الوجود سوى الله. والفرق بين الملامتيّة والصوفية هو أن الصوفية جذبتهم العناية الإلٰهية عن وجودهم فألقوا حجاب الخلقة البشرية والأنانية عن بصيرة شهودهم فوصلوا إلى درجة غابوا منها عن أنفسهم وعن الخلق. فإذن الملامتية مخلِصون بكسر اللام، والصوفية مخلَصون بفتح اللام. أي أن الملامتية يخلِّصون أعمالهم من شائبة الرياء بينما الصوفية يستخلصهم الله تعالى.

وأما طلاب الآخرة فهم أربعة طوائف: الزُّهاد والفقراء والخدام والعبّاد. أما الزهاد: فهم الذين يشاهدون بنور الإيمان حقيقة الآخرة وجمال العقبى، ويعدّون الدنيا قبيحة ويعرضون عن مقتضيات النفس بالكلية، ويقصدون الجمال الأخروي.

والفرق بينهم وبين الصوفية هو أن الزاهد بسبب ميله لحظ نفسه فهو محجوب عن الحق، وذلك لأن الجنة دار فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت. بينما الصوفية لا يتعلق نظرهم بشيء سوى الله.

وأما الفقراء منهم طائفة لا يميلون إلى تملّك أي شيء من حُطام الدنيا. وذلك بسبب رغبتهم فيما عند الله. وعلّة ذلك واحد من ثلاثة أشياء: الأمل بفضل الله، أو تخفيفاً للحساب أو خوفاً من العقاب، لأن حلالها حساب وحرامها عقاب، والأمل بفضل الله ثواب ويدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام. ورغبة في جمع همّتهم في طلب العبادة مع حضور القلب فيها.

والفرق بين الملامتية والفقراء، هو أن الفقراء طلاّب للجنة وفيها حظ للنفس، بينما الملامتية طلاب الحق. وهذا الفقر رسمٌ أي عادة تأتي بعد درجة الفقر وهو مقام فوق مقام الملامتية والمتصوفة، وهو وصف خاص بالصوفي لأنه وإن تكن مرتبته وراء مرتبة الفقر لكن خلاصة مقام الفقر مندرجة فيه ذلك أن أي مقام يرتقي الصوفي فوقه فإنه يحتفظ بصفاء ذلك المقام. فإذن صفة الفقر في مقام الصوفي وصف زائد. وذلك هو السبب في كون نسبة جميع الأحوال والأعمال

والمقامات لغير نفسه وعدم تملكها، بحيث لا يرى لنفسه عملاً ولا حالاً ولا مقاماً. ولا يخصص نفسه بشيء. بل ليس عنده خبر عن ذاته، وهذه حقيقة الفقر.

والفرق بين الفقر والزهد هو أن الفقر بدون وجود الزهد ممكن، وذلك مثل شخص يترك الدنيا بعزم ثابت، ولكنه ما زال باطناً راغباً فيها. وكذلك الزهد بدون فقر ممكن أيضاً. ومثاله شخص يملك الأسباب الدنيوية ولكنه غير راغب فيها.

أما الخدام فهم طائفة اختارت خدمة الفقراء وطلاب الحق، ويشغلون أوقاتهم بعد القيام بالفرائض بمحاولة تفريغ خواطرهم من الاهتمام بأمور المعاش، والتعاون على الاستعداد للقيام بأمر المعاد. ويقدمون هذا على النوافل سواء بالكسب أو بالسؤال.

أما العُبّاد فهم طائفة تواظب على أداء الفرائض والنوافل والأوراد طلباً للثواب الأخروي. وهذا الوصف أيضاً موجود في الصوفي ولكنه يتنزَّه عن طلب الثواب والأغراض، لأن الصوفي الحق يعبد الحق لذاته.

والفرق بين العباد والزهاد هو أنهم مع قيامهم بالعبادات، فإن الرغبة بالدنيا يمكن أن تظل موجودة.

والفرق بين العباد والفقراء هو أن الغني يستطيع أن يكون من العبّاد. فإذن صار معلوماً أن الواصلين طائفتان فقط بينما السالكون هم ست طوائف ولكل واحد من هذه الطوائف الثماني اثنان متشبهان به، أحدهما محق والثاني مبطل.

أما المشبَّه بالصوفية بحق فهم الصوفية الذين اطلعوا وتشوَّقُوا إلى نهايات أحوال الصوفية، ولكنهم بسبب القلق ببعض الصفات مُنِعُوا من بلوغ مقصدهم، وأما المتشبه بالصوفية بالباطل منهم جماعة يتظاهرون بأحوال الصوفية، ولكنهم لا يعملون بأعمالهم، وهؤلاء هم الباطنية والإباحية والصاحبية، ويسمّون أنفسهم متصوّفة، ويقولون: إن التقيّد بأحكام الشرع إنما هو للعوام الذين يرون ظاهر الأمور. أما الخواص فليسوا مضطرين للتقيّد برسوم الظاهر، وإنما عليهم مراعاة أحوالهم الباطنية.

وأما المتشبِّه المحق بالمجاذيب الواصلين فهم طائفة من أهل السلوك الذين ما زالوا يجاهدون في قطع منازل السلوك وتصفية النفوس، وما زالوا مضطربين في حرارة الطلب وقبل ظهور كشف الذات، والاستقرار في مقام الفناء، فأحياناً تلمع

ذواتهم بالكشف، ولا زال باطنهم يتشوَّق لبلوغ هذا المقام.

وأما المُتشبِّه المبطل بالمجاذيب الواصلين فهم طائفة تدَّعي الاستغراق في بحر الفناء، ويتنصَّلون من حركاتهم وسكناتهم ويقولون: إن تحريك الباب بدون محرِّك غير ممكن. وهذا المعنى على صحته لكنه ليس موجوداً عند تلك الطائفة لأن هدفهم هو التمهيد للاعتذار عن المعاصي والإحالة بذلك على إرادة الحق، ودفع اللَّوم عنهم. وهؤلاء هم الزنادقة. ويقول الشيخ عبد الله التُّستري: إذا قال هذا الكلام أحد وكان ممن يراعي أحكام الشريعة ويقوم بواجبات العبودية فهو صديق وأما إذا كان لا يبالي بالمحافظة على حدود الشرع فهو زنديق.

وأما المُتشبِّه المحق بالملامتية فهم طائفة لا يبالون بتشويش نظر الناس ومعظم سعيهم في إبطال رسوم العادات والانطلاق من قيود المجتمع، وكل رأسمالهم هو فراغ البال وطيب القلب، ولا يبالون برسوم وأشكال الزهَّاد والعبَّاد ولا يكثرون من النوافل والطاعات، ويحرصون فقط على أداء الفرائض، وينسب إليهم حب الاستكثار من أسباب الدنيا ويقنعون بطيب القلب ولا يطلبون على ذلك زيادة وهؤلاء هم القلندرية. وهذه الطائفة تشبه الملامتية بسبب اشتراكهما في صفة البعد عن الرياء.

والفرق بين هؤلاء وبين الملامتية هو: أن الملامتية يؤدّون الفرائض والنوافل دون إظهارها للناس. أما القلندرية فلا يتجاوزون الفرائض، ولا يبالون بالناس سواء اطلعوا على أحوالهم أم لا.

وأما الطائفة التي في زماننا وتحمل اسم القلندرية وقد خلعوا الإسلام من ربقتِهم، وليس لهم شيء من الأوصاف السابقة، وهذا الاسم إنما يطلق عليهم من باب الاستعارة، والأجدر أن يسمّوا بالحَشْوِيّة. وأما المتشبِّهون باطلاً بالملامتيَّة فهم طائفة من الزنادقة يدعون الإسلام والإخلاص، ولكنهم يبالغون في إظهار فسقهم وفجورهم ومعاصيهم، ويدّعون أن غرضهم من ذلك هو لوم الناس لهم، وأن الله سبحانه غني عن طاعتهم، ولا تضرّه معصية العباد. وإنما المعصية تضرّ الخلق فقط والطاعة هي في الإحسان إلى الناس.

وأما المتشبّهون بالزهاد بحق فهم طائفة لا تزال رغبتها في الدنيا قائمة يحاولون الخلاص من هذه الآفة دفعة واحدة، وهؤلاء هم المتزهدون. وأما المتشبِّهون باطلاً بالزهاد فهم طائفة يتركون زينة الدنيا من أجل الناس لينالوا بذلك

الجاه والصيت لديهم، وتجوز هذه الخدعة على بعضهم فيظنونهم معرضِين عن الدنيا. وحتى إنهم يخدعون أنفسهم بأن خواطرهم غير مشغولة بطلب الدنيا، بدليل إعراضهم عنها وهؤلاء هم المُراؤُون.

وأما المتشبِّهون بالفقراء بحق فهم الذين يبدو عليهم ظاهر وسيماءُ أهل الفقر، وفي باطنهم يطلبون حقيقة الفقر، إلا أنهم لم يتخلّصوا تماماً من الميل للدنيا وزينتها ويتحمَّلون مرارة الفقر بتكلّف، بينما الفقير الحقيقي يرى الفقر نعمة إلٰهية، لذلك فهو يشكر هذه النعمة على الدوام.

وأما المتشبِّه بالباطل بالفقراء فهو ذلك الذي ظاهره ظاهر أهل الفقر وأما باطنه فغير مدرك لحقيقة الفقر، وغرضه القبول لدى الناس لكي ينتفع منهم بشيء من الدنيا، وهذه الطائفة هي مُرائِية أيضاً وأما المتشبهون بالخدام بحق فهم الذين يقومون دائماً بخدمة الخلق، ويأملون أن ينالوا بذلك سبباً في النجاة يوم القيامة. وفي تخليصهم من شوائب الميل والهوى والرِّياء. ولكنهم لما يصلوا بعد إلى حقيقة ذلك. فحين تقع بعض خدماتهم في مكانها فبسبب غلبة نور الإيمان وإخفاء النفس فإنهم يتوقَّعون المحمدة والثناء مع ذلك، وقد يمتنعون عن أداء بعض الخدمات لبعض المستحقِّين، ويقال لمثل هذا الشخص متخادم.

وأما المتشبهون بالخدام باطلاً فهم الذين لا يخدمون بنيّة الثواب الأخروي، بل إن خدمتهم من أجل الدنيا فقط، لكي يستجلبوا الأقوات والأسباب، فإن لم تنفعهم الخدمة في تحصيل مُرادهم تركوها.

إذن فخدمة أحدهم مقصورة على طلب الجاه والجلال وكثرة الأتباع، وإنما نظره في الخدمة العامة فمن أجل حظ نفسه، ومثل هذا يسمى مستخدماً.

وأما المتشبَّه بالعابد حقيقة فهو الرجل الذي ملأ أوقاته بالعبادة حتى استغرق فيها، ولكنه بسبب عدم تزكية نفسه فإن طبيعته البشرية تغلبه أحياناً، فيقع بعض الفتور في أعماله وطاعاته، ويقال لمن لم يجد بعد لذَّة العبادة وما زال يجاهد نفسه في أدائها إنه متعبِّد.

وأما المتشبِّه المبطِلُ بالعابد فهو من جمل المرائين، لأن هدفه من العبادة هو السُّمعة بين الناس، وليس في قلبه إيمان بالآخرة، وما لم ير الناس منه أعماله فلا يؤدي منها شيئاً. ويقال أيضاً لهذا وأمثاله متعبِّد. انتهى ما في توضيح المذاهب.

ويقول في مرآة الأسرار: إن طبقات الصوفية سبعة: الطالبون والمريدون والسالكون والسائرون والطائرون والواصلون، وسابعهم القطب الذي قلبه على قلب سيدنا محمد ﷺ وهو وارث العلم اللَّدُني من النبي ﷺ بين الناس، وهو صاحب لطيفة الحق الصحيحة ما عدا النبي الأمي ﷺ.

والواصل هو الشخص الذي أصبحت قواه اللطيفة مزكَّاة على لطيفة الحق.

والطائرُ هو الذي وصل إلى اللطيفة الروحية.

والسائرُ هو الذي يكون صاحب قُوىً مزكية للطيفة السرية.

والسالِكُ هو من يكون صاحب قوى مزكية للطيفة القلبية.

والمريدُ هو صاحب قوى مزكيّة للطيفته النفسية.

والطالبُ هو صاحب قوى مزكية للطيفْته الخفية الجسمية.

وتبلغ عدَّة أفراد هذه الطائفة ٣٦٠ شخصاً مثل أيام السنة الشمسية:

ويقولون: إن رجال الله هم الأقطاب والغوث والإمامان اللذان هما وزيرا القطب والأوتاد والأبدال والأخيار والأبرار والنُّقباء والنُّجباء والعُمْدة والمَكْتُومون والأفراد أي المحبوبون.

والنُّقباء ثلاثمائة شخص واسم كل منهم علي.

والنُّجباء سبعون واسم كل واحد منهم حسن.

والأخيارُ سبعة واسم كل منهم حسين.

والعُمْدة أربعة واسم كلٍّ منهم محمد.

والواحد هو الغوث واسمه عبد الله. وإذا مات الغوث حلَّ محله أحد العمدة الأربعة، ثم يحل محل العمدة واحد من الأخيار، وهكذا يحل واحد من النجباء محل واحد من الأخيار ويحل محل أحد النقباء الذي يحل محله واحد من الناس.

وأما مكان إقامة النقباء في أرض المغرب أي السويداء واليوم هناك من الصبح إلى الضحى وبقية اليوم ليل. أما صلاتهم فحين يصل الوقت فإنهم يرون الشمس بعد طيّ الأرض لهم فيؤدّون الصلاة لوقتها.

وأما النجباء فمسكنهم مصر. وأما الأخيار فهم سيّاحون دائماً ولا يقرون في مكان. وأما العمدة الأربعة ففي زوايا الأرض. وأما الغوث فمسكنه مكة، وهذا

غير صحيح. ذلك لأن حضرة السيد عبد القادر الجيلاني رحمه الله وكان غوثاً إنما أقام في بغداد. هذا وتفصيل أحوال الباقي فسيأتي في مواضعه. ويقول في توضيح المذاهب: المكتومون أربعة آلاف رجل ويبقون مستورين وليسوا من أهل التصرف. أما الذين هم من أهل الحل والعقد والتصرّف وتصدر عنهم الأمور وهم مقرَّبون من الله فهم ثلاثمائة. وفي رواية خلاصة المناقب سبعة. ويقال لهم أيضاً: أخيار وسيّاح ومقامهم في مصر. وقد أمرهم الحق سبحانه بالسياحة لإرشاد الطالبين والعابدين. وثمَّة سبعون آخرون يقال لهم النُّجباء، وهؤلاء في المغرب، وأربعون آخرون هم الأبدال ومقرّهم في الشام، وثمة سبعة هم الأبرار وهم في الحجاز. وثمة خمسة رجال يقال لهم العمدة لأنهم كالأعمدة للبناء والعالم يقوم عليهم كما يقوم المنزل على الأعمدة. وهؤلاء في أطراف العالم. وثمة أربعون آخرون هم الأوتاد الذين مدار استحكام العالم بهم. كما الطناب بالوتد. وثلاثة آخرون يقال لهم النقباء أي نقباء هذه الأمة. وثمة رجل واحد هو القطب والغوث الذي يُغيث كل العالم. ومتى انتقل القطب إلى الآخرة حل مكانه آخر من المرتبة التي قبله بالتسلسل إلى أن يحل رجل من الصلحاء والأولياء محل أحد الأربعة.

وفي كشف اللغات يقول: الأولياء عدة أقسام: ثلاثمائة منهم يقال لهم أخيار وأبرار، وأربعون يقال لهم الأبدال، وأربعة يسمّون بالأوتاد، وثلاثة يسمّون النقباء، وواحد هو المسمّى بالقطب، انتهى.

ويقول أيضاً في كشف اللغات: النُّجباء أربعون رجلاً من رجال الغيب القائمون بإصلاح أعمال الناس. ويتحملون مشاكل الناس ويتصرفون في أعمالهم. ويقول في شرح الفصوص: النجباء سبعة رجال، يقال لهم رجال الغَيْب، والنقباء ثلاثمائة ويقال لهم الأبرار. وأقل مراتب الأولياء هي مرتبة النقباء.

وأورد في مجمع السلوك: أن الأولياء أربعون رجلاً هم الأبدال، وأربعون هم النقباء، وأربعون هم النجباء، وأربعة هم الأوتاد، وسبعة هم الأمناء، وثلاثة هم الخلفاء.

وعن النبي عليه السلام أنه قال: «في هذه الأمة أربعون على خلق إبراهيم، وسبعة على خلق موسى وثلاثة على خلق عيسى وواحد على خلق محمد عليهم السلام والصلاة فهم على مراتبهم سادات الخلق».

وقال أبو عثمان المغربي: البدلاء أربعون والأمناء سبعة والخلفاء من الأئمة

ثلاثة، والواحد هو القطب: فالقطب عارف بهم جميعاً ومشرف عليهم ولم يعرفه أحد ولا يتشرف عليه، وهو إمام الأولياء والثلاثة الذين هم الخلفاء من الأئمة يعرفون السبعة ويعرفون الأربعين وهم البدلاء، والأربعون يعرفون سائر الأولياء من الأئمة ولا يعرفهم من الأولياء أحد، فإذا نقص واحد من الأربعين أبدل مكانه من الأولياء، وكذا في السبع والثلاث والواحد إلا أن يأتي بقيام الساعة، انتهى.

وفي الإنسان الكامل أما أجناس رجال الغيب فمنهم من بني آدم ومنهم من هو من أرواح العالم وهم ستة أقسام مختلفون في المقام.

القسم الأول: هم الصنف الأفضل والقوم الكُمّل أفراد الأولياء المقتفون آثار الأولياء غابوا من عالم الأكوان في الغيب المسمّى بمستوى الرحمان فلا يعرفون ولا يوصفون وهم آدميون.

والقسم الثاني: هم أهل المعاني وأرواح الأداني يتنوّر الولي بصورهم فيكلم الناس في الظاهر والباطن ويخبرهم فهم أرواح كأنهم أشباح للقوة الممكنة في التصوير في الذين سافروا من عالم الشهود ووصلوا إلى فضاء غيب الوجود فصار عينهم شهادة وأنفاسهم عبادة، هؤلاء هم أوتاد الأرض القائمون لله بالسنة والفرض.

القسم الثالث: ملائكة الإلهام والبواعث يطرقون الأولياء ويكلّمون الأصفياء لا يبرزون إلى عالم الأجسام ولا يعرفون بعوام الناس.

القسم الرابع: رجال المفاجأة في المواقع وإنما يخرجون عن عالمهم ولا يوجدون في غير عالمهم، ولا يوجدون في غير معالمهم يتصوّرون بسائر الناس في عالم الأجسام، وقد يدخل أجل الصفا إلى ذلك الكوى فيخبرونهم بالمغيبات والمكتومات.

القسم الخامس: رجال البسابس هم أهل الخطوة في العالم وهم من أجناس بني آدم يظهرون ويكلمونهم فيجيبون أكثرهم، وسكنى هؤلاء في الجبال والقفار والأودية وأطراف الأنهار إلا من كان منهم متمكناً فإنه يأخذ من المدن مسكناً غير متشوّق إليه ولا معوّل عليه.

القسم السادس: يشبهون الخواطر لا الوساوس هم المولّدون من أب التفكّر وأم التصوّر لا يعبأ بأقوالهم ولا يتشوّق إلى أمثالهم فهم بين الخطأ والصواب وهم أهل الكشف والحجاب.

غبطة الناظر
في
ترجمة الشيخ عبد القادر

تأليف
الإمام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد
ابن حجر العسقلاني
المتوفى سنة ٨٥٢ هـ

علق عليه ووضع حواشيه
عبد الجليل عبد السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القادر على تصريف مراده في تشريف أهل وداده وتفضيل بعض خلقه على بعض درجات وهو القاهر فوق عباده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة حق ترفع قدر من نصب نفسه في خدمتها إلى أن تجره إلى جنات النعيم يوم معاده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي كان في البعث خاتم أنبيائه ويوم البعث فاتح أبواب الجنان لدخول أوليائه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وأهل وداده وأوِدَّائه.

أما بعد:

فهذا تعليق موجز في ترجمة شيخ مشايخ الزمان السيد عبد القادر الجيلاني، كتبها إجابة لطلب من يتعين إسعاف طلبته والمسارعة إلى تحصيل رغبته، وقد رتبتها على ثمانية أبواب بعدد أبواب الجنة واتخذتها ذخراً لتكون لي ببركته من كل محذور أحصن جنة، وعلى الله اعتمادي وعوني وإياه أسأل عن الخطأ صوني، لا إله إلاَّ هو عليه توكلت وإليه أنيب.

الباب الأول

قال الشيخ نور الدين صاحب بهجة الأسرار: أخبرني أبو المعالي أحمد ومحمد ولدي علي بن محمد بن عبد الرزاق بن عيسى الهلالي البغدادي قال: أنبأ القاضي أبو صالح نصر بن عبد الرزاق ابن السيد الشيخ عبد القادر بن صالح جنكي دوست ابن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قلت: عبد الرزاق ولد الشيخ من الثقاة، وولده أبو صالح نصر من الثقات المستندين، وقد وقعت لنا الرواية بعلو ذكر مولده، قال ابن النجار: ولد سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، وقال غيره ممن ذكرنا من المؤرخين: ولد سنة سبعين أو في التي بعدها، وسئل الشيخ

عن مولده فقال: لا أعلم حقيقة ذلك لكني قدمت بغداد وأنا ابن ثمانية عشر سنة في السنة التي مات فيها النميمي ـ يعني شيخ الحنبلية واسمه رزق الله بن عبد الوهاب ـ وكانت وفاته في جماد الأول سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وأم الشيخ تسمى فاطمة وتكنى أم الجبار وتلقّب أم الخير، قال اليونيتي: وكان لها حظ وافر عظيم من الخير والصلاح. وقال أبو سعيد الهاشمي: كان لها قدم في هذا الأمر، وهي بنت الشيخ الزاهد أبي عبد الله الصومعي وكانت توصف بالخير والصلاح، وأسند الشنطوفي من طريق الشيخ العارف محمد الرباني القزويني قال: كان الصومعي من أجَلّ من لقيته من المشايخ، وكان مجاب الدعوة، وكان من جملة مشايخ كيلان ورؤسائهم وكان إذا غضب أصيب من أغضبه سريعاً وكانت له كرامات. وذكر موسى اليونيتي هذا النسب، وأسند الشنطوفي عن الشيخ مفرج ابن شهاب: أنه كان في مجلس السيد الشيخ عبد القادر رضي الله عنه وهو يتكلم، فقطع كلامه ودمعت عيناه وقال: ماتت أمي قال: فأرّخناه فجاء الخبر بعد مدة بأنها ماتت في ذلك الوقت، ومات أخوه عبد الله شاباً، ومات والد الشيخ وهو صغير فكفلته أمه. وأسند الشنطوفي عن نصر بن عبد الرزاق: سمعت الأكابر من مشايخ العجم وعلمائهم يروون عن آبائهم أن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه كان لا يرضع في شهر رمضان من ثدي أمه، وزاد من طريق آخر: أن الهلال غمّ عليهم فسألوا أمه فأخبرتهم أنه لم يرضع منها في ذلك اليوم، ثم ظهر بعد ذلك أن ذلك كان من شهر رمضان. زاد الشنطوفي قال: واشتهر في البلد أنه ولد للأشراف ولد لا يرضع في شهر رمضان، وكان له عمة تسمى عائشة صالحة.

فصل في صفته رضي الله تعالى عنه

قال الشيخ الموفق: كان نحيف البدن، ربع القامة، عريض الصدر واللحية طويلها، أسمر مقرون الحاجبين، له صوت جهوري، قال إبراهيم بن سعيد الداري: كان يلبس زي العلماء ويتطيلس ويركب البغلة.

الباب الثاني في نشأته المرعبة واشتغاله بالعلوم الشرعية ثم السلوك في طريق الزهدية

قال ابن النجار بالسند الماضي إليه: كتب إليّ أبو محمد عبد الله بن أبي الحسين الحياني ونقلتها من خطه، قال: حكى لنا الشيخ قال: قالت لي أمي:

امشي على بغداد واطلب العلم. قال: فخرجت من بلد إلى بلد وأنا ابن ستة عشر سنة ـ أو قال ابن ثمان عشر سنة ـ، واشتغلت بالعلم، وقال محمد بن قايد الأواني: قلت للشيخ: على ما بنيت أمرك؟ قال: على الصدق ما كذبت قط ولما كنت في الكُتّاب، قال: وقال لي: كنت صغيراً في بلدنا، فخرجت إلى السوار في يوم عرفة وتبعت بقر الحراثة فالتفتت إليّ بقرة فقالت: يا عبد القادر ما لهذا خلقت ولا بهذا أُمرت. فرجعت فزعاً إلى دارنا فصعدت السطح فرأيت الناس واقفين بعرفة، فجئت إلى أمي فقلت لها: هبيني لله لأني أرى المسير إلى بغداد لأشتغل بالعلم وأزور الصالحين، فسألتني عن ذلك فأخبرتها بما جرى فبكت وقالت لي: عندي ثمانون ديناراً كنت ورثتها من أبي فتركت لأخي أربعين وخيطت لي في دلقي تحت إبطي أربعين وأذنت لي في المشي وعاهدتني على الصدق في كل أحوالي وخرجت مودعة لي، فقالت لي: يا ولدي اذهب، فقد خرجت عنك معه وهذا وجه لا أراه إلى يوم القيامة.

فسرت مع قافلة صغيرة لطلب بغداد، فلما تجاوزنا همدان وكنا بأرض فلات فخرج علينا ستون فارساً فأخذوا القافلة ولم يتعرض لي أحد، ثم مر بي واحد منهم فقال لي: يا فقير ما معك؟ فقلت: أربعين ديناراً، فقال: وأين هي؟ قلت: مخيطة في دلقي تحت أبطي، فظن أني أستهزء به فتركني وانصرف، فمر بي واحد آخر منهم فقال لي مثل الأول فأجبته بمثله فتركني وانصرف، فاجتمعا عند مقدمهم فأخبراه بما سمعاه مني فقال: عليّ به، فأتيا به إليه وإذا هم على تل عالٍ يقتسمون أموال القافلة فقال لي: ما معك؟ قلت: أربعون ديناراً، قال: وأين هي؟ قلت: مخيطة في دلقي تحت إبطني. فأمر بدلقي ففتق فوجدها فقال لي: ما حملك على هذا؟ قلت: إن أمي عاهدتني على الصدق فأنا لا أخون عهدها، فبكى مقدمهم وقال: أنت لم تخن عهد أمك وأنا إلى اليوم كذا وكذا سنة أخون عهد ربي، فتاب على يدي، فقال له أصحابه: أنت كنت مقدمنا في قطع الطريق فأنت الآن مقدمنا في التوبة، فتابوا كلهم على يدي وردوا للقافلة ما أخذوا منهم، فهم أول من تاب على يديّ.

وقال عبد الله السلمي: سمعت الشيخ يقول: بقيت أياماً لا أستطعم فيها بطعام، فبينما أنا في محلة القطيعة الشرقية فإذا رجل قد جعل في يدي قرطاساً مصروراً وانصرف عني. فأقبلت حتى دفعتها لبعض البقالين وأخذت منه خبزاً

سميداً وخبيصاً وجئت إلى مسجد منفرد كنت أخلو فيه لإعادة الدرس، فتركت ذلك في القبلة بين يدي وأخذت أفكر: هل أكل أم لا؟ فلمحت قرطاساً مطوياً في ذلك الحائط فتناولته فإذا هي مكتوب: قال الله تعالى في بعض كتبه المنزلة السالفة: ما للأقوياء والشهوات إنما جعلت الشهوات لضعفاء المؤمنين ليستعينوا بها على الطاعات. فأخذت المنديل وتركت ما كان فيه في القبلة وصليت ركعتين وانصرفت.

قال طلحة بن مظفر العلني: قال الشيخ: أقمت مرة ببغداد في بدأ أمري عشرين يوماً ما أجد ما أقتات به ولا أجد مباحاً، فخرجت إلى إيوان كسرى أطلب مباحاً فوجدت هناك سبعين رجلاً من الصالحين كل منهم يطلب ما أطلب، فقلت: ليس من المروءة أن أزاحمهم، فرجعت إلى بغداد فلقيني رجل عرفني من أهل بلد أهلي فأعطاني قراضة وقال: هذه بعثتها أمك معي إليك، فأخذت منها قطعة لنفسي وأسرعت بالباقي إلى خراب إيوان كسرى وفرّقته على أولئك السبعين رجلاً، فقالوا لي: ما هذا؟ قلت: إنه قد جاءني هذا من عند أمي وما رأيت أن أتخصص به دونكم، ثم رجعت إلى بغداد واشتريت بالقطعة التي معي طعاماً وناديت فقراء المسلمين فأكلنا جميعاً ولم يبق معي من القراضة شيء، وكانت أمي تشتاق إليّ فتكتب إليّ الكتب بذكر شوقها إليّ وتقطع شعرها تجعله في الكتاب وتنفذه إليّ، فأكتب إليها: إن شئت تركت وجئت إليك، فتنفد إليّ: لا تجيء واشتغل بالعلم. فكنت أشتغل بالعلم بالفقه على المشايخ وأخرج إلى الصحراء فلا أُرى في بغداد وأجلس في الخراب بالنهار، وكنت ألبس جبة من صوف وعلى رأسي خريقة وكنت أمشي وأنا حافي وأنا ماشي في الشوك وغيره، وما هالني شيء، ولقد طلبتني نفسي بشهوة من شهوات السوق فكنت أضاجرها وأدخل من درب إلى درب أطلب الصحراء، فبينما أنا ذات يوم أمشي إذ رأيت رقعة ملقاة في الطريق فأخذتها فقرأتها فإذا فيها مكتوب: ما للأقوياء والشهوات إنما خلقت الشهوات للضعفاء ليتقووا بها على طاعة ربهم. فلما قرأتها خرجت تلك الشهوة من قلبي.

قال: وكنت أقتات بخرنوب الشوك وقمامة البقل وورق الخس من جانب الشط، قال: ولقد بلغت بي الضائقة في الغلاء الذي كان إذ ذاك ببغداد حتى بقيت أياماً لا آكل فيها طعاماً بل كنت أقنع بالمنبوذات، فخرجت يوماً من شدة الجوع إلى الشط لعلي أجد ورق الخس ونحوه، فما ذهبت إلى موضع إلا وجدت غيري

سبقني إليه فإن وجدت شيئاً وجدت عنه جملة من الفقراء فلا أرى بمزاحمتهم فرجعت بغير شيء فدخلت إلى مسجد يأنس وقد أجهدني الجوع وعجزت عن التماسك وقعدت في المسجد فصعدت في جانب منه وقد كدت أصافح الموت فدخل شاب ومعه خبز وشوي، فجلس يأكل، فكنت إذا رفع اللقمة أكاد أفتح فمي من شدة الجوع حتى أنكرت ذلك على نفسي وقلت: ما ها هنا إلا ما قضاه الله، إذ التفت العجمي فرآني فقال: بسم الله يا أخي، فأبيت مخالفة نفسي، فأقسم عليّ فبادرت نفسي إلى إجابته فأكلت مقتصراً فأخذ يسألني ما شغلك ومن أين أنت وبماذا تعرف؟ فقلت: أما شغلي فمتفقة وأما بلدي فمن كيلان، فقال: وأنا من كيلان فهل تعرف من كيلان رجلاً يسمى عبد القادر الكيلاني ويعرف بسبط الزاهد أبي عبد الله بن الصومعي؟ فقلت له: هو أنا، فاضطرب لذلك واحمر وجهه وقال: والله يا أخي لقد وصلت إلى بغداد ومعي نفقة لي فسألت عنك فلم يرشدني أحد إليك فنفدت نفقتي وبقيت ثلاثة أيام بعدها لا أجد شيئاً أشتري منه قوتي إلا من الذي لك معي فلما كان هذا اليوم وهو الرابع قلت: لي ثلاثة أيام لم آكل فيها وقد أحلّ لي الشرع أكل الميتة فأخذت من وديعتك ثمن هذا الخبز والشوي فكل طيباً فإنما هو لك وأنا الآن ضيفك بعد أن كان في الظاهر لي وأنت ضيفي. فسألته عن شرح ما قال، فقال: إن أمك وجهت لك معي ثمانية دنانير والله ما خنتك فيها إلا اليوم فاشتريت هذا الطعام من نفقتك وأنا معتذر إليك من خيانتي عليك، فقال: وسكنّته وطيّبت نفسه وأعطيته شيئاً من الذهب فيكون هذا برسم نفقتك فقبله مني وانصرف.

وقال: قال لي الشيخ: كنت جالساً على مكان بالصحراء أكرر الفقه وأنا في شدة من الفقر، فقال لي قائل: لم أر شخص اقترض ما تستعين به على الفقه أو العلم، فقلت: كيف أقترض وأنا فقير وليس لي شيء؟ قال: اقترض وعلينا الوفاء، قال: فجئت إلى رجل يبيع البقل فقلت له: تعاملني بشرط إذا سهل الله لي شيئاً أعطيتك وإن مت تجعلني في حل؟ قال: فبكى وقال: يا سيدي أعاملك أي شيء أردت مني فخذ، فكنت أخذ منه كل يوم رغيفاً وقليل رشاد فأقمت على ذلك مدة فضاق صدري يوماً كيف لا أقدر على شيء أعطيه، فإذا قائل يقول لي: سر إلى الموضع الفلاني فمهما رأيته على الدكة فخذه وادفعه إلى البقال واقض به دينك. فلما جئت إلى ذلك الموضع رأيت إلى الدكة فوجدت قطعة من ذهب كبيرة فأخذتها فأعطيتها له.

قال: وقال لي الشيخ: كان جماعة من أهل بغداد يشتغلون بالفقه فإذا كان أيام الغلة يخرجون إلى الرستاق يطلبون شيئاً من الغلة، فقالوا لي يوماً: اخرج معنا إلى يعقوباً نحصل شيئاً، وكنت في ضيق فخرجت معهم وكان في يعقوب رجل صالح يقال له الشريف اليعقوبي، فمضيت له لأزوره فقال لي: مريدوا الحق ـ أو قال: الصالحون ـ لا يسألون شيئاً، فما عدت إلى الخروج إلى شيء من ذلك، قال: وكنت أشتغل بالعلم وأزور الصالحين وآخذ نفسي بالمجاهدة حتى طرقني الحال، فكان يطرقني بالليل والنهار وفي الصحراء فأخرج وأهج على وجهي فلما كان ذات ليلة طرقني طارق وصرخت صرخة عظيمة فسمع العيّارون صرختي ففزعوا فجاؤوا حتى وقفوا عليّ وأنا مطروح على الأرض فعرفوني فقالوا: هذا عبد القادر المجنون أزعجنا لا ذكرك الله بخير، وكانوا يدورون حول بغداد بالليل لعلهم يرون أحداً يأخذون سلبه.

قال: وقال: لحقني الجنون وحملت إلى المارستان وطرقني الحال حتى مت وجيء بالكفن والغاسل وجعلوني على المغسل ثم سرى عني وقمت. قال: وقال لي: وقع في نفسي أن أخرج من بغداد لكثرة الفتن التي بها وأخذت مصحفي وعلقته على كتفي ومشيت إلى باب الخليقة لأخرج منه إلى باب الصحراء، فقال لي قائل: إلى أين المشي؟ ودفعني دفعة حررت منها ـ أظنه قال: على ظهري ـ قال: ارجع، فإن للناس بك منفعة. قال: فقلت: إيش يكون عليّ من الخلق! أنا أريد سلامة ديني، قال: ارجع مكانك فإن سلامة دينك في ذلك. ولم أر الشخص القائل، ثم طرقني بعد ذلك أحوال أشكلت عليّ قلت: أتمنى على الله أن يسهل لي من يكشفها، فلما كان من الغد اجتزت بالمظفرية ففتح رجل باب داره فقال لي: يا عبد القادر، قال: فجئت فوقفت عليه فقال: إيش طلبت البارحة أو بالأمس؟ فسكتُّ لا أدري ما أقول له، قال: فاغتاظ مني ودفع الباب في وجهي دفعة عظيمة حتى طار الغبار من جانب الباب في وجهي فلما مشيت قليلاً ذكرت الذي ذكره الله فيه ووقع في نفسي أنه من الصالحين. ورجعت أطلب الباب فلم أعرفه وضاق صدري، وكان ذلك الرجل من الصالحين هو الشيخ حماد الدباس ثم عرفته وصحبته وكشف لي جميع ما كان يشكل عليّ، وكنت إذا غبت عنه أطلب العلم ورجعت إليه يقول لي: إيش جابك إلينا أنت فقيه مر إلى الفقهاء، وأنا أسكت، فلما كان يوم الجمعة خرج من بغداد ومعه جماعة من أصحابه ليصلي صلاة الجمعة في جامع الرصافة وأنا معه وكان في شدة البرد في الكوانين فلما

وصلت إلى قنطرة النهر دفعني حتى رماني في الماء، فقلت: بسم الله غسل الجمعة، وكان عليّ جبة من صوف وفي كمي أجزاً فرفعت يدي حتى لا ينبل وخلّوني ومشوا فخرجت من الماء وعصرت الجبة وتبعتهم وتأذيت من البرد أزية كبيرة وضرني وكان الشيخ حماد يؤذيني أذية كبيرة ويضرني وإذا غبت عنه أطلب العلم ورجعت إليه يقول: قد جاءنا اليوم الخبز الكثير والفالوذج وأكلنا وما خبينا لك شيء، فطمع أصحابه لكثرة ما يرونه يؤذيني أذية كبيرة وجعلوا يقولون: أنت فقيه ايش اتعمل معنا وايش جاء بك إلينا، فلما رآهم الشيخ يؤذنني غار لي وقال: يا كلاب لِمَ تؤذونه والله ما فيكم مثله أحداً إنما أردت لأمتحنه فأراه جبلاً لا يتحرك.

قال: بعد مدة قدم من همدان رجل يقال له يوسف، وكان يقال له القطب، فنزل في الرباط فلما سمعت به مشيت إلى الرباط فسألت عنه فقيل لي هو في السرداب، فنزلت إليه فلما رآني قام وأجلسني وذكّرني جميع ما كان يشكل عليّ ثم قال لي: يا عبد القادر تكلم على الناس، فقلت له: يا سيدي أنا رجل أعجمي أخرس ايش أتكلم على فصحاء بغداد؟ قال لي: أنت حفظت الفقه وأصول الفقه والخلاف والنحو واللغة والتفسير ولا يصلح أن يتكلم على الناس إلا أنت، فقال لي: اصعد الكرسي وتكلم، قال الشيخ عبد القادر: وكنت أؤمر وأُنهى في المنام واليقظة.

وقال أبو السعود الحر: سمعت الشيخ عبد القادر يقول: أقمت في أصحاب العراق وخرابه مجرداً سائحاً لا أعرف الخلق ولا يعرفوني ويأتيني طوائف من رجال الغيب ومن الجن أعلمهم الطريق إلى الله تعالى، وكانت الدنيا تأتيني بصور شتى فيحميني الله من الالتفات إليها وتأتيني الشياطين في صور شتى فيقاتلونني فينصرني الله عليهم وتبرز إليّ نفسي في صور وما أخذت نفسي في البداية بطريق من طرق المجاهدات إلا ولازمته وأعنت نفسي وأخذت بكلتى يدي سنة آكل المنبوت ولا أشرب الماء وسنة أشرب الماء ولا آكل المنبوت وسنة لا آكل ولا أشرب ولا أنام، وبت في ليلة شديدة البرد في إيوان كسرى فاحتلمت فقمت إلى الشط فاغتسلت فعلت ذلك مراراً.

فصل فيما جاء في سعة علمه

قال ابن الجوزي في مرآة الزمان: كانت الفتاوى تأتي إليه من بلاد العراق وغيرهما فما كان يبيت عنده فتوى بل يكتب عليها عقيب قراءتها من غير تفكر،

وكان يفتي على مذهب الشافعي وعلى مذهب أحمد بن حنبل وتعرض أجوبته إلى العلماء فيكون تعجبهم من إسراعه، وكان كل من اشتغل بفن من الفنون مهر في ذلك الفن حتى يفوق أقرانه ويحتاج إليه. ونقل عن الأكابر أن الشيخ كان يقرأ في ثلاثة عشرة علماً وكان يبدأ في مدرسته بدرس من التفسير ودرس من الحديث ودرس من الفقه ودرس من الخلاف يقرؤوا عليه القراءات بالمرويات بعد الظهر.

وقال عبد الرزاق ابن الشيخ: جاءت فتوى من بلاد العجم إلى بغداد فعرضت على علمَائهم فلم يجيبوا عنها بشيء وهي رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه يعبد الله عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها، فأحضروها إلى والدي فكتبها على الفور يخلى له الطواف فيطوف أسبوعاً وحده فينحل يمينه فما بات المستفتي ببغداد.

وعن الخضر بن أبي العباس عن أبيه قال: رأيت في النوم سنة خمسين وخمسمائة أني في مدرسة الشيخ عبد القادر رضي الله عنه وكان فيها مكاناً عظيماً وفيه سعة من جوانبه البحر والبحر والشيخ في وسطه والناس حوله فمنهم من على رأسه عمامة ومنهم من فوق عمامته طرحة ومنهم من فوق عمامته طرحتان وفي عمامته هو ثلاث طرحات.

وعن الشيخ علي: زرت قبر الإمام أحمد رضي الله عنه فخرج من القبر وضمّ الشيخ إلى صدره وألبسه خلعة ثم قال له: قد افتقروا إليك في علم الشريعة وفي علم الحقيقة.

وقال الشيخ عمر: لما استدعيت الجان ليلة بالعزائم فأبطؤوا عليّ ثم جاؤوني فقال: لا تعد تستدعينا يوماً من مجلس الشيخ، فقلت له: وأنتم أيضاً تحضرون مجلس الشيخ عبد القادر رضي الله عنه؟ قالوا: نعم والله أسلم على يده منا جماعة ومات آخرون.

وقال عبد الوهاب ابن الشيخ: كان والدي يتكلم في الأسبوع ثلاث مرات بكرة الجمعة وعشية الثلاثة كلاهما بالمدرسة وبكرة الأحد بالرباط، وكان يحضر مجلسه العلماء والمشايخ وكان ابتداء كلامه على الناس من أول سنة إحدى وعشرين وخمسمائة فاستمر على ذلك أربعين سنة، وكان ابتداء تصدير طلبته يوم الثلاثاء والاثنين والفتوى بعد كلام بالوعظ سبع سنين وكان يحضر مجلسه أربعمائة محبرة يكتبون ما يقول، وكان يقرأ في مجلسه قارئان قراءة مرتلة بغير تلحين وكان يموت في

مجلسه جماعة، وكان يخطي على رؤوس الناس خطوات ثم يرجع إلى الكرسي.

قال عبد الوهاب أيضاً: سافرت في طلب العلوم وفتشت فلما رجعت إلى بغداد قلت لوالدي: أريد أن أتكلم على الناس بحضرتك، فأذن لي، فصعدت الكرسي وتكلمت بما شاء الله من العلوم والمواعظ فلم يخشع قلب ولم تجر دمعة فضجوا بوالدي أن يتكلم عليهم، فنزلت وصعد فقال: كنت صائماً أمس فَقَلَتْ لي أم يحيى بويضات وجعلتها في سكرجة فجاءت السود فرمت بها فانكسرت فضج أهل المجلس بالصراخ، فلما نزل قلت له في ذلك فقال: يا بني أنت مدل بسفرك أسافرت إلى هناك؟ وأشار بإصبعه إلى السماء ثم قال: يا بني إني لما صعدت الكرسي تجلى الحق على قلبي فحدثت ما سمعت فكان ما رأيت. وقال عبد الوهاب: فكنت بعد ذلك أصعد الكرسي وأتكلم على الناس بفنون العلوم ووالدي يسمع فلا يتأثر أحد ثم أنزل فيصعد فيقول: يا عويلة الشجاعة صبر ساعة، فيضجوا أهل المجلس، فكنت أسأله عن ذلك فيقول: أنت المتكلم عنك وأنا المتكلم عن غيري. وكان إذا سئل مسألة في مجلس وعظه وربما أجاب السائل بقوله حتى أستأذن في الكلام عليها ويطرق فتجلله الهيبة ويعلوه الوقار ثم يتكلم عليها بما شاء الله ويقول: وعزّة المعبود ما تكلمت حتى قيل لي: يا عبد القادر تكلم ونحن معك، يا عبد القادر تكلم نسمع منك.

وكان أبو عمر الصريقي وعبد الحق الخريمي يقولان: كان شيخنا يبكي ويقول: يا رب كيف أهدي لك روحي وقد صح بالبرهان أنها لك. وربما كان ينشد ويقول:

وما ينفع الأعراب إن لم يكن تقى ... وما ضرّ ذا تقوى لسان معجم

وذكر الشنطوفي من طريق أبي عبد الله بن أبي الفتح قال: خدمت الشيخ عبد القادر أربعين سنة فكان يصلي الصبح بوضوء العشاء ويدخل خلوته بعد العشاء فلا يخرج إلا عند طلوع الفجر، قال: وبت عنده فكان يصلي أول الليل شيئاً يسيراً ثم يذكر إلى الثلث الأول ويرتفع في الهواء إلى أن يغيب عن ناظري، ثم يصلي قائماً ويطيل السجود ثم يجلس متوجهاً مراقباً ويغشاه نور يكاد يذهب البصر. وكان يقول: فتشت الأعمال كلها فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام ولو كانت الدنيا بيدي لما اخترت على إطعام الجياع شيئاً. وكان يأمر غلامه مظفر أن يأخذ طبق الخبز لعله يعطيه من يريد العشاء. وكان يقول: أتمنى أن أكون في البراري

والصحاري كما كنت أولاً لا أرى الناس ولا يروني ولكن أراد الله بذلك منفعة الخلق وقد تاب على يدي أكثر من خمسمائة من اليهود والنصارى ومن العيارين والمفسدين أكثر من مائة ألف وهذا خير كثير، وكان إذا ولد له مولود حمله على يديه وقال: هذا ميت فيخرجه من قلبه، فإذا مات لم يؤثر فيه موته شيئاً ولهذا كان إذا مات له ولد وهو في مجلس وعظة يأمر بتجهيزه ولا يقطع كلامه في المجلس وربما كان الغاسل يغسل الميت وهو يعظ الناس فإذا فرغ أحضروا الجنازة ونزل عن كرسيه فيصلي عليه ويذهب به ويعود هو إلى ما كان عليه.

وقال عمر الكهماني: لم تكن مجالسه تخلو ممن يسلم من اليهود والنصارى أو يتوب من المسلمين من قطع الطريق أو قتل النفس وغير ذلك، قال: وأتاه راهب فأسلم على يديه ثم قال للناس: أتى رجل من أهل اليمن وأن الإسلام وقع في نفسي وقوّى عزمي على أن لا أسلم إلا على يد خير أهل اليمن في ظني وجلست متفكراً فغلب عليّ النوم فرأيت السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقول لي: يا سنان، اذهب إلى بغداد وأسلموا على يد الشيخ عبد القادر فإنه خير أهل الأرض في هذا الوقت. قال: وأتاه ثلاثة عشر رجلاً نصارى فأسلموا على يديه في مجلس وعظه قالوا: نحن من نصارى العرب أردنا الإسلام فترددنا فيمن نقصده لنسلم على يديه، فهتف بنا هاتف نسمع كلامه ولا نراه يقول: أيها الركب ذا الفلاح ائتوا بغداد وأسلموا على يد الشيخ عبد القادر فإنه يوضع في قلوبكم من الإيمان عنده ببركته ما لم يوضع فيها عند غيره من سائر الناس في هذا الوقت.

قال أبو الفرج بن الحمامي: كنت كثيراً ما أسمع عن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه أشياء أستبعد وقوعها وأنكرها وكنت بحسب ذلك أتشوق إلى لقائه، فاتفق أني قصدت إلى باب لازج لحاجة كانت لي هناك، فلما عدت مررت بمدرسة الشيخ والمؤذن يقيم الصلاة فتنبهت بالإقامة على ما كان في نفسي فقلت: أصلي العصر وأسلّم على الشيخ، وذهب عن علمي أنني من غير وضوء وصلى بنا العصر، فلما فرغ من الصلاة والدعاء أقبل عليّ قال: أي شيء لو قدمتني بالقصد على حاجتك لقضيت لك، ولكن الغفلة شاملة لك حيث قد صليت على غير وضوء وقد سهوت عن ذلك، قال: فتداخلني من العجب بحاله ما أذهبني وأذهل عقلي من كونه علم بحالي ما خفي عني وحيرتي، فمن ذلك لازمت صحبته وتعلقت بمحبته وتعرّفت بذلك شمول بركته.

فصل فيما أورده الشيخ الشنطوفي في منفرداته وتلقاه عنه من بعده

فمن ذلك ما ذكره عن جم من الأكابر أنهم قالوا: إن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه سيقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فمنهم من قال قبل مولده، ومنهم من قال بعد مولده بيسير، ومنهم من قال قبل أن يولي ومنهم من قال قبل إشهاده، فأول من نقل عنه ذلك الشيخ أبو بكر بن هوار البطايحي أنه ذكر الأولياء فقال: سوف يظهر بالعراق رجل من العجم عالي المنزلة عند الله يسمى عبد القادر ومسكنه بغداد يقول: قدمي هذه على رقبة كل وليّ لله تعالى.

وعن الشيخ عبد الله بن علي بن موسى أنه قال: في سنة أربع وستين وأربعمائة أشهدت أنه سيولد بأرض العجم مولود له مظهر عظيم بكرامات وقبول تام عند الكافة يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى.

وعن الشيخ تاج العارفين ابن أبي الوفا فيما حكاه الشيخ عثمان بن منصور عنه أنه قال: كان الشيخ عبد القادر وهو شاب يأتي إلى زيارة تاج العارفين أبي الوفا، فحين يراه ينهض ويقول لمن حضر: قوموا لولي الله تعالى، وربما مشى له خطوات فيسأل عن ذلك لما تكرر منه فقال: لهذا الشاب وقت إذا جاءه افتقر إليه الخاص والعام وكأني أراه قائلاً على رؤوس الأشهاد ببغداد يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى.

ومن طريق موسى بن شاهين الزواوي قال: سئل شيخنا عقيل المنبجي عن القطب فقال: هو الآن بمدينة مختفي لا يعرفه إلا الأولياء وسيظهر هنا، وأشار إلى العراق فتى عجمي شريف يتكلم على الناس ببغداد يعرفه الخاص والعام وهو قطب وقته، ويقول: قدمي هذه على رقبتي كل ولي لله تعالى.

ومن طريق قيس بن يونس: دخلنا على الشيخ علي بن وهب، فالتقى به جمع من الفقراء فقال لهم: من أين؟ قالوا: من كيلان، قال: إنه استمد نور الوجود بظهور رجل اسمه عبد القادر يقول ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى.

ومن طريق أبي نجيب السهرودي قال: كنت مع الشيخ حماد الدباس فسمعته يقول: لهذا العجمي قدم يعلو في وقته على رقاب كل ولي لله تعالى، ثم يرد عن أربعين شيخاً، أنهم قالوا مثل ذلك.

وقال الشيخ نور الدين الشنطوفي: أخبرنا يعقوب بن بدر أن ابن منصور

بالقاهرة سنة تسع وتسعين وستمائة قال: دخلت إلى بغداد سنة إحدى وعشرين وستمائة فقصدت زيارة نصرت بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه فسمعته يسأل عن قول جده: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى، قال: سمعت والدي وأعمامي يقولون: حضرنا المجلس الذي قال والدنا ذلك فيه وكان في ذلك المجلس أكثر من خمسين نفساً من مشايخ العراق فحنوا كلهم رقابهم ووضع الشيخ علي قدم الشيخ عبد القادر على عنقه.

بلغنا عن المشايخ المعروفين في الأمصار الذي لم يحضروا ذلك أنهم مدوا أعناقهم ولم يحضرنا عن أحد منهم أنه أنكر ذلك عليه، ثم نقل عن بعض المشايخ أن الشيخ لما قال ذلك قالت الملائكة: صدقت. وعن أبي سعيد القيلوبي أنه لما قال ذلك تجلى الحق على قلبه وجاءته خلعة من رسول الله ﷺ على يد نفر من الملائكة فألبسها بمحضر من الأولياء ممن تقدم ذكرهم ومن تأخر الأحياء بأجسامهم الأموات بأرواحهم، وكانت الملائكة ورجال الغيب حافين بمجلسه وواقفين في الهواء صفوفاً حتى سدوا الأفق ولم يبق ولي لله في الأرض حتى مد عنقه.

ثم أسند من طريق عُدَّي بن مسافر والشيخ أحمد الرفاعي أنهما قالا: لما قال الشيخ ذلك وضع ثلاثمائة ولي وسبعون ولياً أعناقهم في وقت واحد. ثم نُقِلَ عن الشيخ لؤلؤ الأرمني تفصيل عدد من فعل ذلك فقال: كان منهم بالحرمين سبعة عشر نفساً، وبالعراق مائة وستة، وبالعجم أربعة، وبالشام ثلاثون، وبمصر عشرون، وبالغرب سبعة عشر، وباليمن ثلاثة وعشرون، وبالحبشة أحد وعشرون، وبسد يأجوج ومأجوج عشرة، وبجزائر البحر المحيط سبعة وأربعون، وبوادي سرنديب أربعة وعشرون، وبجبل قاف سبعة.

ومن طريق أبي سعيد بن أبي عصرون قال: كنت وأنا شاب ببغداد في طلب العلم يرافقني في النظامية ابن السقا، فذهبنا إلى الشيخ كان يقال: أنه الغوث، فسأله ابن السقا عن مسألة مفصلة فأقبل عليه مغضباً فقال له: إني لا أرى نار الفكر تتلهب فيك، ثم التفت إليّ فقال: لتحزن عليك الدنيا إلى شحمة أذنيك، ثم قال: يا عبد القادر كأني بك ببغداد وقد جلست على الكرسي تتكلم على الناس وتقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى. فقام الشيخ علي الهيتي فصعد الكرسي وأخذ قدم الشيخ وجعلها على عنقه، ثم ساق بسنده إلى الشيخ عبد

الرحيم ابن أخت الشيخ أحمد الرفاعي أنه قال: قدمت بغداد فحضرت مجلس الشيخ عبد القادر فرأيت في حاله وفراغ قلبه وخلو سره ما أذهلني، فلما رجعت إلى أم عبيدة أخبرت خالي بذلك فقال: يا ولدي ومن يطيق مثل هذا تقوية الشيخ عبد القادر وما هو عليه وما وصل إليه.

ومن طريق سالم بن أحمد الخطاب، وكان خادم الشيخ، قال: وكان الشيخ يتكلم فخطا في الهواء خطوات وهو يقول: يا إسرائيلي قف واسمع كلام المحمدي، ثم رجع فسأل فقال: مر الخضر على مجلسي عجلاً فخطوت إليه وقلت له: ما سمعتم.

وبسنده إلى الشيخ عُدّي بن مسافر قال: أمطرت السماء يوماً والشيخ يتكلم، فتفرّق بعض المجلس فرفع رأسه فقال: أنا أجمع وأنت تفرّق، فسكن المطر واستمر يمطر حول المدرسة ولا يترك في المجلس قطرة، وبه قال: زادت دجلة حتى أشرفوا على الغرق فاستغاثوا بالشيخ، فجاء إلى الشط ومعه عكازه فوكزه وقال: إلى هنا، فنقص الماء في الحال، ثم ساق عن أبي بكر بن محمد الطحان قال: كان الشيخ يعظ تحت السماء فوقع المطر فقال: أنا أجمع وأنت تفرّق، فسكن المطر، قاله نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر قال: سمعت أبي يقول: خرج أبي إلى صلاة الجمعة وخرجت معه أنا وإخواني عبد الوهاب وعيسى، فمر بنا في الطريق ثلاثة أحمال من خمر السلطان ففاحت رائحتها ومعها الأعوان فقال لهم الشيخ: قفوا، فأسرعوا وساقوا الدواب فقال الشيخ للدواب: قفي، فوقفت فضربوها فلم تتحرك من موضعها وأخذهم القولنج فضجوا بالتوبة فزال عنهم الألم وانقلب الخمر خلاً في الحال ومشيت الدواب وعلَت الأصوات بالتسبيح، فبلغ الخبر للسلطان فبكى وارتعد وزار الشيخ.

وقال منصور بن المبارك الواسطي الملقب قال: دخلت وأنا شاب على الشيخ عبد القادر ومعي كتاب يشتمل على شيء من الفلسفة والروحانيات فقال لي قبل أن ينظر في كتابي: يا منصور بئس الرفيق كتابك قم فاغسله، فعزمت أن أجعله في بيتي ولا أحمله ولم تسمح نفسي بغسله وكان قد علق بذهني منه شيء، فقمت فنظر إليّ الشيخ فلم أستطع النهوض وصرت كالمقيد فقال: ناولني كتابك، ففتحه فإذا هو كاغد أبيض ليس فيه كتابة فأعطيته إياه فتصفح أوراقه فقال: هذا كتاب فضائل القرآن، وناولنيه، فإذا هو فضائل القرآن بأحسن خط مليح فقال لي

الشيخ: تب أن تقول بلسانك ما ليس بقلبك، وقمت وقد نسيت جميع ما كنت حفظته منه.

ونقله القطب اليوتيني في مختصر المرأة عن الشيخ أبي سعيد القيلوي قال: رأيت الأنبياء في مجلس الشيخ غير مرة لأن أرواح الأنبياء تجول بين السماء والأرض جولان الرياح في الآفاق قال: ورأيت رجال الغيب يتسابقون إلى مجلسه ورأيت الخضر يكثر من حضوره فسألته عن ذلك فقال: من أراد الفلاح فعليه بملازمته.

قال ابن أبي الفتح الهروي: حضرت يوماً مجلس الشيخ فتكلم حتى استغرق فقال: لو أراد الله أن يبعث طيراً أخضر حسن الصورة يسمع كلامي لفعل، فلم يتم كلامه حتى أقبل طير أخضر فدخل في كمه. وتكلم يوماً آخر فتداخل بعض الحاضرين مرة فقال: لو أراد الله أن يرسل طيوراً خضراً رآها كل من حضر.

وقال أبو داود البغدادي: رأيت في النوم في سنة ستمائة الشيخ معروف الكرخي تأتيه قصص الناس وهو يعرضها على الله تعالى، فقال لي: يا داود هات قصتك أعرضها على الله تعالى. فقلت: وشيخي عزلوه؟ فقال: لا والله ما عزلوه ولا يعزلوه وهات قصتك أعرضها على الله.

قال أبو الخير كرام ابن الشيخ مطر بن البادراني: لما حضرت أبي الوفاة قلت: أوصني بمن أقتدي بعدك؟ فقال: الشيخ عبد القادر، فتركته ساعة ثم أعدت عليه القول فقال: يا بني زمان يكون فيه الشيخ عبد القادر لا تقتدي إلا به. فلما مات أتيت بغداد وحضرت مجلس الشيخ عبد القادر وفيه بقاء وأبو سعيد القيلوي وعلي بن الهيتي وغيرهم من أعيان المشايخ فسمعته يقول: لست كواعظكم إنما كلامي على رجال في الهواء، ورفعت رإسي فإذا بإذائه رجال من نور على خيل من نور قد حالوا بين نظري وبين السماء من كثرتهم وهم مطرقون ومنهم من يبكي ومنهم من يرعد ومنهم من في ثيابه نار، فغشي عليّ، ثم قمت أعدو أشق الناس حتى طلعت عليه فوق الكرسي فأمسك بأذني قال: يا كرم وما اكتفيت بأول مرة من وصية أبيك؟ فأطرقت من هيبته.

قال مفرج بن شهاب الشيباني: لما اشتهر خبر الشيخ اجتمع مائة فقيه من أعيان فقهاء بغداد وأزكيائهم على أن يسألوه كل واحد مسألة من فن من العلوم غير مسألة صاحبه ليقطعوه بها، وأتوا مجلس وعظه، وكنت يومئذ فيه، فلما استقر بهم

المجلس أطرق الشيخ فظهرت من صدره بارقة من نور فمرت على صدور أولئك المائة لا تمر على أحد منهم إلا ويضطرب فصاحوا صيحة واحدة ومزقوا ثيابهم وكشفوا رؤوسهم وصعدوا إليه فوق الكرسي ووضعوا رؤوسهم على رجليه وضجّ أهل المجلس ضجة عظيمة ظننت أن بغداد رجت رجّاً فجعل الشيخ يضم إلى صدره واحداً بعد واحد حتى أتى على آخرهم ثم قال لأحدهم: إن مسألتك كذا وجوابها كذا حتى ذكر لكل واحد منهم مسألته وجوابها، فلما انقضى المجلس أتيتهم فقلت لهم: ما شأنكم؟ قالوا: لما جلسنا فقدنا جميع ما نعرفه من العلم حتى كأن لم يمر بنا قط فلما ضمنا الشيخ إلى صدره رجع إلى كل منا ما نزع منه ولقد ذكر لنا مسائلنا التي أتينا بها وذكر لنا أجوبة لا نعرفها.

قال حامد الحراني: دخلت على الشيخ في مدرسته ببغداد وجلست عنده على سجادته، فنظر إلي وقال: يا حامد لتجلس على بساط الملك. فلما رجعت إلى حران أمرني السلطان نور الدين بملازمته وقرّبني وأجلسني على بساطه وولاني الأوقاف، فكنت أتذكر قول الشيخ. قال: وتكلم يوماً في قدرة الله تعالى فحصل للحاضرين هيبة وخشوع، فمر بالمجلس طير عجيب الخلقة فشغل بعض الناس بالنظر إليه عن استماع كلام الشيخ، قال: وعزة المعبود لو شئت أن أقول لهذا الطائر مت قِطَعَاً لمات قِطَعَاً، فما تمّ كلامه حتى وقع الطائر إلى أرض المجلس قِطَعَاً.

قال المحدث أبو الفضل أحمد بن صالح بن شافع الحنبلي: كنت مع الشيخ بالمدرسة النظامية واجتمع إليه الفقهاء والفقراء، فتكلم في القضاء والقدر، فبينما هو يتكلم إذ سقطت حية عظيمة في حجره من السقف ففر كل من كان حاضراً عنده وثبت هو على حاله، فدخلت الحية تحت ثيابه ومرت على جسده وخرجت من طوقه فالتوت على عنقه فما قطع كلامه ولا تغيرت هيئته فنزلت إلى الأرض وقامت على ذنبها بين يديه فصوتت بشيء ثم ذهبت، فتراجع الناس فسألوه عما قالت؟ قال: قالت لي لقد اختبرت كثيراً من الأولياء فلم أر مثل ثباتك، فقلت لها: إنك سقطت عليّ وأنا أتكلم في القضاء والقدر وهل أنت إلا دويدة يحركك القدر ويسكنك فأردت أن أتبع قولي فعلي.

ومن طريق عبد الرزاق ابن الشيخ قال: سمعت والدي يقول: كنت في جامع المنصور أصلي فسمعت حس شيء يمشي على البوادي فجاءت أصلة عظيمة

ففتحت فاها موضع سجودي، فلما أردت السجود دفعتها بيدي وسجدت، فلما جلست للتشهد مشت على فخذي ثم طلعت على عنقي والتوت عليه فلما كان من الغد دخلت خربة بظاهر الجامع فرأيت شخصاً عيناه مشقوقتان طولاً فعلمت أنه جني فقال لي: أنا الأصلة التي رأيتها البارحة ولقد اختبرت كثيراً من الأولياء بما اختبرتك فلم يثبت لي كثباتك أحد منهم وكان منهم من اضطرب ظاهراً وباطناً ومنهم من اضطرب ظاهره ومنهم من اضطرب باطنه ورأيتك لم يضطرب ظاهرك ولا باطنك وسألني أن يتوب على يدي فتوّبته.

الباب الثالث في ذكر مشايخه في الحديث مع علو القدر والرتب في الفقه والأدب

سمع الحديث وروى عن أبي غالب محمد بن الحسن الباقلاني، وأبي بكر أحمد بن المظفر، وأبي القاسم علي بن أحمد بن بيان، وأبي محمد جعفر بن أحمد السرَّاج، وأبي سعد محمد بن عبد الملك بن حشيش، والحافظ أبي الغنائم محمد بن علي الترسي الملقب بأبي طالب، وعبد القادر بن محمد بن أبي يوسف، وأبي عثمان إسماعيل بن ملة وأبي البركات هبة الله بن محمد، وأبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن يوسف، وأبي العز محمد بن أبي بكر.

ذكر مشايخه في الفقه والأدب

تفقه على القاضي أبي سعيد المبارك بن علي المخزومي، وعلي أبي الخطاب الكلوزاني، وأبي الوفا علي بن عقيل، وأبي الحسن بن الفراء. وأخذ الأدب عن الشيخ أبي زكريا التبريزي، وعن الشيخ أحمد الدباس الزاهد وسلك على يده، وأخذ عن الشيخ يوسف بن أيوب الزاهد لما قدم بغداد في آخر عمره، وعن تاج العارفين أبو الوفا. وروى عنه أولاده عبد الوهاب وعبد الرزاق وموسى، والحفّاظ أبو سعيد السمعاني، وعمر بن علي القرشي، وعبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور، والشيخ الموفق عبد الله بن أحمد بن قدامة، والشيخ علي بن إدريس اليعقوبي، وأبو هريرة بن الوسطاني، وأكمل بن مسعود، ويحيى بن سعد الله التكريتي، وأحمد بن مطيع الباحراني، وخلائق كثير آخرهم بالسماع عبد اللطيف بن محمد بن علي القبيطي وبالإجازة الفرج بن مسلمة الدمشقي.

الباب الرابع في بيان أحواله لما تصدر للكلام على الناس بلسان الوعظ ثم بالتدريس والفتوى

ذكر ابن النجار عن الجبائي: أن الشيخ حصَّل أرض حلال وكان بعض أصحابه من أهل الرشاق يزرعها له فكان يتقوّت بما يخرج منها ويتولى طحن القمح ويخبزه بعض أصحابه، فيحضر له في كل يوم أربعة أرغفة أو خمسة فيفرّق منها لمن حضر كسرة كسرة ويرفع الباقي لقوته، وكان لا يبقي على شيء بل إذا جاءه شيء فيقول: ضعه تحت السجادة، فإذا جاء الخادم قال: ادفعه للبقال وللخباز ونحو ذلك.

وقال أبو الفرج بن الجوزي في المنتظم: كان القاضي أبو سعيد المخزومي بنى مدرسة لطيفة بباب لازج ففوضت بعده لعبد القادر، فتكلم على الناس بلسان الوعظ وظهر له صمت وسمت وضاقت المدرسة بالناس، وكان يجلس عند سور بغداد ويستند إلى الطريق ويتوب عنده في مجلسه خلق كثير، ثم عمرت المدرسة ووسعت وتعصبت العامة في ذلك فأقام فيها يدرس ويعظ.

قال ابن النجار: لما ضاقت المدرسة أضيف لها ما حولها من المنازل والأمكنة فعمروها بالناس ووسعوها وبذل الأغنياء أموالهم في عمارتها وعمل الفقراء فيها بأنفسهم وذلك في سنة خمسمائة وثمان وعشرين، وتصدى الشيخ فيها بالفتوى والتدريس والوعظ وصار يقصد بالصدقات والمبرات وصنف كتباً مفيدة في أصول الدين والتصوف.

وقال أبو سعيد بن السمعاني: كان الشيخ يسكن بباب لازج فلما فوضت له مدرسة أبي سعيد المخزومي فأراد أن يوسعها ويعمرها فكان الرجال والنساء يأتونه بالشيء فيبني حتى يعمرها، وجاءت امرأة وزوجها وكان من العملة فقالت للشيخ: هذا زوجي ولي عليه عشرون ديناراً ووهبت له النصف بشرط أن يعمل في مدرستك بالنصف الثاني وقد ارتضينا على هذا، فقبل الزوج ذلك وأحضرت المرأة الخط فسلمته للشيخ وكان يستعمل الزوج في المدرسة وكان يوماً يعطيه الأجرة ويوماً يحاسبه لعلمه بفقره إن عمل بخمسة دنانير أخرج له الخط فدفعه له.

وذكر ابن النجار عن الجنائي قال: كان يغلب على القوم ويزدحم على قلبي وإن لم أتكلم أكاد أختنق وكان يجلس عندي رجلان أو ثلاثة يسمعون كلامي

فكنت أجلس في المصلى بباب الحبلة ثم ضاق على الناس الموضع فأخرجوا الكرسي إلى داخل السور وكان الناس يجيئون على الشمع في الليل.

الباب الخامس في ثناء الناس عليه

قال الحافظ أبو سعيد السمعاني في ذيل تاريخ بغداد: كان صالحاً كثير الذكر دائم الفكر سريع الدمعة.

قال الشيخ الموفق بن قدامة: لم أسمع عن أحد يحكي عنه من الكرامات أكثر مما يُحكى عنه ولا رأيت أحد يعظمّه الناس من أجل الدين أكثر منه.

وذكر الشنطوفي عن الشيخ العماد محمد بن إبراهيم المودي أنه سمع الشيخ الموفق يقول: كان الشيخ عبد القادر ممن انتهت إليه الرئاسة علمَاً وعملاً وحالاً وفتيّا، وكان يكفي الطالب العلم واجتمع فيه من العلوم والصبر على الوظيفة المستمرة في العمل وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة وما رأيت بعده مثله.

وأخبرنا أبو هريرة: أن الحافظ شمس الدين الذهبي قال: أجاز لنا غير مرة عن أبيه، سمعت الحافظ شرف الدين اليونيف، سمعت الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول: ما نقلت إلينا كرامات أحد بالتواتر إلا الشيخ عبد القادر، فقيل: قد ارتكب هذا القائل في حق الشيخ عبد القادر من سوء الأدب ما لا مزيد عليه ولا شك أنه جهنمي ولم يحصل من الشيخ عز الدين إنصاف في الجواب له هذا مع اعتقاده، فقال: لازم المذهب ليس بمذهب.

وقال الحافظ محب الدين بن النجار في ذيل تاريخ بغداد: عبد القادر بن أبي صالح بن جنكي دوست الزاهد، أحد أئمة الإسلام العاملين بعلمهم وصاحب الكرامات الظاهرة، إلى أن قال: ثم لازم الانقطاع والخلوة والرياضة والسياحة والمجاهدة الشديدة ومخالفة النفس وملازمة السهر إلى أن أظهره الله للخلق وأوقع له القبول العظيم عند الخاصة والعامة، وأظهر الله الحكم من قلبه على لسانه، وظهرت ولايته وإمارات قربه من الله تعالى. وساق الكلام في ذلك.

قال أبو المظفر يوسف سبط بن الجوزي في تاريخه مرآة الزمان: عبد القادر ونسبه إلى أن قال: كان سكوته أكثر من كلامه وكان يتكلم على الخواطر فظهر له صيت عظيم وقبول تام وما كان يخرج من مدرسته إلا في الجمعة أو في الرباط،

وتاب على يديه أهل بغداد وأسلم أكثر اليهود والنصارى، وكان يصدع بالحق على المنبر وكانت له كرامات ظاهرة أدركه جماعة يحكون منها جملة.

أنبأنا أبو الحسن بن أبي المجد عن أبي الفضل بن ظاهر: أنبأنا عبد الرحمان بن نجم قال: حكى شيخنا أبو الحسن بن عربية: أن الوزير أبا المظفر يحيى بن هبيرة قال له: أن الخليفة شكى لي من عبد القادر قال إنه يستخف بي ويذكرني وله نخلة في رباطه يكلمها ويقول لها: يا نخيلة لا تتعدي أقطع رأسك، وإنما يشير إليّ فتمضي إليه وتقول له بخلوة: إنه لا يحسن بك أن تتعرض للإمام أصلاً وأنت تعرف حرمة الخلافة.

قال أبو الحسن: فذهبت إليه فوجدت عنده جماعة فجلست أنتظر معه خلوة، فسمعته يتحدث ويقول في أثناء كلامه: نعم أقطع رأسها، فعلمت وعرفت أنه أشار إليّ، فقمت ذاهباً فقال لي الوزير: بلّغت الشيخ؟ فقلت له جميع ما جرى، فبكى وقال: لا يُشك في صلاحه.

وقال: لما تولّى المتقي القاضي ابن المرحم القضاء قال الشيخ عبد القادر على المنبر: وليّت على المسلمين أظلم الظالمين ما جوابك غداً عند رب العالمين؟.

قال الشيخ المعمر المعروف بجراده: ما رأت عيناي أحسن خلقاً ولا أوسع صدراً ولا أكرم نفساً ولا أعطف قلباً ولا أحفظ عهداً من الشيخ عبد القادر، وكان مع جلالة قدره وعلوّ منزلته وسعة علمه يقف مع الصغير ويوقر الكبير ويبدأ بالسلام ويجالس الضعيف ويتواضع للفقراء ويتعاظم على الرفعاء فما كان يقوم لأحد من العظماء ولا الأعيان ولا أتى بباب وزير ولا سلطان.

وقال محمد بن الخضر عن أبيه، قال: خدمته ثلاثة عشرة سنة فما رأيته امتخط ولا تنخم ولا قعدت عليه ذبابة ولا قام لأحد ولا جلس على بساط ملك ولا أكل لهم طعاماً، وكان إذا كاتب الخليفة يكتب عبد القادر يأمرك بكذا وطاعته واجبة عليك، فإذا وقف الخليفة على ورقته بكا.

وقال: صدقت. وقال أحمد بن مطيع الباجرامي كان الشيخ في عصره يعظمه مشايخ الوقت من العظماء والزهاد، وكان ابتداء ظهوره للناس بعد العشرين وخمسمائة فحصل له القبول التام واعتقدوا صلاحه وانتفعوا بكلامه وانتصر أهل

السنة واشتهرت أقواله وهابته الملوك ومن دونهم.

وقال محمد بن الخضر السنجاري: سمعت أبي يقول: كان يعد من كرامات الشيخ عبد القادر أن من في أقصى مجلسه يسمع كلامه كما يسمع أدناهم مع كثرتهم، وكان يتكلم على خواطر أهل مجلسه ويواجههم بالكشف وإذا قام قاموا إجلالاً له، وإذا قال لهم: اسكتوا، لم يسمع لهم حس سوى أنفاسهم. وذكر أن منهم من كان يضع يده في مجلسه فيدرك باللمس من لا يراه وربما سمعوا وجبة عظيمة من الجو إلى أرض المجلس.

وقال الحافظ محمد الذهبي في تاريخ الإسلام: عبد القادر، وساق النسب إلى أن قال: الجيلي الحنبلي صاحب الكرامات والمقام وشيخ الحنابلة، إلى أن قال: وكان عديم النظير بعيد الصيت راسخاً في العمل والعلم.

وقال الحافظ زين الدين بن رجب في ذيل الطبقات: سيد الحنابلة عبد القادر شيخ العصر وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة في وقته، صاحب المقامات، إلى أن قال: وحصل له القبول التام واعتقدوا صلاحه وديانته وانتفعوا بوعظه وانتصر به أهل السنة واشتهرت أحواله وكراماته وكان معظماً في عصره عند مشايخ الوقت من العلماء والزهاد، وكان يتوب عنده في مجلسه خلق كثير.

وحكى أحمد بن مطيع الباجرامي قال: جئت للشيخ مرة فانتهرني وقال: قم، فمضيت فلحقني شخص من عنده فرجعت فقال: لما انتهرتك كنت ضجراً فنمت فرأيت النبي ﷺ فقال لي: أنت معلم الخير لا تضجر، أعادها ثلاثاً ثم أقرأني ما أردت.

قال الذهبي في تاريخ الإسلام: أنبأنا أبو بكر بن طرخان أن الشيخ الموفق أخبرهم قال: أدركناه ـ يعني الشيخ عبد القادر ـ في آخر عمره، فأسكننا في مدرسة وربما أرسل لنا ابنه يحيى فيسرج لنا السروج وربما يرسل لنا طعاماً من منزله، وكان يصلي بنا الفريضة إماماً وكنت أقرأ عليه من حفظي غدوة ويقرأ عليه الحافظ عبد الغني من كتاب الهداية، وما كان يقرأ عليه في ذلك الوقت غيرنا. فأقمنا عنده شهراً وتسعة أيام ثم مات وصلينا عليه في مدرسته، ولم أسمع أحداً يحكي عنه من الكرامات أكثر منه ولا رأيت أحد يعظم من أجل الدين أكثر منه فهذا السند إلى الموفق موثوق.

وقد زعم الشنطوفي أنه سمع العماد وأبا بكر محمد بن إبراهيم، وهو ابن أخي الحافظ عبد الغني، يقول: أنه أول ما عقد مجلس الوعظ في سنة إحدى وعشرين، وأنه تصدر للفتوى والتدريس والوعظ لما كملت المدرسة في سنة ثمان وعشرين وصار يقصد بالنذور والزيارة وحدث بكثير مروياته وصنّف كتباً في أصول الدين وكان له كلام على لسان أهل الحقيقة.

ثم نقل عن عبد الله بن أبي الحسين الجنائي أنه قال: كان للشيخ تلميذ يقال له عمر الحلاوي، فخرج من بغداد فغاب سنين فلما رجع قلت له: أين كنت؟ قال: طفت بلاد الشام ومصر والمغرب، وأظن أنه قال: وبلاد العجم، ولقيت ثلاثمائة وستين شيخاً من الأولياء فما منهم إلا قال الشيخ عبد القادر شيخنا وطريقنا إلى الله تعالى.

الباب السادس فيما نقله أهل عصره من الكرامات والخوارق وبالسند إلى الحافظ محيي الدين بن النجار

وقال: كتب إليّ أبو محمد عبد الله بن أبي الحسن علي الجبائي قال: كان الشيخ يتكلم في الإخلاص والرياء والعجب وأنا حاضر فحضر في نفسي كيف الخلاص من العجب، فالتفت إليّ الشيخ وقال: إذا رأيت الأشياء من الله وإن وفقك لفعل الخير وأخرجت نفسك من البين سلمت من العجب، قال: وكتب إليّ وقال: إذا أردت الانقطاع فلا تنقطع حتى تتفقه في مجالس الشيوخ وتتأدب بهم فحينئذ يحصل لك الانقطاع وإلا فتمضي فتنقطع قبل أن تتفقه وأنت فريخ ما ريشت فإذا أشكل عليك شيء من أمر دينك خرجت من زاويتك تسأل عن أمر دينك وإنما يصح لصاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يستضاء بنوره.

وقال ابن النجار: بلغني عن أبي نصر الربتني القاضي قال: عزمت على أن أقصد الشيخ عبد القادر وأسأله أن يدعو لي أن يكفيني الله شر جماعة يؤذونني، فاتفق أني لقيته في باب جامع القصر فأردت أن أقول له ذلك، فنظر إليّ وتبسم وقال: فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم، فأغناني عن السؤال.

قال: ونقلت من خطه: كان رجلاً من أهل جيلان مقيماً في مدرسة الشيخ وتفقه عليه قال: كانوا إذا أذّن الظهر يتسابقون في القراءة عليه ويضع السابق كتابه عند سجادة الشيخ ويأخذ بالسبق فإذا صلى الظهر قرأ به قال: وكنت قد نمت قبل

الظهر فاحتلمت وانتبهت عند أذان الظهر فقلت: إيش أعمل إن مشيت واغتسلت فاتني السبق، فأخذت الكتاب ووضعته عند سجادة الشيخ، فلما صلى الظهر جلست بين يديه وأخذت الكتاب لأقرأ فصاح عليّ وقال: قم، فمضيت واغتسلت.

وعن الخضر بن عبد الله بن يحيى الموصلي: أنبأنا أبي قال: كنا بمدرسة الشيخ فدخل عليه الخليفة المستنجد فاسترضاه ووضع بين يديه عشرة أكياس يحملها عشرة، فأبى أن يقبلها وقال: لا حاجة لي فيها، فألح عليه القول فأخذ منها كيساً بيمينه وكيساً بيساره وغصرهما بيده فسالا دماً فقال له: يا أبا المظفر أما تستحي تأخذ دماء الناس تقابلني بها، فغشي عليه فقال: لولا حرمة اتصالك برسول الله ﷺ لتركت الدم يجري إلى منزلك.

قال: ورأيته عنده يوماً فقال: أريد أن أرى شيئاً، فقال: ما تشتهي؟ قال: تفاح، فمد يده في الهواء فأخذ تفاحتين فناوله إحداهما وكسر الأخرى ففاح منها ريح المسك وكسر المستنجد تفاحته فإذا فيها دودة فقال: ما هذا؟ قال: هذه لمستها يد الظالم فدودّت.

ومن طريق إبراهيم بن علي الطري قال: لما اشتهر حال الشيخ قصدوه بالزيارة من البلاد فجاء إلى زيارته ثلاثة من المشايخ فدخلوا عليه في المدرسة فوجدوه جالساً وفي يده كتاب وخادم واقف بين يديه والإبريق موجهاً إلى غير القبلة، فنظر بعضهم إلى بعض نظرة الإنكار، فنظر الشيخ إلى الخادم فخرّ ميتاً.

قال: وأخبرنا أبو البقاء العكبري قال: سمعت يحيى بن نجاح الأديب يقول في نفسي أريد أحصي كم يقص الشيخ عبد القادر شعراً ومن يتوب في مجلس وعظه، فحضرت المجلس ومعي خيط، فلما قصّ شعراً عقدت عقدة تحت ثيابي وأنا في آخر الناس فإذا به يقول: أنا أحلّ وأنت تعقد.

وأخبرني أبو عبد الله الشاهد عن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر: سمعت أبا البقاء بن أبي البركات النهرملكي يقول: قال لي رجل من أصدقائي: كنت سمعت عبد القادر لا يقع عليه ذباب ثم أتيت يوم الجمعة إلى مجلسه فالتفت إلى ناحيتنا وقال: إيش تعمل الذباب عند لا دبس الدنيا ولا عسل الآخرة؟.

قال: وسمعت عبد الملك يقول: يقول أبا محمد بن الخشاب النحوي:

كنت وأنا شاب أقرأ النحو وأسمع الناس يصفون الشيخ عبد القادر ويذكرون حسن كلامه، فكنت أريد أن أسمعه فلا يتسع وقت لذلك، فاتفق أني حضرت يوماً مجلسه مع الناس فلما تكلم لم أستحسن كلامه ولم أفهمه كما ينبغي، فقلت في نفسي: ضاع اليوم مني، قال: فالتفت الشيخ إلى الجهة التي كنت فيها فقال: ويلك تفضل الاشتغال بالنحو على مجالس الذكر وتختار ذلك أصبحنا نصيرك.

قال: وقال عمر بن حسين بن خليل الطيبي: حضرت مجلس الشيخ عبد القادر وكنت قاعداً محاذي وجهه فرأيت شيئاً على هيئة القنديل البلور نزل من السماء إلى أن قارب فمه ثم عاد سريعاً هكذا ثلاث مرات، فأردت أن أقول له فقال المجلس بالأمانة فسكت.

قال: حدثني علي بن أحمد بن ملاعب الفوارس وكان صدوقاً قال: حضرت مع جماعة تقصد الشيخ عبد القادر ليدعو لهم في مهم ومن جملة الجماعة رجل عازب سيىء الطريقة لا يزال جنباً ولا يتطهر من شيء، فلما حضروا عند الشيخ ذكروا حاجتهم فدعا لهم فتقدم أولهم فقبل يده والجماعة كذلك إلى أن جاء ذلك الصبي فلما أراد أن يقَّبل يده أدخل الشيخ يده في كمه فقبلها ثم جاء بعده رجل فأخرج الشيخ يده من كمه وناولها للرجل واستمر كذلك إلى أن دخل منزله.

ونقل عن أبي بكر العمري قال: كنت في أول أمري جمّالاً بطريق مكة فاتفق أن جلاً حج معي من جيلان، فمرض في الطريق، فلما أحس بالموت قال لي: خذ هذه الخرقة وفيها عشرة دنانير وهذا الكسا وسلِّم على الشيخ عبد القادر وقل له يترحم عليّ، ثم مات فطمعت في الذهب لأنه لم يطّلع أحد من الناس. فبينما أنا في بعض الأيام أمشي فإذا أنا بالشيخ عبد القادر قد أقبل من تلقاء وجهي فبادرت بالسلام عليه وصافحته فقبض على يدي قبضاً شديداً وقال لي: أي مسلم لأجل عشرة دنانير وكسا خنت الله وأمانة ذلك العجمي؟ قال: فوقعت مغشياً عليّ. فمضى الشيخ وتركني، فلما أفقت أخذت الذهب والكسا فحملتها إليه.

وقال أبو الفتح أحمد بن المظفر ابن الوزير أبي المظفر يحيى بن هبيرة قال: سألت جدي الوزير أن يأذن لي في زيارة الشيخ عبد القادر فأذن لي وأعطاني مبلغاً من الذهب وأمرني أن أدفعه إليه وأبتدىء بالسلام عليه، قال: فحضرت مجلسه فلما انفض ونزل عن المنبر فتخرجت من دفع الذهب إليه في ذلك الجمع ونويت أن أدخل إلى زاويته وأسلمه له في خلوة فبادرني الشيخ سابقاً لفكري وقال: هات

ما معك ولا عليك من الناس ولا حاجة بك إلى قصد الزاوية وسلم على الوزير يحيى، قال: فدفعت له وانصرفت مدهوشاً.

وعن أحمد بن المبارك المرفعا قال: كان من جملة تلاميذ الشيخ رجل يقال له أبو عجمي بليد الخواطر بعيد الذهن لا يكاد يفهم الشيء إلا بعد مشقة شديدة، فبينما هو يقرأ على الشيخ إذ دخل بعض الرؤساء إلى زيارة الشيخ فتعجب من صبر الشيخ على ذلك الرجل فذكر له في ذلك، فقال الشيخ: بقي من عمر الرجل هذا وتعبي معه دون الأسبوع ويمضي إلى الله تعالى، فتعجب الرئيس من ذلك وأخذ يعد يوماً بعد يوم فمات الرجل آخر يوم من الأسبوع وحضر ذلك الرئيس الصلاة عليه.

قال الشرف ابن المجد عيسى ابن الشيخ وفق الدين بن قدامة: سمعت أبا عبد الله المرابتي يقول: سمعت أبا بكر العماد يقول: كنت قرأت في أصول الدين شيئاً فأوقع عندي شكاً فقلت: حتى أمضي إلى مجلس الشيخ عبد القادر فقد ذكر أنه يتكلم على الخواطر فمضيت إلى مجلسه وهو يتكلم فقال: اعتقادنا اعتقاد السلف الصالح والصحابة، فقلت في نفسي: قال هذا الكلام اتفاقاً فتكلم ثم التفت إلى الناحية التي أنا فيها فأعاد القول فقلت: يلتفت مرة هكذا ومرة هكذا، فالتفت مرة ثالثة فقال: يا أبا بكر، وأعاد القول ثم قال: قم فقد جاء أبوك فقال: وكان أبي مسافر فقمت مبادراً إلى البيت وإذا بأبي قد جاء من السفر.

وقال الجمال يحيى بن الصيرفي: سمعت أبا البقاء العكبري النحوي يقول: حضرت مجلس الشيخ عبد القادر فقرؤوا بين يديه بالألحان، فقلت في نفسي: لأي شيء ما ينكر عليهم الشيخ هذا؟ فقال الشيخ: واحد يتعلم أبواباً من الفقه فينكر، فقلت في نفسي: قصد غيري، فقال: إياك أعني القول، فتبت في نفسي من الاعتراض فقال: قد قبلت توبتك.

وقال الشيخ عز الدين الفاروتي: سمعت الشيخ شهاب الدين السهروردي يقول: عزمت على الاشتغال بالكلام وأصول الدين فقلت في نفسي: أستشير الشيخ عبد القادر فأتيته فقال لي: ما هو من عدة القبر ما هو من عدة القبر فتركت.

وقال الحافظ محب الدين بن النجار: سمعت شيخ الصوفية شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي، فقال: كنت أتفقه في دينائي فخطر لي أن أقرأ شيئاً

من علم الكلام وعزمت على ذلك من غير أن أتكلم به، فاتفق أني صليت مع عمي النجيب فحضر عنده الشيخ عبد القادر مسلّماً فسأله عمي الدعاء له وذكر له أني مشتغل بالفقه وقمت فقبلت يده وأخذ بيدي وقال لي: تب عما عزمت على الاشتغال به فإنك تفلح، ثم ترك يدي وسكت ولم يتغير عزمي عن الاشتغال بالكلام حتى تكدرت عليّ جميع أحوالي وتكدر وقتي فعلمت أن ذلك من مخالفتي للشيخ.

وقال يوسف الجوزي: حكى لي خالي خاص بك قال: كان الشيخ يجلس يوم الأحد فبت مهتماً بحضور مجلسه، فاتفق أني نمت فاحتلمت وكانت ليلة باردة فقلت: ما أفوّت مجلسه وإذا انفض المجلس اغتسلت، وجئت المدرسة والشيخ على المنبر فساعة وقعت عينه علي فقال: يا دبير تحضر مجلسنا وأنت جنب وتحتج بالبرد؟

وقال: وحكى لي المظفر الحربي وكان رجلاً صالحاً قال: كنت أنام في مدرسته لأجلس في المجلس فمضيت ليلة فصعدت على سطح المدرسة فكان الحر شديداً فاشتهيت رطباً فقلت: يا إلٰهي وسيدي ومولاي ولو أنها خمس رطبات، فصاح: يا مظفر ـ وما كان يعرفني قبلها ـ خذ ما طلبت.

وحكى يوسف في المرآة أيضاً: أن عبد الصمد بن همام كان من ذوي اليسار والثروة الواسعة وكان منحرفاً عن الشيخ عبد القادر كثير الإنكار لما يحكى عنه من الكرامات وكان منقطعاً عنه بالكلية ثم لازمه ملازمة شديدة فتعجب الناس من ذلك، فسئل عن ذلك بعد وفاة الشيخ قال: كنت على ما كنت عليه. فاتفق أني اجتزت يوماً بمدرسة الشيخ وقد أقيمت الصلاة فقلت في نفسي: أصلي بسرعة ثم أزيل ما بي، وكنت حافياً فدخلت فوجدت حائطه الذي يجلس فيها خالياً فصليت فيه وأنا لا أشعر يوم المجلس، فتكاثر الناس بحضور المجلس منعني من التصرف في نفسي والخروج من مكاني وتزايدها من الاحتياج إلى التخلي، فصعد الشيخ المنبر وقد كدت أتلف فتضاعف ما كان عندي من بغض الشيخ وتحيرت في أمري وكدت أُحدث في ثيابي فأفتضح من الناس ويشم مني رائحة الخبيثة فعاينت الموت في دفع ذلك، فبينما أنا مفكر في أمر أفعله إذ نزل الشيخ من على المنبر درجات وأسبل كمه على رأسي فرأيت نفسي في روضة خضراء بفلاة من الأرض وبها ماء جاري فأزلت ما بي وتوضأت للصلاة وصليت ركعتين فرفع الشيخ كمه عن رأسي

فإذا أنا تحت المنبر على حالي وقد زال ما بي جميعه فكثر تعجبي من ذلك جداً ووجدت أطرافي رطبة من أثر الوضوء فتحيرت في أمري وذهل عقلي، فلما انقضى المجلس قمت وفقدت منديلي ومفاتيح صندوقي ففتشت في موضع كنت قاعداً فلم أجد شيئاً فمضيت إلى منزلي وقصدت صانعاً وفتح صندوق وعمل له مفاتيح وكنت في ذلك الحين على عزم السفر إلى عراق العجم لمهم اعتراني، فتوجهت في ذلك الذي حضرت فيه المجلس فلما سرت عن بغداد ثلاثة أيام اجتزت بمكان وفيه روضة خضراء وماء جاري فقال بعض الرفقة: ألا ننزل نصلي هنا ونأكل شيئاً فإنا لا نجد أمامنا مثل هذا، فنزلت وتخيلت المكان الذي رأيته لا شك فيه فتوضأت للصلاة وقصدت مكاناً أصلي فيه وإذا منديلي بعينه ومفاتيحي التي فقدتها يوم المجلس هناك فإنها كانت معي فسقطت من هناك.

وقال الشيخ جراده: كنت يوماً هناك في دار الشيخ عبد القادر وهو جالس يسبح فسقط عليه تراب من السقف فنفضه ثلاث مرات ثم رفع رأسه في الرابعة فرأى فأرة في السقف فقال لها: طار رأسك، فسقط جسدها ميتاً في ناحية ورأسها ناحية فترك التسبيح وبكى فقلت: يا سيدي ما يبكيك؟ فقال: أخشى أن يتأذى قلبي من رجل مسلم فيصيبه مثل ما أصاب هذه الفأرة.

وقال الشيخ عمر بن مسعود: كان الشيخ يتوضأ في المدرسة فبال عليه عصفور فرفع رأسه إليه وهو طائر فسقط ميتاً فلما أتم وضوءه غسل موضع البول من الثوب ثم قلعه فأعطانيه وأمرني أن أبيعه وأتصدّق بثمنه وقال: هذا بهذا.

وقال محمد بن الخضر: سمعت أبي يقول: كان الشيخ يتكلم في مجلسه بأنواع العلوم وكان إذا صعد الكرسي لا يتكلم أحد ولا يبصق ولا يمخط ولا يتنحنح هيبة له، فإذا توسط المجلس قال: مضى القال وحضر الحال فيضطرب الناس اضطراباً شديداً ويتداخلهم الوجد.

قال محمد بن أبي الفتح تقدم الهروي: حضرت يوماً بمجلس الشيخ عبد القادر فتكلم واستغرق في كلامه حتى قال: لو أراد الله أن يبعث طيراً أخضر يسمع كلامي لفعل، فلم يتم كلامه حتى جاء طيراً أخضر حسن الصورة فدخل في كمه فما خرج، قال: وتكلم يوماً آخر فتداخل الناس من بعده فترة قال: لو أراد الله أن يبعث طيوراً خضراً تسمع كلامي فلم يتم كلامه حتى امتلأ المجلس طيوراً خضراً.

قال محمد بن النجار: أنبأنا محمد بن سعيد الشاهد عن عبد الوهاب ابن

الشيخ عبد القادر: سمعت الشيخ صالح أبا بكر بن علي أبي سعيد قال: كنت أنا وجماعة بين يدي الشيخ قعوداً وهو في القبلة فلم يتكلم بشيء، فقلت في نفسي: أرى الشيخ اليوم لا يتكلم علينا، فرفع رأسه والتفت إليّ من دون الجماعة فواجهني بوجهه وقال لي: سكوتي لكم كلام.

وقال عبد الرحمان بن النجم الحنبلي: ذكر خالي أبو الحسن ابن نجا الواعظ أنه اجتمع يوماً بالشيخ عبد القادر فحضر العيد فسبقت إلى المصلى فجاء الشيخ وهو معه خلق كثير والناس يقبّلون يده، فبدأ فصلى ركعتين فقلت في نفسي: ما هذا والسنة أن لا يصلي قبل العيد؟ فلما سلم التفت إلي وقال: لها سبب.

الباب السابع في نبذة من بليغ كلامه

قال ابن النجار: كتب إليّ عبد الله بن أبي الحسن الجبائي ونقله من خطه قال: كان شيخنا عبد القادر يقول: الخلق حجابك عن نفسك ونفسك حجابك عن ربك ما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك ما دمت ترى نفسك لا ترى ربك، قال: وكان يقول: الدنيا اشتغال والآخرة أهوال والعبد بينهما ما يستقر قراره إلا إلى جنة أو نار، قال: وقرأت في كتابه سمعت شيخنا عبد القادر يقول في بعض مجالسه: ما ثم إلا خلق وخالق فإذا اخترت الخالق فقل كما قال إبراهيم، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ثم دق برجله فقال: من ذاقه فقد عرفه فأعرض سائل فقال: يا سيدي، من غلبت عليه مرارة الصفرا كيف يجد حلاوة الذوق؟ فقال: يستعمل قيء الشهوات، وقال في بعض مجالسه: أول ما تطلع للمؤمن نجم الحكمة ثم قمر العلم ثم شمس المعرفة فيصير بنجم الحكمة ينظر إلى الدنيا ويصير بقمر العلم ينظر إلى الأخرى ويصير بشمس المعرفة ينظر إلى المولى.

الباب الثامن في وفاته

قال ابن الجوزي: توفي ليلة السبت ثامن شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة ودفن من وقته بمدرسته، وبلغ تسعين سنة، وسمعت أنه كان يقول عند موته: رفقاً بي، فقام يقول: وعليكم السلام أجيء إليكم أجيء إليكم، قال: وسمعت من يحيى أنه قال عند موته: أنا شيخ كبير ما وعدنا بهذا.

قال ابن النجار بسنده إلى أن قال: توفي عاشر ربيع الآخر سنة إحدى وستين

وخمسمائة وله تسعون سنة. وقال: وصلى عليه ولده عبد الوهاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أبداً إلى يوم الدين آمين.

تمّ كتاب غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر،
تأليف سيدنا ومولانا شيخ الإسلام قاضي القضاة
شهاب الدين بن حجر العسقلاني الشافعي
تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته
بمحمد وآله وصحبه وعترته، آمين

الصلات الكبرى

في شرح

الصلاة الصغرى

تأليف

سيدي محمد بن أحمد المنلا
رحمه الله تعالى

علق عليه ووضع حواشيه

عبد الجليل عبد السلام



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم، إن أحسن ما نظمت في عقود السطور جواهره؛ وضمخت في وجنات الطروس أعطاره وعنابره؛ وابتهجت في روضات الأوراق رياحينه وأزهاره؛ وترنمت في صفحات الدفاتر بعجيب اللحن أطياره. حمداً لله الذي تقدّست ذاته عن درك العقول والأفكار، وتنزّهت كمالاته عن أن تنضبط بالعد والانحصار، وصلاة وسلاماً يفوقان عدد قطرات مياه البحار، ويزيدان عن كمية أنجم السماء ورمال القفار، على رسولٍ فاضت منه جميع الأنوار، ونبعت من حضرته في الكون سائر الأسرار وعلى آله وأصحابه السادة الأخيار، الفائزين بالقدر الشامخ والفضل المكثار.

أما بعد:

فيقول أفقر الورى إلى رحمة ربه الأعلا، وخديم حضرة الرسول المصطفى المعلا، محمد بن أحمد الشهير بالمنلا، سقاه الله من سلسال سلسبيله الأحلى، ووفقه للفعل الجميل الأولى، وأفاض عليه سحائب الفضل الأولى: إن الصلاة الصغرى والذخيرة الكبرى التي أشرقت بطلعتها الزهراء، وأمدت من روضها للناشقين ريحاناً وزهراً، وعلا منزلها على السماكين والشعرى، وملأت قلوب الشاربين من خندريسها[1] بالنعيم والبشرى، وهي الصلاة التي ختم بها حزبه القطب الرباني، والشيخ العارف الصمداني، والبحر الزاخر النوراني، شيخنا وملاذنا، وحرزنا وعياذنا أبو محمد محيي الدين سيدي عبد القادر الجيلاني أعلا الله تعالى قصوره في دار التهاني، وبلَّغنا ببركاته الآمال والأماني. قد شاع تردادها بين الأقوام، وشرب من كاس حمياها الخاص والعام، واحتفلت بقراءتها الرجال والصبيان، واعتنب بقراءتها الشيوخ والشبان، لا سيما الزمرة القادرية، أهل الرتبة

(١) الخندريس: الخمر القديمة (المعجم الوجيز، ص ٢١٣).

العلية والطريقة الحسنة البهية، أعلا الله مقامهم في البرية، وأجزل عطاياهم في قصور الجنة السنية، فأردت أن أكسوها شرحاً، وأُكللها بأحسن جوهر يُنحى، وأحل منها التراكيب والألفاظ، وأتحف بذلك القارئين لها والحفاظ لتقرّ منهم العيون والألحاظ، ويغدو سوقها أنفق من سوق عكاظ، رجاء الأجر والثواب، والفوز في يوم الحشر والحساب.

وسميتها بالصلات الكبرى، في شرح الصلاة الصغرى، والله المسؤول أن ينفع به الناظرين، وأن يملأ قلبي وقلوبهم بالنور الساطع المبين، بجاه المبعوث رحمة للعالمين، عليه أفضل صلاة وسلام دائمين إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

الصلاة الصغرى

اللهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق نوره ورحمةٌ للعالمين ظهوره عدد من مضى من خلقك ومن بقي ومن سَعِدَ منهم ومن شقي، صلاة تستغرق العدَّ وتحيط بالحدِّ، صلاة لا غاية لها ولا منتهى ولا انقضاء، صلاة دائمة بدوامك وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليماً مثل ذلك.

مقدمة

اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ من أعظم القربات، وأجلّ الطاعات، وأرفع العبادات التي أمرنا الله بها تشريفاً له وتكريماً، وتفضيلاً لجلاله وتعظيماً، ووعد من استعملها حسن المآب، والفوز بجزيل الثواب، فهي من أنجح الأعمال، وأرجح الأقوال، وأركن الأحوال، وأحظى القربات، وأعمّ البركات، بها يُتوصل إلى رضا الرحمان، وتنال السعادة والرضوان، وبها تظهر البركات، وتجاب الدعوات، ويرتقي إلى أرفع الدرجات، ويُجبر صدع القلوب، ويعفي عن عظيم الذنوب.

وتوجب لصاحبها عشر كرامات: القرب من الرحمان، وثقل الميزان، ودخول الجنان، وزيادة الإيمان، ورفع الدرجات على الأقران، والنجاة من الزبانية الخزان، وذهاب النسيان، وشهادة الملكين الاثنان، ودعاؤهما له بالغفران، وأوجبت له من سخط الله الأمان.

وقال ابن فرحون: إن فيها عشر كرامات: إحداهن صلاة الملك الجبار، والثانية شفاعة النبي المختار، والثالثة الاقتداء بالملائكة الأبرار، والرابعة مخالفة المنافقين والكفار، والخامسة هو الخطايا والأوزار، والسادسة العون على قضاء الحوائج والأوطار، والسابعة تنوير الظواهر والأسرار، والثامن النجاة من دار البوار، والتاسعة دخول دار القرار، والعاشرة سلام الرحيم الغفار.

وقال في كتاب حدائق الأنوار: في الصلاة والسلام على النبي المختار، في الثمرات التي يجتنيها العبد بالصلاة على رسول الله ﷺ والفوائد التي يكتسبها ويقتنيها، الأولى: امتثال أمر الله بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم. الثانية: موافقته سبحانه وتعالى في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم. الثالثة: موافقة الملائكة في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم. الرابعة: حصول عشر صلوات من الله تعالى على المصلي عليه صلى الله عليه وسلم واحدة. الخامسة: أنه يرفع له

عشر درجات. السادسة: يكتب له عشر حسنات. السابعة: تمحى عنه عشر سيئات. الثامنة: ترجى له إجابة دعوته. التاسعة: أنها سبب لشفاعته صلى الله عليه وسلم. العاشرة: أنها سبب لغفران الذنوب وستر العيوب. الحادية عشرة: أنها سبب لكفاية العبد ما أهمه. الثانية عشرة: أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ. الثالثة عشرة: أنها تقوم مقام الصدقة. الرابعة عشرة: أنها سبب لقضاء الحوائج. الخامسة عشرة: أنها سبب صلاة الله وملائكته على المصلي. السادسة عشرة: أنها سبب زكاة المصلي والطهارة له. السابعة عشرة: أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته. الثامنة عشرة: أنها سبب للنجاة يوم القيامة. التاسعة عشرة: أنها سبب لرده ﷺ على المصلي عليه. الموفية عشرين: أنها سبب لتذكر ما نسيه المصلي عليه ﷺ. الإحدى والعشرون: أنها سبب لطيب المجلس وأن لا يعود على أهله حسرة يوم القيامة. الثانية والعشرون: أنها سبب لنفي الفقر عن المصلي عليه ﷺ. الثالثة والعشرون: أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره ﷺ. الرابعة والعشرون: نجاته من دعائه عليه برغم أنفه إذا تركها عند ذكره ﷺ. الخامسة والعشرون: أنها تأتي بصاحبها على طريق الجنة وتخطىء بتاركها عن طريقها. السادسة والعشرون: أنها تنجي من شر المجلس الذي لا يذكر فيه اسم الله ورسوله ﷺ. السابعة والعشرون: أنها سبب لتمام الكلام الذي ابتدىء بحمد الله والصلاة على رسوله ﷺ. الثامنة والعشرون: أنها سبب لفوز العبد بالجواز على الصراط. التاسعة والعشرون: أنه يخرج العبد من الجفاء بالصلاة عليه ﷺ. الموفية ثلاثين: أنها سبب لإلقاء الله تعالى الثناء الحسن على المصلي عليه صلى الله عليه وسلم بين السماء والأرض. الإحدى والثلاثون: أنها سبب رحمة الله عز وجل. الثانية والثلاثون: أنها سبب للبركة. الثالثة والثلاثون: أنها سبب لدوام محبتة ﷺ وزيادتها وتضاعفها وذلك عقد من عقود الإيمان لا يتم إلا به. الرابعة والثلاثون: أنها سبب لمحبة الرسول ﷺ للمصلي عليه ﷺ. الخامسة والثلاثون: أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه. السادسة والثلاثون: أنها سبب لعرض المصلي عليه ﷺ وذكره عنده ﷺ. السابعة والثلاثون: أنها سبب لتثبيت القدم. الثامنة والثلاثون: تأدية الصلاة عليه لأقل القليل من حقه ﷺ وشكر نعمة الله التي أنعم بها علينا. التاسعة والثلاثون: أنها متضمنة لذكر الله وشكره ومعرفة أنعامه. الموفية أربعين: إن الصلاة عليه من العبد دعاء وسؤال من ربه عز وجل فتارة يدعو لنبيه ﷺ وتارة لنفسه ولا يخفى ما في هذا من المزية للعبد. الإحدى والأربعون:

من أعظم الثمرات وأجلّ الفوائد المكتسبات بالصلاة عليه ﷺ انطباع صورته الكريمة في النفس. الثانية والأربعون: إن الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ يقوم مقام الشيخ المربي. انتهى.

وقد وردت في فضائلها أحاديث وأخبار مروية عن المصطفى المختار ﷺ، روي عنه ﷺ أنه قال: «إن لله ملكاً أعطاه أسماع الخلائق فهو قائم على قبري إذا مت فليس أحد يصلي عليَّ صلاة إلا قال: يا محمد صلى عليك فلان ابن فلان قال: فيصلي الرب تبارك وتعالى عن ذلك الرجل بكل واحدة عشراً»[(١)]. وعنه ﷺ أنه قال: «إن لله ملكاً له جناحان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب فإذا صلى العبد عليَّ حباً انغمس في الماء ثم ينتفض فيخلق الله من كل قطرة تقطر منه ملكاً يستغفر لذلك المصلي إلى يوم القيامة»[(٢)]. وعنه ﷺ أنه قال: «إن في الجنة جارية خلقت من أربعة أشياء: من قدميها إلى ركبتيها من الزعفران، ومن ركبتيها إلى سرّتها من المسك، ومن سرّتها إلى صدرها من الكافور، ومن صدرها إلى عنقها من الياقوت الأحمر، وعلى جبهتها سطران مكتوبان بالنور، في الأول: لا إله إلا الله، وفي الثاني: محمد رسول الله، وهي تنادي وتقول: من أراد أن يتزوج بسبعين مثلي في الجنة فليكثر من الصلاة على محمد ﷺ»[(٣)] وعنه ﷺ أنه قال: «من صلى عليَّ مرة واحدة فتقبلت محا الله عنه ذنوب ثمانين سنة»[(٤)]. وعنه ﷺ أنه قال: «ما من عبد يصلي عليَّ ليلة الجمعة إلاّ أخرج من فيه قبس من نور بعدد كل مرة يصلي عليَّ فيخلق الله من ذلك القبس ملائكة فيرجعون إلى العرش يطوفون بالكرسي وهم يصلون على ذلك الرجل الذي صلى على محمد ﷺ فيتجلى لهم الحق سبحانه وتعالى فيقول: يا ملائكتي ما تريدون؟ فيقولون: الغفران لصاحبنا

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٤٩٩، والألباني في السلسلة الصحيحة ١٥٣٠، والمتقي الهندي في كنز العمال ٢٢١٨، ٢٢٢٧.

(٢) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٢٢٤٣.

(٣) الحديث لم أجده في كتب الحديث التي بين يدي.

(٤) روي الحديث بطرق وأساليب وألفاظ متعددة، منها بلفظ: «من صلى عليّ مرة واحدة صلى الله عليه بها عشراً». أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٢٢١٥، وابن السني في عمل اليوم والليلة ٩١، ٣٧٤. ومنها بلفظ: «من صلى عليّ مرة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطّ عنه عشر خطيئات». أخرجه الهيثمي في موارد الظمآن ٢٣٩٠، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣/ ٢٨٨، ٥/ ٤٩، ومنها بلفظ: «من صلى عليّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوبه ثمانين عاماً». أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٢١٤٩.

ودخول الجنة بغير حساب ولا عقاب، فيقول لهم: يا ملائكتي آليت على نفسي أن لا أعذب بالنار من رفع صوته وصلى على محمد ﷺ ولو بلغت ذنوبه مثل زبد البحر»[١]. وعنه ﷺ أنه قال: «من عسرت عليه حاجته فليكثر من الصلاة عليّ فإنها تكشف الهموم والغموم والكروب وتكثر الأرزاق وتقضي الحوائج»[٢].

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها: «أنها كانت تخيّط وقت السحر فضلّت الإبرة وانطفأ السراج فدخل عليها النبي ﷺ فأضاء البيت بضوئه ﷺ ووجدت الإبرة فقالت: ما أضوأ وجهك يا رسول الله، قال: «ويل لمن لم يرني يوم القيامة» قالت: ومن لا يراك يوم القيامة؟ قال: «البخل»، قالت: ومن البخيل؟ قال: «الذي لا يصلي عليّ إذا سمع باسمي»[٣].

وفي الخبر: إذا خفّت حسنات المؤمن أخرج رسول الله ﷺ بطاقة كالأنملة فيلقيها في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي ﷺ: بأبي وأمي ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك فمن أنت؟ فيقول: «أنا نبيك محمد وهذه صلواتك التي كنت تصليّ عليّ وفيتك أحوج ما تكون إليها»[٤]. وعنه ﷺ أنه قال: «إذا صلى العبد صلاة نادى مناد من السماء: صلى الله عليك بها مائة، فيسمع بها أهل السماء الثانية فيقولون: صلى الله عليك بها مائتين، فيسمع بها أهل السماء الثالثة فيقولون: صلى الله عليك بها ألف مرة، فيسمع بها أهل السماء الرابعة فيقولون: صلى الله عليك بها ألفيّ مرة، فيسمع بها أهل السماء الخامسة فيقولون: صلى الله عليك بها أربعة آلاف مرة، فيسمع بها أهل السماء السادسة فيقولون: صلى الله عليك بها ستة آلاف مرة، فيسمع بها أهل السماء السابعة فيقولون: صلى الله عليك بها سبعة آلاف مرة، فيقول الله تبارك وتعالى: دعوا ثواب هذا العبد عليّ كما عظم نبيي وصلى عليه بنفس

---

(١) أخرجه بنحوه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٥/١٨٦٨، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/٤٨، والمتقي الهندي في كنز العمال ٢٢٠٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٨٠.

(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٣) روي الحديث بلفظ: «البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ». أخرجه بهذا اللفظ الترمذي حديث ٣٥٤٦، وأحمد في المسند ١/ ٢٠١، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ٤٩، والطبراني في المعجم الكبير ٣/ ١٣٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٦٤، والسيوطي في الدر المنثور ٥/ ٢١٨، والمتقي الهندي في كنز العمال ٢١٤٦.

(٤) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

طيبة أغفر له كل ذنب»[١].

وعنه ﷺ أنه قال: «من صلى عليَّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة»[٢]. وعنه ﷺ أنه قال: «من صلى عليَّ كل يوم صافحته يوم القيامة»[٣]، وعنه ﷺ أنه قال: «إنَّ أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم عليَّ صلاة»[٤]. وعنه ﷺ أنه قال: «من سلَّم عليَّ عشراً فكأنما أعتق رقبة»[٥]. وعنه ﷺ أنه قال: «من صلى عليَّ صلاة كتب الله له قيراطاً والقيراط مثل أُحد»[٦].

وقد ذكر بعض أئمة الصوفية أنَّ من فقد شيوخ التربية فليكثر من الصلاة على النبي ﷺ فإنه يصل بها إلى مقصوده، ولعله أخذ ذلك من قوله ﷺ لأُبي بن كعب[٧] رضي الله عنه عندما التزم أن يجعل جميع صلاته للنبي ﷺ: «إذاً تكفي همك ويغفر ذنبك»[٨].

ولا شك إن المريد[٩] الطالب مشائخ التربية مهتم بتنقية نفسه وشفائها من

---

(١) الحديث لم أجده.

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٤٥٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٢٠، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/ ٣٣٨، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣/ ٢٨٩، ٥/ ٥١، ١٣٢، والمتقي الهندي في كنز العمال ٢١٦٤.

(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٤) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٢١٩.

(٥) الحديث لم أجده.

(٦) أخرجه في جامع المسانيد ٢/ ٢٨.

(٧) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج، صحابي أنصاري، كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود، توفي سنة ٢١هـ. (انظر ترجمته في: الأعلام ١/ ٨٢، الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٣٧٨، كتاب الثقات لابن حبان ٣/ ٥).

(٨) أخرجه الترمذي في القيامة باب ٢٣.

(٩) المريد: عند أهل التصوّف يأتي بمعنيين، أحدهما: بمعنى المحب أي السالك المجذوب، والثاني: بمعنى المقتدي. والمقتدي هو الذي نوّر الله عين بصيرته بنور الهداية حتى ينظر دائماً إلى نقصه فيسعى دائماً إلى طلب الكمال، ولا يقر له قرار حتى يحصل على مراده والقرب من الحق سبحانه وتعالى. وكل من اتسم باسم أهل الإرادة فلا مراد له سوى الحق في الدارين. قال أبو عثمان: المريد الذي مات قلبه عن كل شيء دون الله فيريد الله وحده ويريد به قربه ويشتاق إليه حتى تذهب شهوات الدنيا من قلبه لشدة شوقه إلى الله. =

علائق ما سواه تبارك وتعالى، فإذا أكثر من الصلاة على نبينا ومولانا محمد ﷺ كُفيَ هذا الهم الذي اهتمّ به.

قال الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي في شرح الحصن: روي عن أُبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال: «يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة(١)، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه». قال أُبي بن كعب: «إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «ما شئت»، قلت: الربع؟ قال: «ما شئت وإن زدت فهو خيرٌ لك»، قلت: النصف، قال: «ما شئت وإن زدت فهو خير لك» قلت: أجعل صلاتي كلها لك؟ قال: «إذاً تكفي همك ويغفر ذنبك»(٢).

قال المنذري(٣) في قوله: إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي معناه: إني أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعائي صلاة عليك.

وفي حاشية الشمني(٤) على الشفاء قيل: الصلاة هنا بمعنى الدعاء والمعنى

= والمريد الصادق هو المتجه بكلّه وجملته إلى الله وقلبه دائماً معلّق بالشيخ بسبب إرادته الكاملة. ويعدّ روحانية الشيخ حاضرةً معه في جميع الأحوال، ويستخدمه بطريق الباطن ويرى نفسه مع الشيخ كالميت بين يدي الغسّال، كي يبقى محفوظاً من شر الشيطان ووساوس النفس الأمّارة. كذا في مجمع السلوك. وفي خلاصة السلوك: المريد الذي أعرض قلبه عن كل ما سوى الله، وقيل: المريد من يحفظ مراد الله.

(١) الراجفة: هي النفخة الأولى التي يموت لها الخلائق. والرادفة: هي النفخة الثانية التي يحيون لها يوم القيامة.

(٢) تقدم الحديث مع تخريجه قبل قليل.

(٣) المنذري: هو عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة، الحافظ زكي الدين، أبو محمد المنذري القيرواني، ثم المصري الشافعي، ولد سنة ٥٨١هـ، وتوفي سنة ٦٥٦هـ. من تصانيفه: «الإعلام بأخبار شيخ البخاري محمد بن سلام»، «الأمالي» في الحديث، «الترغيب والترهيب»، «التكملة في وفيات النقلة»، «زوال الظمأ في ذكر من استغاث برسول الله ﷺ من الشدة والعما»، «شرح التنبيه» لأبي إسحاق الشيرازي في الفروع، «الفوائد السفرية» في الحديث، «كفاية المتعبد وتحفة المتزهد» في الحديث، «المعجم المترجم» وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ٥٨٦).

(٤) الشمني: هو أحمد بن كمال الدين محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن يحيى بن محمد الشمني المصري، تقي الدين الحنفي (الشمني: بضم الشين والميم وتشديد النون، موضع =

إن لي زماناً أدعو فيه لنفسي فكم أجعل من ذلك الزمان للصلاة عليك. قال العارف بالله سيدي أحمد زروق[١]: ومما كتب لنا به شيخنا سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي[٢] رضي الله عنه في وصيته الأولى: وعليك بدوام الذكر وكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ فهي سلم ومعراج وسلوك إلى الله تعالى إذا لم يلق الطالب شيخاً مرشداً فقد قال ﷺ: «الصلاة عليَّ نور في القلب ونور في القبر ونور على الصراط»[٣] انتهى. يعني وإذا دخل النور القلب خرجت منه الظلمة وزال العمى فاهتدى صاحبه ولا تبقى الظلمة لأن الضدين لا يجتمعان، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه، فإذا هو زاهق. وفي الحِكم: النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس فإذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار وقطع عنه مدد الظلم والأغيار.

= بمصر)، ولد بالإسكندرية سنة ٨١٠هـ، وتوفي بمصر سنة ٨٧٢هـ، من تصانيفه: «أفق المسالك لتأدية المناسك»، «عالي الرتبة في شرح نظم النخبة لوالده» في الحديث، «كمال الدراية في شرح النقاية»، «مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا»، «المنصف من الكلام على مغني ابن هشام» في النحو. (كشف الظنون ٥/ ١٣٢ـ ١٣٣).

(١) أحمد زروق: هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرلسي، شهاب الدين، أبو العباس، المعروف بزروق الفاسي المالكي الصوفي، ولد سنة ٨٤٦هـ، وتوفي في طرابلس العرب سنة ٨٩٩هـ، من مصنفاته: «إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين»، «تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول» في التصوف، «تعليق على البخاري في ضبط الألفاظ»، «الجامع بحمل من الفوائد والمنافع»، «جمع البيان شرح أبيات الجمع للشيخ علوان»، «الجنة للمعتصم من البدع للسنّة»، «حزب البركات ووسيلة الفوز والنجاة»، «الدرة المنتخبة في الأدوية المجربة»، «الرحلة»، «سفينة النجاة وظيفة الزروقية في الأوراد»، «شرح أسماء الله الحسنى»، «شرح البسملة والحمدلة»، «شرح حقائق المغري»، «شرح المراصد»، «عمدة المريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وحوادث الوقت»، «فتح المواهب وكنز المطالب في التنبيه على بعض ما يتعلق بصدور المراتب»، «الفتوحات الرحمانية في حل ألفاظ الحكم العطائية»، «قواعد التصوّف»، «قواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة»، «كتاب الأنس في شرح عيوب النفس لأبي عبد الرحمٰن السلمي»، «كتاب النصيحة وحث القريحة»، «كفاية المريد»، «قصيدة في الكلام»، «الكناش»، «مفاتيح العز والنصر في التنبيه على ما يتعلق بحزب البحر»، «مفتاح الفضائل والنعم في الكلام على ما يتعلق بالحكم»، «النصح الأنفع»، «النصيحة الكافية لمن خصه الله تعالى بالعافية». (كشف الظنون ٥/ ١٣٦ـ ١٣٧).

(٢) أحمد بن عقبة الحضرمي: لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) أخرجه بنحوه المتقي الهندي في كنز العمال ٢١٤٩.

وقال الإمام القسطلاني[١] في مسالك الحنفا: قال بعضهم: إذا صعب عليك المرام فعليك بكثرة الصلاة والسلام على المظلل بالغمام.

وقال العارف بالله سيدي محمد بن عمر القصري[٢] في كتاب منح المنة في التلبس بالسنة: اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ تتأكد في حق السالك في ابتداء أمره على سبيل المداومة ليلاً ونهاراً، وذلك عون له على سلوكه في الطريق وطلب القرب من رب الأرباب دون غيرها من الأذكار، فإن ذلك فتح باب الهداية إلى الله

---

(١) القسطلاني: هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد القسطلاني، شهاب الدين أبو العباس المصري الشافعي الخطيب، ولد سنة ٨٥١هـ، وتوفي سنة ٩٢٣هـ، له من التصانيف: «إرشاد الساري في شرح الجامع الصحيح للبخاري»، «الإسعاد في تلخيص الإرشاد» من فروع الشافعية لشرف الدين المقري، «إمتاع الأسماع والأبصار»، «تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري»، «رسالة في الربع المجيب»، «الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر»، «زهر الرياض»، «العقود السنية في شرح مقدمة الجزرية» في القراءات، «فتح الداني شرح حرز الأماني للشاطبي»، «فتح المواهبي في مناقب الشاطبي»، «قبس اللوامع في مختصر اللوامع»، «كتاب الأنوار في الأدعية والأذكار»، «الكنز في وقف حمزة وهشام على الهمز»، «اللآلي السنية»، «لطائف الإشارات بفنون القراءات»، «اللوامع في الأدعية والأذكار الجوامع»، «مختصر كتاب الأنوار له»، «مدارك المرام في مسالك الصيام»، «مراصد الصلات في مقاصد الصلاة»، «مسالك الحنفا إلى مشارع الصلاة على النبي المصطفى ﷺ»، «مشارق الأنوار المضية في شرح الكواكب الدرية»، «منحة من منح المواهبي تنبىء عن لمحة في سيرة أبي القاسم الشاطبي»، «منهاج الابتهاج لشرح الجامع الصحيح لمسلم بن الحجاج»، «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية في السيرة النبوية»، «نزهة الأبرار في مناقب الشيخ أبي العباس أحمد الحدار»، «نفائس الأنفاس في الصحبة واللباس»، «النور الساطع في مختصر الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي»، «يقظة ذوي الاعتبار في موعظة أهل الاعتبار» وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ١٣٩).

(٢) هو الغمري: محمد بن عمر بن أحمد بن السراج العمهيني، شمس الدين الواسطي، ثم الغمري (بالغين المعجمة) الشافعي المصري الواعظ، ولد سنة ٧٨٦هـ وتوفي سنة ٨٤٩هـ، له من المصنفات: «أحكام النساء»، «إرادات الأخيار واختيارات الأبرار» في المواعظ، «الانتصار لطريق الأخيار»، «الحكم المشروط في بيان الشروط»، «الحكم المضبوط في تحريم عمل قوم لوط»، «رقائق الأسرار في حساب الدرج والدقائق أعظم دوار»، «الرياض المزهرة في أسباب المغفرة»، «العنوان في تحريم معاشرة الشبان والنسوان»، «قواعد الصوفية»، «محاسن الخصال في بيان وجوه الحلال»، «مناسك الحج»، «منح المنة في التأنيس بالسنّة» (وليس «بالتلبس بالسنة» كما ذكر في المتن)، «النصرة في أحكام الفطرة»، «نور الاقتباس فيما يعرض من ظلم الوسواس»، «الوصية الجامعة». (كشف الظنون ٦/ ١٩٥).

تعالى فإنه ﷺ هو الوساطة بيننا وبينه تعالى والدليل لنا عليه، والمعرّف لنا به والتعلّق بالواسطة متقدم على التعلق بالمتوسط إليه فإن الواسطة هو السبب في الدخول على الملك العظيم ووسيلة إلى منازل القرب منه، فهو ﷺ الواسطة بين الخلق وبين ربهم تعالى. ثم قال: واعلم أنه لا يوصل لاكتساب أفعاله وأخلاقه إلا بعد شدة الاعتناء ولا يتوصل لشدة الاعتناء إلا بالمبالغة في حبه، ولا يتوصل للمبالغة في حبه إلا بكثرة الصلاة عليه، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره فلذلك بدأ السالك بالصلاة على النبي ﷺ فإن لها في تنوير الباطن وتزكية النفس عجائب يجدها السالك ذوقاً سوى ما تضمنت من الأسرار والفوائد التي يعجز عنها الحصر والاستقصاء، فحسب السالك إخلاص القصد في التوجه إلى الله تعالى بالصلاة على نبيه ﷺ حتى يجني ثمرتها وتلوح له بركتها وما هي في جميع منازل هذا الطريق إلا مصباح يهتدى به ونور يستضاء به، فمن عمّر قلبه بالصلاة عليه ﷺ اطّلع بأنوارها على أسرار حقائق التوحيد.

وقال ﷺ: «كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد وعلى آل محمد»[(١)]. رواه الطبراني في الأوسط، وعن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: ما من دعاءٍ إلا بينه وبين الله حجاب حتى يصلى على محمد وآله فإذا فعل انخرق ذلك الحجاب ودخل الدعاء وإذا لم يفعل رجع ذلك الدعاء.

وفي الشفاء عن ابن مسعود[(٢)] رضي الله عنه: إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئاً فليبدأ بحمده والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل فإنه أجدر أن ينجح. ثم قال القاضي[(٣)] رحمه الله: وقال ابن عطاء[(٤)]: للدعاء أركان

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٢١٥٣.

(٢) ابن مسعود: هو عبد الله بن مسعود، الصحابي الكبير المتوفى بالمدينة سنة ٣٢هـ، وهو من أصحاب المصاحف الذين كانوا يحتفظون بنسخة خاصة بهم فيها بعض الاختلاف عن النسخة التي أقرها موحّدة الخليفة الثالث عثمان بن عفان وأمر بتعميمها وتوزيعها على الأمصار بعد إتلاف سواها. وأشهر أصحاب المصاحف: أبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، والمقداد بن عمرو، وعلي بن أبي طالب (انظر الأعلام ٤/ ١٣٧، والفهرست ص ٣٩، ٤٠، ٤١).

(٣) القاضي: لعله محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الحسيني، الشريف، أبو عبد الله السبتي الشافعي، المعروف بقاضي الجماعة، ولد سنة ٦٩٧هـ، وتوفي سنة ٧٦٠هـ، له من التصانيف: «تقييد الجليل على التسهيل» في النحو، «شرح التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي» في الفروع. (كشف الظنون ٦/ ١٦١).

(٤) ابن عطاء: هو أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي، أبو العباس، من مشايخ الصوفية =

وأجنحة وأسباب وأوقات فإن وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته جاز وإن وافق أسبابه نجح، فأركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلّق القلب بالله وقطعه عن الأسباب، وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار، وأسبابه الصلاة على محمد ﷺ. وبالجملة فالصلاة على النبي ﷺ تجلب الفتوحات والأسرار وتصفي البواطن من سائر الأكدار تتأكد في حق أهل البدايات، وأرباب الإرادات، وأصحاب النهايات، ويستوي في الاحتياج إليها الطالب السالك[1] والمريد المقارب والعارف الواصل الطالب ترقيه، والمريد تربيه، والعارف تبقيه بعدما تفنيه، وإن شئت قلت: الطالب تعينه على السلوك، والمريد تدفع عنه الشكوك، والعارف تقول له: ها أنت ومالك الملوك وإن شئت قلت: الطالب تحبب إليه الأعمال، والمريد تكسبه الأحوال، والعارف تثبته في مقامات الإنزال، وإن شئت قلت: الطالب تكسبه إستنارة، والمريد تمده بالعبارة، والعارف تغنيه عن الإشارة، وإن شئت قلت: الطالب يتقوى بها إيمانه، والمريد يكثر منها إيقانه، والعارف يزداد منها عيانه. وإن شئت قلت: الطالب تكسبه الإطراق، والمريد تفيض عليه الإشراق، والعارف تؤيده عند التلاق. وإن شئت قلت: الطالب تزداد بها أنواره، والمريض تفيض منها أسراره، والعارف يستوي لديها ليله ونهار. وإن شئت قلت: الطالب تكسبه النشاط، والمريد تحميه من الانحطاط، والعارف يتأدب بها على البساط. وإن شئت قلت: الطالب تؤيده بالثبوت، والمريد تطلعه على غيب الملكوت، والعالم تهيمه في الجبروت. وإن شئت قلت: الطالب تشوقه إلى اللقاء، والمريد توعده الملتقى،

= الكبار، صحب إبراهيم المارستاني، والجنيد، وأبا سعيد الخراز، توفي سنة ٣٠٩هـ، في محنة الحلاج الشهيرة. (انظر ترجمته في: البداية والنهاية ١١/ ١٥٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٢، صفة الصفوة ٢/ ٢٥٠، الرسالة القشيرية ص ٣١، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١١١، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥/ ٢٦، شذرات الذهب ٢/ ٢٥٧، طبقات الصوفية ٢٦٥، كشف المحجوب ١٧٧، نفحات الأنس ٤٩٢، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٠٢، الكواكب الدرية ١/ ٥٢٠، مرآة الجنان ٢/ ٢٦١).

(١) السلوك، بضم السين: عند السالكين عبارة عن تهذيب الأخلاق ليستعد للوصول، أي السلوك أن يطهر العبد نفسه عن الأخلاق الذميمة مثل حب الدنيا والجاه، ومثل الحقد والحسد والكِبر والبخل والعجب والكذب والغيبة والحرص والظلم ونحرها من المعاصي، ويتصف بالأخلاق الحميدة مثل: العلم والحلم والحياء والرضاء والعدالة ونحوها. (كشاف اصطلاحات المنطق ١/ ٦٩٦، وانظر الحاشية السابقة).

والعارف تزيده تحققاً، وأنشدوا:

ألا يا محبَ المصطفى زد صبابة ... وضمّخ لسان الذكر دأباً بطيبهِ
ولا تعبأنَّ بالمبطلين فإنما ... علامة حب اللَّه حبُ حبيبهِ

وقال الآخر:

تشبثْ بأذيال النبي ولذ به ... تجد نفحات الله أذكى من النِدِّ
ألا إن حرمة النبي محمد ... ترقي الفتى أعلا المنازل في الخلدِ

وقال الإمام الساحلي(١) نفعنا الله به آمين:

تمسك بأذيال النبي ولذ به ... تفزُ بجزيل الأجر يا طالب الهدى
لقد ضمن المختار للسالك الذي ... يصلي عليه الألف ذكراً مفيدا
يبشر بالجنات قبل وفاته ... بشارةَ تخصيص بذلك أوعدا
وأما إذا أملاه في كل مطلع ... فيبصرُ عند الموت في الخلد مقعدا
وليست بشارات كرؤية ناظرٍ ... وإن كانت البشرى يزاحُ لها الردا
وأما الغنى للنفس لا فقر بعده ... ففي النصف من ألف فشأنك والهدى
وفي مائة الميين يحرم جسده ... على النار يا هذا فعظم محمدا
وبعد صلاة العصر في يوم جمعة ... تصلي ثمانين على علم الهدى
فيغفر من أوزار ذاكر أحمد ... ثمانون عاماً هكذا جاء مسندا
فصل عليه كي تنال فضائلا ... وتحظى بقصر في الجنان مشيدا
فصلى عليه اللَّه ما هبت الصبا ... وما ناح طير فوق غصن وغردا
وصلى عليه اللَّه جل جلاله ... بأزكى صلاة والسلام مجددا

وقال الحافظ ابن الحسين:

ألا أيها الراجي المثوبة والأجرا ... وتكف ذنب سالف أثقل الظهرا

---

(١) الإمام الساحلي: الحافظ العلامة الأوحد ابن محمد بن دحيم الساحلي، ولد سنة ست أو سبع وسبعين وثلاث مائة وسمع وقد كبر. قال الخطيب: كان من أحرص الناس على الحديث وأكثرهم كتباً له، وأحسنهم معرفة به، ولم يقدم علينا أحد أفهم منه لعلم الحديث، وكان دقيق الخط صحيح النقل صعب المذهب، وكان صدوقاً ثقة متقناً. توفي في سنة إحدى وأربعين وأربع مائة.

عليك بإكثار الصلاة مواظباً ... على أحمدَ الهادي شفيع الورى طرا
وأفضل خلق اللّه من نسل آدم ... وأزكاهم فرعاً وأشرفهم فخرا
لقد صح أن اللّه جل جلاله ... يصلي على من قالها مرةً عشرا
فصلى عليه اللّه ما جنَّت الدجىَ ... وأطلعت الأفلاك في أفقها فجرا

وقال بعضهم:

أما الصلاة على النبي فسيرة ... مرضية تُمحى بها الآثامُ
وبها ينالُ المرء عز شفاعةٍ ... يلقى بها الإعزاز والإكرامُ
كن للصلاة على النبي ملازماً ... فصلاتُه لك جنة وسلامُ

وقال البوصيري[1] في داليته:

وتزوّد التقوى فإن لم تستطع ... فمن الصلاة على النبي تزوَّدِ
صلى اللّه عليه إن الصلاة من ... من صلى عليه ذخيرةً لم تنفدِ

وقال محيي الدين الصرصري[2]:

وابعث صلاتك في صبح وفي غسق ... إلى نبي حبيب الواحد الصمد
فبالصلاة يُجاز الناطقون بها ... بالعشر من صلوات الواحد الأحد

وقال الشيخ الحضرمي[3] رضي الله عنه:

إذا مشيت في الدارين تسعدْ ... فكثر بالصلاة على محمدْ
وإن صليت فابغِ الأجر فيها ... وشفع بالصلاة على محمدْ

---

(١) البوصيري: هو محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله الصنهاجي شرف الدين أبو عبد الله الدلاصي ثم البوصيري المتوفى سنة ٦٩٥هـ. من تصانيفه: «ذخر المعاد في معارضة بانت سعاد»، «القصيدة الهمزية في المدائح النبوية» المسماة بأم القرى، «الكواكب الدرية في مدح خير البرية» المشهورة بقصيدة البردة، «الكلمة الطيبة والديمة الصيبة» (كشف الظنون ٦/ ١٣٨).

(٢) محيي الدين الصرصري: لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) الشيخ الحضرمي: هو باشعيب الحضرمي، حسن بن أحمد بن إبراهيم الواسطي الشافعي، توفي سنة ١٠٣٠هـ، من تصانيفه: «التعرض للنفحات الفيضية للحضرة القدسية في شرح العقيدة السودية»، «حقيقة زبدة لبن الشريعة بحركة مخض سلوك الطريقة»، «سرور السرائر وفسحة الأرواح وراحة العكوب والأشباح»، «عافية الباطن وسلامة الدين والصدق الصحيح ينفي كل مين ورين» في شرح أبياته، وغير ذلك من القصائد (كشف الظنون ٥/ ٢٩٢).

وإن شئت القبول لها يقيناً	فتختم بالصلاة على محمد
فلا صوم يصح ولا صلاة	لم ترك الصلاة على محمد
وفعلك كله عقباه خيرٌ	إذا صليت فيه على محمد
وقم في الليل وادعُ اللَّه وارغبْ	لربك بالصلاة على محمد
وقل يا رب لا تقطع رجائي	وكن لي بالصلاة على محمد
فعجل بالمتاب على عُبيدٍ	توسل بالصلاة على محمد
يخاف ذنوبه لكن ويرجو	أماناً بالصلاة على محمد
وكن لي عند خاتمتي فإني	سألتك بالصلاة على محمد
فما تتضاعف الحسنات إلا	بتكرير الصلاة على محمد
وإن أبصرت قوماً ليس فيهم	منيباً للصلاة على محمد
فجنب عنهم واطلب سواهم	وذكّر بالصلاة على محمد
فما الخيرات والبركات جمعاً	ترى إلا بالصلاة على محمد
وخفْ مولاك في سر وجهر	وصل على الشفيع لنا محمد
وإن كانت ذنوبك ليس تحصى	تُكَّفر بالصلاة على محمد
وإن جاء الممات ترى أموراً	تسرك بالصلاة على محمد
وعند القبر تظفر بالأماني	وتُرحم بالصلاة على محمد
ولا تخشى من الملكين رعباً	إذا سألاك قل لهما محمد
رسول اللَّه حقاً اتبعنا	وآمنا وصدَّقنا محمد
وفي لحد القبور لك اتساع	وتلهم بالصلاة على محمد
وفي يوم القيامة سوف تجزى	بما قدمت من ذكرى محمد
وفي يوم الحساب إذا بعثنا	تأمن بالصلاة على محمد
وتأتي الحوض تشرب منه كأساً	فتروى بالصلاة على محمد
وتخطو في الصراط كلمح برق	بحفظك للصلاة على محمد
وتدخل جنة لا موت فيها	بما أسلفت من ذكرى محمد
فهذا كله من فضل ربٍ	هدانا للصلاة على محمد
وتنعم بالنعيم وحور عين	بدار جارنا فيها محمد
وتنظر وجه ربك ذي الجلال	بذكرك للصلاة على محمد

فتحمده وتشكره كثيراً على فضل الصلاة على محمد
رسول أبطحيُ هاشمي شفيع المذنبين غدا محمد
سلام طيب أرج بهيج على المختار سيدنا محمد
أيا هادي الأنام ويا شفيع ويا خير البرية يا محمد
عسى منك القبول لحضرمي يخطك[1] بالتحية يا محمد

* * *

وقد روي عن سفيان الثوري[2] رضي الله عنه: أنه كان يطوف بالبيت إذ رأى رجلاً لا يرفع قدماً ولا يضع قدماً إلا وهو يصلي على محمد ﷺ، فقال: يا هذا تركت التسبيح والتهليل والدعاء وأقبلت بالصلاة على النبي ﷺ، فهل عندك في هذا شيء؟ فقال: من أنت عفاك الله؟ قال: أنا سفيان الثوري، فقال: لولا أنك غريب في أهل زمانك ما أخبرتك عن حالي ولا أطلعتك على سري، قال: خرجت أنا ووالدي ماضيين إلى بيت الله الحرام فمرض والدي في بعض المنازل فمرضته حتى مات، فحين مات اسودّ وجهه فغطيته، وسهرت كثيراً، ثم غلبتني عيناي فنمت فإذا أنا برجلٍ لم أر أجمل منه وجهاً ولا أطيب منه رائحة، فدنا من أبي وكشف عن وجهه ومر بيده على وجهه فعاد وجه أبي أبيض يتلألأ نوراً، فقلت: من أنت الذي منَّ الله بك على أبي في أرض غربة؟ فقال: أنا محمد رسول الله ﷺ كان والدك مسرفاً على نفسه وكان يكثر الصلاة عليَّ فرحمه الله بذلك. فانتبهت فإذا بوجه أبي قد ابيّض. وأنشدوا:

أيا من أتى ذنباً وقارف زلةٍ ومن يرتجي عفواً من اللّه والقربا
تعاهد صلاة اللّه في كل ساعةٍ على خير مبعوثٍ وأكرم من نبا
فيكفيك هماً أي هم تخافه ويكفيك ذنباً جئت أعظم
ومن لم يكن يفعل فإن دعاءه يجد قبل أن يرقى إلى ربه حُجُبا

---

(١) يخطك: كذا بالأصل، ولعلها: يخصك.

(٢) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الكوفي الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، الفقيه، ولد سنة ٩٧هـ، وتوفي بالبصرة سنة ١٦١هـ، من تصانيفه: «رسالة إلى عباد بن عباد الأرسوفي»، «كتاب الجامع الصغير»، «كتاب الجامع الكبير»، «كتاب الفرائض». (كشف الظنون ٥/ ٣٨٧، وانظر ترجمته أيضاً في: شذرات الذهب ١/ ٢٥٠، حلية الأولياء ٦/ ٣٥٦، الكواكب الدرية ١/ ٢١٢، معجم المؤلفين ٤/ ٢٣٤، هدية العارفين ١/ ٣٨٧).

وفي كتاب مفاخر الإسلام في فضل الصلاة والسلام على النبي ﷺ ما نصه: وحكى صاحب كتاب الوصول إلى مرضاة الرسول عن أبي بكر بن عبد الرحمان[١] قال: أخبرني بعض البغداديين أنه كان رجل من تجار بغداد موسراً فذهبت النعمة عنه وافتقر واستدان ديوناً، فرفعه إلى القاضي بعض من كان له عليه حق في ثلاثة آلاف دينار فأقرّ بها وأجل له القاضي ثلاثين يوماً، فانصرف وأقبل على محرابه بالتضرّع إلى الله عزَّ وجل بأن يقضي عنه ما عليه من الديون وأكثر الصلاة على النبي ﷺ، فلما كان ليلة سبع وعشرين رأى في المنام سيدنا ومولانا محمداً ﷺ وهو يقول له: اغتممت بدينك؟ قال: نعم يا رسول الله. فقال: يقضيه الله عنك، اذهب إلى علي بن عيسى الوزير[٢] وقل له: أنا رسول رسول الله صلى الله عليك وسلم إليك ويقول لك رسول الله ﷺ: اقض عندي ثلاثة آلاف دينار. قال: فانتبهت من منامي وبي من الفرح والسرور ما شاء الله، ثم رجعت إلى نفسي فقلت: إذا مضيت إليه يقول لي ما تصديق ما تقوله فما أفعل، فحبست نفسي ذلك اليوم عن المسير إليه، فلما كانت الليلة الثانية رأيت رسول الله ﷺ وأمرني بما أمرني به في الليلة الأولى، فأصبحت فرحاً مسروراً، ثم رجعت بطبع البشرية وقلت: إذا مضيت إليه وقال لي ما تصديقك؟ بم أجاوبه؟ فحبست نفسي أيضاً ذلك اليوم عن المسير إليه، فلما كان في الليلة الثالثة رأيت رسول الله ﷺ في النوم وقال لي: أمضيت إلى علي بن عيسى؟ فقلت له: لا يا رسول الله، فقال: وما منعك؟ فقلت: يا رسول الله إذا قال لي: ما تصديق قولك بم أجاوبه؟ فقال لي: أحسنت، اذهب إليه فإذا قال لك ذلك فقل له الأمارة من رسول الله ﷺ ما لا يعلمه إلا الله والكرام الكاتبون، وذلك أنك تصلي عليّ في كل يوم وليلة من طلوع

---

(١) أبو بكر بن عبد الرحمان: ابن الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي المدني، الفقيه، أحد الفقهاء السبعة. استُصْغِر يوم الجمل فرُد من عسكر طلحة والزبير. كان ثقة حجة فقيهاً إماماً كثير الرواية سخياً. وكان يقال له راهب قريش، قال ابن سعد: وكان مكفوفاً. كانت ولادته في خلافة عمر ووفاته في المدينة في سنة الفقهاء أي في سنة أربع وتسعين. (الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ١٥٩).

(٢) علي بن عيسى الوزير: علي بن عيسى بن داود بن الجراح أبو الحسن البغدادي الحسني وزير المقتدر العباسي والقاهر. وأحد العلماء والرؤساء من أهل بغداد، فارسي الأصل، نشأ كاتباً وولي مكة ثم ولي الوزارة ثم عزل وقبض عليه. توفي في بغداد. من كتبه «ديوان رسائل»، «معاني القرآن».

الفجر إلى طلوع الشمس خمسة آلاف مرة، فإذا ذهبت إليه فإنه يقضي عنك دينك ويصدقك. فانتبهت فرحاً مسروراً ثم خرجت إلى باب علي بن عيسى فدخلت مع الناس، فلما انفض الناس عنه قال لي: إليك حاجة؟ فدنوت منه، فقلت: إن رسول الله ﷺ أرسلني إليك. فقال: بماذا؟ فقصصت عليه قصتي فقال لي: وما قدري حتى يكون رسول الله ﷺ يرسل إليَّ بمثل هذا وما تصديق ذلك؟ فقلت له: إني قلت لرسول الله ﷺ ما أنت قائله فقال لي: أحسنت تعلمه بأمارة لا يعلمها أحد غيره وغير الله عز وجل والكرام الكاتبين، إنك تصلي عليَّ في كل يوم من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس قبل أن تكلم أحداً خمسة آلاف مرة، فلما سمع علي بن عيسى الكلام مني ابتهج سروراً وأقبل عليّ وقبّل بين عيني، وقال: مرحباً برسول رسول الله ﷺ حقاً صدقت وصدق رسول الله ﷺ، يا غلام هات المال والميزان فوزن لي ثلاثة آلاف دينار وقال لي: هذه اقض بها دينك، ثم وزن لي ثلاثة آلاف دينار، فقال: هذه اشتر بها ربعاً لأهلك، ثم وزن ثلاثة آلاف دينار فقال لي: هذه تتجر بها، ثم حلَّفني أن لا انقطع عنه وأن أكلفه جميع حوائجي فخرجت بتسعة آلاف دينار وأتيت بيتي فدفعت ستة آلاف دينار إلى أهلي وأتيت القاضي وكنت أول داخل عليه، فقال لي القاضي: أحسنت، اجلس. ثم كثر الناس فدخل صاحبي كالملهوف وقال للقاضي: ابعث في حاجتي، فقال له القاضي: صاحبك قد أتى قبلك وأتى بمالك. قال: فقمت وجلست بين يديه وأخرجت المال وقلت له: والله ما أصبحت اليوم وعندي درهم واحد، وأخبرته بالقصة، فقال القاضي: ولا كرامة لعلي بن عيسى بل أنا أتولى قضاء دينك، يا غلام هات المال، فوزن له ثلاثة آلاف دينار، ثم قال لصاحب الدين: اقبض مالك، فقال صاحب الدين: ولا كرامة لك يا قاضي بل أنا أخليها لله عز وجل ولرسوله ﷺ قال: فهممت بالقيام فقال لي القاضي: خذ مالك واحمله معك واستعن به على دينك فوالله لا رجعت في شيء أخرجته لله ولرسوله ﷺ. فأخذت الثلاثة آلاف دينار وانصرفت إلى بيتي وأنا صاحب اثني عشر ألف دينار. فسبحان الكريم الوهاب لا إلٰه غيره وصلى الله على الذي ببركته تحلّ العقد وتنكشف الكرب وسلّم عليه وعلى آله تسليماً كثيراً، وقلت:

[شرح الصلاة الصغرى]

إن الصلاة على المختار من مضر تمحو الذنوب وتقضي سائر الوطرِ
ويصبح القلب بالأنوار مبتهجاً بها ويعبق منها بالشذا العطرِ
كم أعطت المرء ما يرجوه من أمل وكم وَقَتْهُ من الأهوال والكدرِ
وكم شفت من سقيمٍ في الأنام وقد أعطت آماناً لعبدٍ خائفٍ حذرِ
وكم أفاضت من الخير الجزيل على من كان ذا حاجةٍ كالوبل والمطر
فاقطف أزهارها واشمم عنابرها وانظم جواهرها من معدن الدرر
وكن ملازمها واحضر ولائمها واشمم نواسمها من روضة الزهر
تظفر بنيل عُلا ما بين كل ملا وتقتني أملاً والبشر في البشر
وكيف لا وهي باب اللّه مفتتحاً من أمّهُ فاز بالمأمول والظفر
قد أمر اللّه في القرآن أمته بأن يصلوا وبالتسليم في الأثر
وقال إني أصلي مع ملائكتي طوبى له حاز فضلاً غير منحصر
فمن يصلي على المختار واحدةً عليه عشراً يصلي اللّه فافتخر
ومن يسلم عشراً فهو يشبه من أعتق عبداً كما قد جاء في الخبر
فاجتهدوا أيها الأقوام واستندوا إلى الصلاة لدى الآصال والبكر
لكي يكون شفيعاً فيكم بعد شفاعةٍ لم تدع ذنباً ولم تذر
إن الصلاة على خير الورى كشفت هماً وغماً وكرباً يا أولي الفكر
أضحت مكثرة الأرزاق قاضيةً حوائجاً لفتى راجٍ ومنتظر
فكن موفقنا يا ذا الجلال لها لكي تفوز بفضلٍ منك منهمر
وهب لنا كل ما نرجو ونأمله فأنت ربٌّ بإعطاء المرام حَرِ
واجعل لنا ربنا من أمرنا فرجاً واختم بحسن الختام آخر العمر
ونجنا من عذاب القبر واعف وكن بنا رحيماً فإن الذنب ذو كبر

ونجنا ربِّ من هول الحساب ومن ... نار سطا وقدها بالحر والشرر
وكن مسكننا في جنة عظمت ... محفوفةً بصنوف النخل والشجر
ما بين حورٍ حسان حسنها بهج ... تسبي العقول بذلك الغنج والحور
جوار خير الورى من طاب عنصره ... بدار العلا والبها المختار من مضر
يا رب صل عليه كلما لمعت ... كواكب في ظلام الليل والسحر
يا رب صل عليه كلما هطلت ... غمامة لاكتساء الروض بالزهر
يا رب صل عليه كلما طلعت ... شمس بضوء على الأرجاء منتشر
يا رب صل عليه كلما اضطربت ... أمواج بحرٍ وما أجرى من العبر
يا رب صل عليه كلما سجعت ... حمائم فوق غصن مزهر نضر
يا رب صل عليه كلما ابتسمت ... أزهار روضٍ كمثل الأنجم الزهر
وسلمن أبداً ما ماس غصن نقي ... وكلما أشرقت شمس على الجدر
وآله وجميع الصحب قاطبةً ... الحائزين بفضل أحسن السير
ما أشرق البدر بالأنوار ساطعةً ... وما فشا نوره في البدو والحضر

❊ ❊ ❊

وكم للصلاة على النبي ﷺ من فضائل لا تحصى، ومآثر لا تستقصى، ولنمسك عنان القلم، فإن في هذه النبذة كفاية، وإلا فما يصل المرء في ذلك إلى النهاية، وهذا وإن الشروع في المقصود بعون الملك المعبود. فأقول:

اعلم إن هذه الصلاة العظيمة المقدار، السامية المنار، ختم بها شيخ الإسلام، والقطب الهمام، والعالم الرباني محيي الدين أبو محمد سيدي عبد القادر الجيلاني حزبه المسمى بحزب الرجاء والالتجاء، وهي إحدى الصلوات العشر ذوات الخيرات والبركات التي رتبها الإمام محيي الدين عرف بجنيد اليمن رضي الله عنه وهي مأثورة.

قال رضي الله عنه: تستعمل وترتب من صلى بها عشر مرات صباحاً ومساء استوجب رضاء الله الأكبر والأمان من سخطه وتتواتر عليه الرحمة والحفظ الإلٰهي من الأسواء وتسهل عليه الأمور. قال: وهي كذلك بلا شك، قال بعضهم: إن المرة منها بعشرة آلاف صلاة وقد نسبها بعضهم للشيخ أبي محمد عبد الحق ابن

سبعين[١] رضي الله عنه وليس كذلك فإن عبد الحق ابن سبعين متأخر عن الشيخ سيدي عبد القادر مع أنها ثابتة في حزب الشيخ سيدي عبد القادر وقد ذكر هذه الصلاة المباركة السخاوي[٢] والجزولي[٣] إلى أن لفظها في حزب الشيخ وصلى

---

(١) ابن سبعين: هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر، قطب الدين، أبو محمد المرسي الأندلسي المالكي، الشهير بابن سبعين الصوفي، ولد سنة ٦١٤هـ، وتوفي بمكة سنة ٦٦٩هـ، من تصانيفه: «بد العارف وعقيدة المحقق المقرب الكاشف وطريق السالك المتبتل العاكف»، «الحروف الوضعية في الصور الفلكية»، «حزب الفتح والنور والتجلي الرحمانية بالرحمة في عالم الظهور»، «حزب الفرج والاستخلاص بسر حقيقة كلمة الإخلاص»، «رسالة العهد»، «شرح سفر إدريس عليه السلام»، «الفتح المشترك»، «كتاب الإحاطة»، «كنز المغرمين» في الحروف والأوفاق، «لمحة الحروف»، وغير ذلك من الرسائل. (كشف الظنون ٥/ ٥٠٣).

(٢) السخاوي: هو علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب بن غطاس الهمداني، علم الدين، أبو الحسن السخاوي، المصري المقري الشافعي، ولد سنة ٥٥٨هـ، وتوفي بدمشق سنة ٦٤٣هـ، من تصانيفه: «إفصاح الموجز في إيضاح المعجز»، «الإفصاح وغاية الأشراح في القراءات السبع»، «أقوى العدد في معرفة العدد»، «تحفة الفراض وطرفة المرتاض»، «تفسير القرآن إلى سورة الكهف»، «تنوير الظلم في الجود والكرم»، «جمال القراء وكمال الإقراء»، «الجواهر المكللة في الأخبار المسلسلة»، «ذات الأصول في مدح الرسول ﷺ»، «ذات الأصول والقبول في مفاخر الرسول ﷺ»، «ذات الحلل» قصيدة على طريقة اللغز، «ذات الدرر في معجزات سيد البشر»، «سفر السعادة وسفير الإفادة»، في شرح المفصل، «شرح المحاجاة في الأحاجي والأغلوطات للزمخشري»، «شرح مصابيح السنة للبغوي»، «شكوى الاشتياق إلى النبي الطاهر الأخلاق»، «الطود الراسخ في القراءة»، «عروس السمر في منازل القمر»، «عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة لفظ التجريد»، «فتح الوصيد في شرح القصيد» أي حرز الأماني، «القصائد السبعة في مدائح النبوية»، «القصيدة الناصرة لمذهب الأشاعرة»، «الكوكب الوقاد في تصحيح الاعتقاد»، «لواقح الفكر في أخبار من غبر»، «متشابهات الكتاب»، «مراتب الأصول وغرائب الفصول» في القراءات، «المفصل في شرح المفصل» للزمخشري، «منازل الإجلال والتعظيم في فضائل القرآن العظيم»، «مناسك الحج»، «منير الدياجي في شرح الأحاجي»، «منهاج التوفيق في معرفة التجويد والتحقيق»، «نثر الدرر في ذكر الآيات والسور»، «الوسيلة إلى كشف العقيلة»، «هدية المرتاب وغاية الحفظ والطلاب» منظومة في القراءات، وغير ذلك (كشف الظنون ٥/ ٧٠٨-٧٠٩).

(٣) الجزولي: هو محمد بن سليمان بن أبي بكر الجزولي السملالي، الشريف أبو عبد الله الحسني المغربي المالكي الصوفي، توفي سنة ٨٧٠هـ، له من التصانيف: «دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار ﷺ». (كشف الظنون ٦/ ٢٠٤).

الله على سيدنا محمد السابق للخلق نوره وأما عند السخاوي والجزولي فهي بلفظ: اللهم، أي يا الله فحذف حرف النداء وعوض عنه الميم للتفخيم والتعظيم.

قال الشيخ الجزولي رحمه الله: وإنما جعل هذا الاسم العظيم ـ في أوائل الأدعية غالباً ـ لأنه جامع لجميع معاني الأسماء الكريمة وهو أصلها.

قال الحسن البصري[١]: اللهم مجمع الدعاء.

وقال أبو رجاء العطاردي[٢]: الميم في قولك اللهم فيه تسعةٌ وتسعون اسماً من أسماء الله تعالى، وقال النضر بن شميل[٣]: من قال اللهم فقد دعاه بجميع أسمائه.

قال البطليوسي[٤]: ومعنى هذا أن الميم في كلام العرب تكون من علامات

---

(١) الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد البصري، الإمام التابعي الفقيه الزاهد، توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ، من تصانيفه: «تفسير القرآن»، «رسالة إلى عبد الرحيم بن أنس في الترغيب بمجاورة مكة المكرمة»، «رسالة في فضل مكة المكرمة»، «كتاب الإخلاص». (كشف الظنون ٥/ ٢٦٥).

(٢) أبو رجاء العطاردي: هو عمران بن ملحان البصري، مخضرم، من كبار علماء التابعين، أسلم يوم الفتح، ولم ير النبي ﷺ، عاش ١٢٠ سنة، توفي سنة ١٠٧هـ. (الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٩٩).

(٣) النضر بن شميل: هو الحافظ أبو الحسن نضر بن شميل بن ضرسة بن يزيد بن كلثوم التميمي البصري الأديب النحوي، من تابعي التابعين، القاضي بمرو وعالمها، المتوفى بها سنة ٢٠٤هـ، صنف من الكتب: «خلق الفرس»، «غريب الحديث»، «غريب القرآن»، «كتاب الأنواء»، «كتاب الترغيب»، «كتاب السلاح»، «كتاب الشمس والقمر»، «كتاب الصفات» يحتوي عدة كتب: الأول: في خلق الإنسان والكرم وصفات النساء. الثاني: في الأخبية والبيوت وضعة الجبال والشعاب. الثالث: في الإبل. الرابع: في الغنم والطير والشمس والقمر والليل والنهار والألبان والكمات والآبار والحياض والأرشية. الخامس: في الزرع والكرم والعنب وأسماء البقول والأشجار والرياح والسحاب والأمطار، «كتاب المدخل إلى العين الخليل»، «كتاب المصادر»، «كتاب المعاني». (كشف الظنون ٦/ ٤٩٥).

(٤) البطليوسي: هو أبو إسحاق إبراهيم بن قاسم البطليوسي المعروف بالأعلم النحوي، توفي سنة ٦٤٢هـ، صنف: «تاريخ بطليوس»، «الجمع بين صحاح الجوهري وغريب المصنف» في اللغة (كشف الظنون ٥/ ١١). ولعله الحسن بن محمد بن يحيى بن عليم (بضم العين وتشديد اللام) البطليوسي، أبو الحزم اللغوي، توفي سنة ٥٧٦هـ، صنف: «شرح أدب الكاتب لابن قتيبة». (كشف الظنون ٥/ ٢٧٩). ولعله عاصم بن أيوب البطليوسي، أبو بكر النحوي الأديب اللغوي المتوفى سنة ٤٩٤هـ. له: «شرح أشعار الستة»، «شرح ديوان امرىء القيس»، «شرح المعلقات السبع». (كشف الظنون ٥/ ٤٣٥).

الجمع لا ترى أنك تقول عليه للواحد وعليهم للجميع، فصارت الميم في هذا الموضع بمنزلة الواو الدالة على الجمع في قولك ضربوا وقاموا فلما كانت كذلك زيدت في آخر اسم الله لتشعر وتوزن بأن هذا الاسم قد اجتمعت فيه أسماء الله كلها، فإذا قال الداعي: اللهم، فكأنه قال: يا الله الذي له الأسماء الحسنى، ولأجل ذلك فتحت الميم لتكون بإزاء الفتحة في قولك: مسلمون وصالحون وشددت لتكون بالتشديد معادلة بالحرفين المزيدين في مسلمون وصالحون.

وأما سيبويه[1] فإنه قال: إنما شددت لتكون بمنزلة حرف النداء المحذوف وعوضاً عنه.

واعلم أن هذا اللفظ الشريف لا يوصف لأجل استغراقه لجميع أسماء الله تعالى وصفاته لأنها قد اجتمعت فيه، وقال بعضهم: إنما لم يوصف لأنه لما كان لا يستعمل إلا في النداء خاصة أشبه الأصوات التي لا تكون إلا في النداء، وكذلك جميع الأسماء التي لا تقع إلا في النداء لا توصف ولا تؤكد ولأجل ما تضمنه هذا اللفظ من عظيم الثناء قيل فيه: إنه اسم الله العظيم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، وقيل: إنه هو، وقيل: إنه الحي القيوم، وقيل: هو العلي العظيم الحليم العظيم، وقيل: هو لا إلٰه إلا الله أو لا إلٰه إلا هو، وقيل: الحق، وقيل: ذو الجلال والإكرام، وقيل: لا إلٰه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

وقيل: إنه اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إلٰه إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وقيل: إنه اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إلٰه إلا أنت المنان أو الحنّان المنّان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، وجاء أنه في قوله: اللهم مالك الملك الآية، وقيل: هو أرحم الراحمين، وقيل: ربنا، وقيل: الوهاب، وقيل: الغفار، وقيل: القريب، وقيل: السميع البصير، وقيل: سميع الدعاء، وقيل: خير الوارثين، وقيل: حسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) سيبويه: هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب بسيبويه، مولى بني الحارث بن كعب، سكن البصرة، وتوفي بمدينة سامرة سنة ١٧٧هـ. له كتاب في النحو مشهور. (كشف الظنون ٥/ ٨٠٢).

واختار الإمام محيي الدين النووي[١] تبعاً لجماعة أنه الحي القيوم قال: ولذلك لم يرد إلا قليلاً في القرآن في ثلاثة مواطن: (البقرة في آية الكرسي)، و (مفتتح آل عمران)، و (طه) في قوله: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: الآية ١١١] واستدل بالحديث الوارد عن النبي ﷺ أنه في ثلاث سور في البقرة وآل عمران وطه، وهذا كما قال استنباط حسن، وهذه الأقوال كلها مبنية على أن الاسم الأعظم معين، وقال بعضهم: أنه ليس بمعين بل ما دعوت به حال تعظيمك له وانقطاع قلبك إليه فما دعوت به في هذه الحالة أستجيب لك، وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: الآية ٦٢]، ومحصله أن كل داعٍ له اسم أعظم بحسب حاله.

وقال الشيخ القطب سيدي عبد العزيز الدباغ[٢] رحمه الله: إن الاسم الأعظم كمال المائة، وليس من التسعة والتسعين وإن كثيراً من معانيه في الأسماء

---

(١) محيي الدين النووي: هو الحافظ محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مر بن جمعة بن حزام النووي، المحدث الفقيه الشافعي، الشهير بالنووي (نوى بلدة بحوران بينها وبين دمشق مسافة يومين)، ولد سنة ٦٣١هـ، وتوفي سنة ٦٧٦هـ. له من التصانيف: «الأربعين في الحديث»، «الإرشاد» في أصول الحديث، «الإشارات إلى بيان الأسماء المبهمات في متون الأسانيد»، «الأصول والضوابط في المذهب»، «الإيضاح في مناسك الحاج»، «بستان العارفين» في التصوف، «التبيان في آداب حملة القرآن»، «التحرير في شرح التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي»، «تحفة الطالب النبيه في شرح التنبيه»، «تحفة الوالد وبغية الرائد»، «التحقيق»، «الترخيص في الإكرام بالقيام لذوي الفضل والمزية من أهل الإسلام»، «التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير»، «تقريب الإرشاد إلى علم الإسناد»، «تهذيب الأسماء واللغات»، «حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار»، «خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام»، «روح المسائل» في الفروع، «روضة الطالبين وعمدة المتقين» في الفروع، «رياض الصالحين»، «شرح الجامع الصحيح للبخاري»، «عيون المسائل المهمة»، «غيث النفع في القراءات السبع»، «فضل القيام لأهل العلم والحديث والزهاد والعبّاد والصلحاء والقرّاء من أهل الإسلام»، «المبهم على حروف المعجم»، «المجموع في شرح المهذب لأبي إسحاق الشيرازي»، «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان»، «مناسك الحجج» ثلاثة: الصغرى والكبرى والوسطى، «المنثورات وعيون المسائل المهمات»، «المنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج»، «منهاج الطالبين» في الفروع. (كشف الظنون ٦/ ٥٢٤ـ ٥٢٥).

(٢) عبد العزيز الدباغ: هو الشيخ القطب عبد العزيز بن مسعود أبو فارس الدباغ، متصوف من الأشراف، ولد وتوفي بفاس.

التسعة والتسعين، وإنه هو ذكر الذات لا ذكر اللسان فتسمعه يخرج من الذات كطنين النحاس الأصفر وهو ثقيل على الذات ولا تطيق الذات ذكره إلا مرة أو مرتين في اليوم لأنه لا يكون إلا مع المشاهدة التامة، وذلك ثقيل على هذه الذات وإذا ذكرته الذات يفزع العالم كله هيبة وإجلالاً وفخامة، وكان في سيدنا عيسى ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام قوة على ذكره وكان يذكره في اليوم أربع عشرة مرة هكذا نقل عنه أبو العباس أحمد بن المبارك[1] في كتاب الإبريز.

فصل

اختلف في معنى الصلاة، فقيل: معناها الرحمة والرضوان من الله والدعاء والاستغفار من الملائكة والناس، وقيل: صلاة الله رحمته وصلاة الملائكة الدعاء وكأنه يريد الدعاء بالرحمة، وقيل: إن معنى الصلاة من الملائكة الدعاء بالبر، وقيل: الصلاة من الله رحمة مقرونة بالتعظيم ومن الملائكة استغفار ومن الآدميين تضرع ودعاء، وقيل: صلاته على أنبيائه الثناء والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة، وقيل: صلاة الله على نبيه ﷺ تشريفاً وزيادة تكرمة وعلى ما دون النبي رحمة.

وقال الحليمي[2]: معنى الصلاة على النبي ﷺ تعظيمه فمعنى قولنا: اللهم صل على محمد عظّم محمداً، والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود.

وقال أبو العالية[3]: صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند ملائكته وصلاة

---

(١) أبو العباس أحمد بن المبارك: لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) أبو عبد الله الحليمي: الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الجرجاني، أبو عبد الله، فقيه شافعي، قاض ومحدث ولد بجرجان سنة ٣٣٨هـ، وتوفي ببخارى سنة ٤٠٣هـ، له بعض التصانيف، منها: «منهاج الدين في شعب الإيمان» (كشف الظنون ٥/ ٣٠٨، الأعلام ٢/ ٢٣٥، الرسالة المستطرفة ٤٤).

(٣) أبو العالية: الرياحي رفيع بن مهران البصري الفقيه المقرىء مولى امرأة من بني رباح بطن من تميم، رأى أبا بكر وقرأ القرآن على أُبيّ وغيره. قال أبو بكر بن أبي داود ليس أحد أعلم بالقرآن بعد الصحابة من أبي العالية. روى قتادة عنه قال: قرأت القرآن بعد وفاة نبيكم ﷺ بعشر سنين. مات سنة تسعين أو ثلاث وتسعين. (الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٧٩).

الملائكة عليه الدعاء.

قال ابن حجر[١]: وهذا أولى الأقوال فيكون معنى صلاة الله عليه ثناؤه عليه وتعظيمه وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك من الله تعالى والمراد طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة، وقيل: إن المراد بالصلاة الاعتناء بشأن المصلي عليه وإرادة الخير له وهو الذي ارتضاه الغزالي[٢] واستحسنه الزركشي[٣] في شرح جمع

---

(١) ابن حجر: هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الكناني، الحافظ أبو الفضل شهاب الدين العسقلاني ثم المصري الشافعي، ولد سنة ٧٧٣هـ، وتوفي سنة ٨٥٢هـ، له أكثر من مائة وخمسين مصنفاً، منها في التاريخ والتراجم: «إتباع الأثر في رحلة ابن حجر»، «الإصابة في تمييز الصحابة»، «الإعلام بمن ولي مصر في الإسلام»، «إنباء الغمر في أبناء العمر» في التاريخ والتراجم، «البداية والنهاية» في التاريخ، «تحر الميزان في مختصر ميزان الاعتدال للذهبي» في التاريخ، «تعريف الفئة فيمن عاش من هذه الأمة المائة»، «تقريب التهذيب» في أسماء الرجال، «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، وغير ذلك الكثير. (كشف الظنون ٥/ ١٢٨ـ ١٣٠).

(٢) حجة الإسلام الغزالي: هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الإمام حجة الإسلام، أبو حامد الغزالي الطوسي الشافعي، ولد بطوس سنة ٤٥٠هـ، وتوفي فيها سنة ٥٠٥هـ. له العشرات من المصنفات، منها: «الأجوبة المسكتة عن الأسئلة المبهتة»، «إحياء علوم الدين»، «أساس القياس»، «أساس المذهب»، «أسرار الأنوار الإلٰهية بالآيات المتلوة»، «الاقتصاد في الاعتقاد»، «الحام العوام عن علم الكلام»، «الأنيس في الوحدة»، «بداية الهداية» في الموعظة، «التبر المسبوك في نصائح الملوك»، «تهافت الفلاسفة»، «جواهر القرآن»، «حجة الحق»، «حدائق الدقائق»، «حياة القلوب»، «الدر المنظوم والسر المكتوم»، «روضة الطالبين وعمدة السالكين»، «سبل السلام»، «السر المصون والجوهر المكنون»، «الفتاوى»، «القسطاس المستقيم»، «الكشف والتبيين»، «كيمياء السعادة» فارسي، «الباب اللباب»، «مرشد الطالبين»، «المسائل المستظهرية»، «المستصفى في علم الأصول»، «معارج القدس إلى مدارج النفس»، «المعارف العقلية والحكم الإلٰهية»، «معراج السالكين»، «معيار العلم في المنطق»، «مقاصد الفلاسفة»، «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، «المنقذ من الضلال»، «منهاج العابدين»، «ياقوت التأويل في تفسير التنزيل»، «يواقيت العلوم» وغير ذلك الكثير. (انظر ترجمته في: كشف الظنون ٦/ ٧٩ـ ٨١، كتاب الوفيات ص ٢٦٦، شذرات الذهب ٤/ ١٠، مفتاح السعادة ٢/ ١٩١، وفيات الأعيان ٣/ ٣٥٣، الكواكب الدرية ١/ ٧٠٣).

(٣) الزركشي: هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، بدر الدين المصري الشافعي، ولد سنة ٧٤٥، وتوفي سنة ٧٩٤هـ، له من الكتب: «البحر المحيط في الأصول»، «البرهان في علوم القرآن»، «تجلي الأفراح في شرح تلخيص المفتاح»، «التذكرة»، «تشنيف المسامع بشرح =

الجوامع لأنه قدر مشترك.

وقال ابن هشام[1] في المغني: الصواب عندي إن الصلاة لغة بمعنى واحد وهو العطف ثم العطف بالنسبة إلى الله سبحانه الرحمة وإلى الملائكة الاستغفار وإلى الآدميين دعاء بعضهم لبعض.

واعلم إن الصلاة تستعمل اسماً وهي هذه التي اختلف في معناها وتكون بمعنى المصدر الذي هو صدورها ولهذا غاير بينهما في القاموس فقال: الصلاة الدعاء والرحمة والاستغفار وحسن الثناء من الله على رسوله وعبادة فيها ركوع وسجود، واسم يوضع موضع المصدر يقال: صلى صلاة لا تصلية دعا. وقد حذروا من استعمال لفظ التصلية بدل الصلاة.

قال الحطاب[2]: إنه موقع في الكفر لمن تأمله لأن التصلية الإحراق. وأصل الصلاة الانحناء والانعطاف مأخوذةً من الصلوين، وعما عرقان في الظهر من جانبي الذنب إلى الفخذين وعظمان ينحنيان في الركوع والسجود، ولهذا كتبت في المصحف بالواو، ثم قالوا: صلى الله عليه، أي انحنى عليه رحمة وتعطفاً ثم سمّوا الرحمة حنواً وصلاة إذا أرادوا المبالغة فيها، فقولك: صلى الله على محمد هو أرقُّ وأبلغُ من قولك: رحم الله محمداً فالحنو والعطف والصلاة أصلها في المحسوسات ثم عبَّر بها عن هذا المعنى مبالغةً وتأكيداً كما قال الشاعر:

فما زلت في ليني له وتعطفي   عليه كما تحنو على الولد الأمُ

ومنه قيل: صليت على الميت إذا دعوت له دعاء من يحنو عليه ويتعطف عليه، ولذلك لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الإطلاق، لا تقول: صليت على العدو أي دعوت عليه إنما يقال: صليت عليه بمعنى الحنو والرحمة والتعطف،

= جمع الجوامع» في الفقه، «تفسير القرآن»، «الديباج لشرح المنهاج للنووي» في الفروع، «شرح الوجيز للغزالي»، «القطة العجلان وبلة الظمآن»، «نشر اللآلي» وغير ذلك. (كشف الظنون ٦/ ١٧٤ـ ١٧٥).

(١) ابن هشام: هو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد البصري، ثم المصري، كان عالماً بالسير والنجوم، توفي سنة ٢١٨هـ، من تصانيفه: «أنساب حمير وملوكها»، «تهذيب سير أبي إسحاق»، «شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب» وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ٦٢٤).

(٢) الحطاب: لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

لأنها في الأصل انعطاف ومن أجل ذلك عديت في اللفظ بعلى فلا يقال: إذا صلى بمعنى دعا وهو مع على للمضرة، فقول القائل: اللهم صل على سيدنا محمد معناه اللهم أثن عند ملائكتك وشرّف وكرّم أو عظّم أو اعتن ورد الخير أو اجعل العطف الرحمة المقترنة بالتعظيم المنبعثة عن العطف والحنان على سيدنا. السيد هو الذي يسود قومه أي يتقدم عليهم بما فيه من خصال الكمال والشرف التام، وقيل: هو الكامل المحتاج إليه بإطلاق أو العظيم المحتاج إليه غيره، وقيل: هو الذي يرأس قومه، وقيل: هو المالك الذي تجب طاعته، ولهذا يقال: سيد الغلام، ولا يقال: سيد الثوب، وقيل: هو الحليم، وقيل: السخي، ويطلق على الزوج ومنه ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾ [يُوسُف: الآية ٢٥] هذا قول اللغة في السيد، وأما أهل التفسير، فقال ابن عباس[١]: السيد هو الكريم على ربه عز وجل، وقال قتادة[٢]: السيد العابد الورع الحليم، وقال عكرمة[٣]: السيد الذي لا يغلبه غضب وسيادته ﷺ أجلى وأظهر وأوضح من أن يستدل عليها، فهو سيد العالم بأسره من غير تقييد ولا تخصص في الدنيا والآخرة. قال في مطالع المسرات: وإنما قال في الحديث: «أنا سيد الناس يوم القيامة»[٤] لظهور انفراده بالسؤدد والشفاعة فيه عن غيره حين يلجأ إليه الناس في ذلك فلا يجدون سواه وجميع الخلائق مجتمعون أولهم وآخرهم وأنسهم وجنهم وفيهم الأنبياء والمرسلون، وتلك الدار دار الدوام

---

(١) ابن عباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو العباس، توفي النبي ﷺ وهو ابن أربع عشرة سنة، ولد قبل الهجرة بأربع سنين، قال له النبي ﷺ: «اللهم علمه الحكمة»، توفي سنة ٦٨هـ بالطائف، وقيل: سنة ٧٠هـ. (كتاب الثقات ٣/ ٢٠٧ـ٢٠٨، وانظر ترجمته أيضاً في: البداية والنهاية ٨/ ٣٠٢ـ٣١٤، شذرات الذهب ١/ ٧٥، الإصابة ترجمة رقم ٤٧٧٢، حلية الأولياء ١/ ٣١٤).

(٢) قتادة: هو قتادة بن دعامة بن عرنين بن عمرو بن ربيعة السدوسي، أبو الخطاب البصري التابعي، ولد سنة ٦٠هـ، وتوفي سنة ١١٧هـ، صنف: «تفسير القرآن». (كشف الظنون ٥/ ٨٣٤).

(٣) عكرمة: هو الحافظ أبو عبد الله، عكرمة بن عبد الله، بربري الأصل، مولى ابن عباس، من كبار التابعين. توفي سنة ١٠٥هـ، له: «تفسير القرآن». (كشف الظنون ٥/ ٦٦٦).

(٤) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ٣، وتفسير سورة ١٧، باب ٥، ومسلم في الإيمان حديث ٣٢٧، ٣٢٨، والفضائل حديث ٣، والترمذي في القيامة باب ١٠، وتفسير سورة ١٧، باب ١٩، والدارمي في المقدمة باب ٨، وأحمد في المسند ١/ ٢٨١، ٢٩٥، ٢/ ٤٣٥، ٥٤٠، ٣/ ٢، ١٤٤، ٥/ ٣٨٨.

والبقاء فهي المعتبرة، وقد كان ﷺ معلوماً بالسيادة نَسَباً وطبعاً وخَلقاً وخُلقاً وأدباً إلى غير ذلك من المكارم قبل ظهوره بالنبوّة يعرف ذلك من اعتنى بالسير وتعرف أحواله من الصغر إلى الكبر صلوات الله عليه وسلامه.

* * *

فإن قلت: إن قوله عليه الصلاة والسلام: «أنا سيد الناس يوم القيامة» يفيد سيادته لجميع الناس، وأما قوله: «أنا سيد ولد آدم»[1] لا يدخل فيه آدم. قلت: قال في مطالع المسرات: المراد بولد آدم في قوله: «أنا سيد ولد آدم» النوع الإنساني وكذلك كل جماعة سموا باسم أبيهم جاز إطلاق الابن عليه وإطلاقه عليهم كما يقال: تميم له ولأولاده وكذا يقال: بنو تميم لما يشمل تميماً وهو أبو القبيلة، وهذا مجاز شاع حتى صار حقيقة عرفية، فإن قلت: ما تصنع في قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تفضلوا بين الأنبياء»[2]، وقوله: «لا تفضلوني على يونس»[3] ونحوه. قلت: أجابوا عنه بأجوبةٍ منها أنه نهى ﷺ عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص بعضهم فإن ذلك كفر، ومنها أنه نهى عن ذلك أدباً وتواضعاً وقيل غير ذلك.

واعلم أن الإضافة في قوله: سيدنا، لتعريف العهد الخارجي أي السيد المعين المعلوم عند أهل الملة أي السيد خير الأمم أو البشر أو المخلوقات وعلى كل تقدير يفيد سيادته لجميع المخلوقات، فيعلم من هذه الإضافة أنه ﷺ أفضل الخلق مطلقاً «محمد» هو أشهر أسمائه ﷺ به سماه جده عبد المطلب، ولما سمّاه قيل له: لم سميت ابنك محمداً وليس من أسماء قومك؟ قال: رجوت أن يُحمدَ في الأرض والسماء، وقد حقق الله تعالى رجاءه كما سبق في علمه لا سيما إن صح ما نقل عن جده أنه رأى سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب، ثم عادت كأنها شجرةً على كل ورقةٍ منها نورٌ فإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها، فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتعلق به أهل المشرق والمغرب ويحمده

---

(١) أخرجه أبو داود في السنة، باب ١٣، وابن ماجه في الزهد باب ٣٧، وأحمد في المسند ١/ ٥.

(٢) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ٣٥، ومسلم في الفضائل حديث ١٥٩.

(٣) أخرجه القاضي عياض في الشفاء ١/ ٢٦٥، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٢/ ١٠٥، ومناهل الصفا ٢٢.

أهل السماء والأرض وقد سمعت آمنة أمه ﷺ أيضاً قائلاً يقول لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وضعته فسميه محمداً وقد سمّاه الله بهذا الاسم قبل أن يخلق آدم عليه الصلاة والسلام بل قبل أن يخلقَ الخلق بألفي عام.

وروى ابن عساكر(١) عن كعب الأحبار(٢) أن آدم رآه مكتوباً على ساق

---

(١) ابن عساكر: هو علي بن محمد الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين، الحافظ ثقة الدين، أبو القاسم الدمشقي الشافعي، المعروف بابن عساكر، ولد في محرم سنة ٤٩٩هـ، وتوفي في رجب من سنة ٥٧١هـ، له من التصانيف: «إتحاف الزائر»، «الاجتهاد في إقامة فرض الجهاد»، «أربعين البلدان»، «أربعون حديثاً من أربعين شيخاً من أربعين مدينة»، «الأربعون الطوال»، «أربعين المساواة»، «أربعين المصافحات»، «الأحاديث الخماسيات وأخبار ابن أبي الدنيا»، «الأحاديث المتخيرة في فضائل العشرة»، «أخبار أبي عمرو الأوزاعي»، «الإشراف على معرفة الأطراف» في الحديث، «أمالي في الحديث»، «التاريخ الكبير لدمشق» مشهور، «تاريخ المزة»، «التالي لحديث ملك العالي»، «تبيان الوهم والتخليط الواقع في حديث الأطيط»، «تبيين الأمتان بالأمر بالختان»، «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي موسى الأشعري»، «ثواب الصبر على المصاب بالولد»، «جزء حديث الهبوط وجزء كفرسوسة»، «الزهادة في بذل الشهادة»، «سباعيات في الحديث»، «عوالي شعبة»، «عوالي الثوري»، «عوالي مالك»، «غرائب مالك»، «فضل أصحاب الحديث»، «فضل الجمرتين»، «فضل الربوة»، «فضل عاشوراء»، «فضل عسقلان»، «فضل مقام إبراهيم»، «القول في جملة الأسانيد في حديث المؤيد»، «كتاب الاعتزاز بالهجرة»، «كتاب السداسيات»، «كتاب المسلسلات»، «كتاب المعجم لمن سمع منه وأجاز له»، «فضل الكرم على أهل الحرم»، «فضائل الصديق»، «كتاب الأبدال»، «كتاب العزلة»، «كتاب المغطى في فضل الموطا»، «مسند أبي حنيفة»، «مسند أهل داريا»، «مسند مكحول»، «المصاب بالولدان»، «معجم الصحابة»، «معجم النسوان»، «مناقب الشبان»، «من وافقت كنيته كنية زوجته»، «الموافقات على الأئمة الثلاث الثقات» في الحديث، «تشريف يوم الجمعة»، «تقوية المنة على إنشاء دار السنة»، «الاقتداء بالصادق في حفر الخندق»، «تكميل الإنصاف والعدل بتعجيل الإسعاف بالعزل»، «تهذيب الملتمس من عوالي مالك بن أنس»، «رفع التخليط عن حديث الأطيط»، «ذكر البيان من فضل كتابة القرآن»، «دفع التثريب على من فسر معنى التثويب»، «حلول المحنة بحصول الابنة»، «الجواهر واللآلي في الأبدال العوالي»، «الجواب المبسوط لمن ذكر حديث الهبوط»، «مسلسل العيدين»، «المستفيد في الأحاديث السباعية الأسانيد»، «مجموع الرغائب مما وقع من حديث مالك الغرائب»، «معجم أسماء القرى والأمصار»، «معجم الشيوخ والنبلاء»، «معنى قول عثمان: ما تعنيت وما تمنيت»، «المقالة الفاضحة للرسالة الواضحة»، «من لا يكون مؤتمناً لا يكون مؤذناً»، وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ٧٠١ـ ٧٠٢).

(٢) كعب الأحبار: هو كعب بن ماتع الحميري، من أوعية العلم ومن كبار علماء أهل الكتاب، =

العرش وفي السموات وعلى كل غرفة وقصر في الجنة وعلى نحور الحور العين وعلى ورق شجرة طوبى وسدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين أعين الملائكة ولم يسم به أحد قبله، لكن لما قرب زمانه ونشر أهل الكتاب نعته سمى به قوم أولادهم رجاء النبوة لهم ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٤] عدتهم خمسة عشر.

واعلم أنه قد اختلف في أسماء ﷺ فقيل: ألف، وقيل: ألفان وعشرون، وقد ألف الحافظ ابن دحية[١] فيها تآليف ذكر فيه نحو ثلاثمائة اسم ونظم أبو عبد الله القرطبي[٢] فيها رجزاً فيه أيضاً تلك العدة، وقال الشيخ برهان الدين الحلبي[٣]: قد رأيت في القاهرة مجلدين يسمى المستوفى في أسماء المصطفى،

= أسلم في زمن أبي بكر الصديق، أخذ عنه الصحابة في زمن عمر، وأخذ من الكتاب والسنة عن الصحابة، توفي في خلافة عثمان. (الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٠٩).

(١) الحافظ ابن دحية: هو عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن فرح بن خلف الظاهري، الحافظ مجد الدين أبو الخطاب البلنسي الأندلسي، المعروف بابن دحية، سافر إلى مصر وسكن بها، ولد سنة ٥٤٨هـ، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٣٣هـ، له من المصنفات: «الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء النبي ﷺ من المعجزات»، «الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل الصفين»، «التحقيق في مناقب أبي بكر الصديق»، «تعليق على شهاب الأخبار للقضاعي»، «تنبيه البصائر في أسماء أم الكبائر»، «التنوير في مولد السراج المنير»، «الصارم الهندي في الرد على الكندي»، «العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور»، «مرج البحرين في فوائد المشرقين والمغربين»، «المستوفى في أسماء المصطفى ﷺ»، «المطرب من أشعار أهل المغرب»، «النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس»، «نهاية السول في خصائص الرسول ﷺ» وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ٧٨٦).

(٢) أبو عبد الله القرطبي: هو محمد بن أحمد بن أبي بكر فرج الأنصاري الخزرجي، شمس الدين أبو عبد القرطبي المالكي المتوفى بمنية ابن خصيب سنة ٦٧١هـ، له من المصنفات: «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، «الإعلام بما في دين النصارى وإظهار محاسن دين الإسلام»، «التذكار في فضل الأذكار»، «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، «جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان»، «شرح التقصي»، «قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة»، وغير ذلك. (كشف الظنون ٦/ ١٢٩).

(٣) برهان الدين الحلبي: هو إبراهيم بن محمد بن خليل بن أبي بكر القباقبي، برهان الدين الحلبي الشافعي، توفي بعد سنة ٩٠١هـ، له من المصنفات: «الأسئلة في البسملة»، «ألفية في المعاني والبيان»، «شرح الألفية لابن مالك في النحو»، «شرح تقريب التيسير» في الحديث، «شرح جمع الجوامع للسبكي»، «العقد المنضد في شروط حمل المطلق على =

وجمع الحافظ السخاوي[١] نحو أربعمائة وثلاثين ولكن ألذها للأسماع وأشوقها لتسكين لاعج الالتياع هذا الاسم الكريم، وإن كانت كل أسمائه بهذا المنزل العظيم، قال في مطالع المسرات: هو أشهر أسمائه ﷺ وأخصها وأعرفها وبه يناديه الله تعالى ويسميه في الدنيا والآخرة، وهو المختص بكلمة التوحيد وبه كنى آدم عليه السلام وبه تشفع وعليه صلى في مهر حواء وبه كان يسمي نفسه ﷺ فيقول: «أنا محمد بن عبد الله»، والذي نفس محمد بيده وفاطمة بنت محمد، ويكتب من محمد رسول الله، وبه يصلي عليه الملائكة، وبه يسميه عيسى عليه السلام في الآخرة حين يدل عليه للشفاعة، وبه سماه جبريل في حديث المعراج وغيره، وبه سماه جده إبراهيم عليه السلام في حديث المعراج أيضاً وبه سماه جده عبد المطلب حين ولد، وبه كان يدعوه قومه وبه ناداه ملك الجبال وبه صعد ملك الموت إلى السماء باكياً لما قبض روحه الشريفة ينادي وامحمداه وبه يسمى نفسه لخازن الجنان حين يستفتح فيفتح له إلى غير ذلك مما لم يحضرني الآن والله أعلم.

وقال الشيخ عبد الرحمان البسطامي[٢] في كتاب درة الظنون في رؤية قرة العيون: ثم إن هذا الاسم الشريف الأقدس لم يتسم به على الحقيقة أحد قبله ولا بعده، وإنما وقع للناس مشاركات في جهات من جهات لفظه لا من جهات معناه إذ ما من مخلوق سواه إلا ويلحقه نقص ما لو عدم التناهي في الكمال إلى رتبته

= المقيد»، «شرح القواعد نظم ابن الهائم»، «عمدة الطلاب في علم الحساب»، «نظم الإرشاد لشرف الدين المقري» في الفروع، وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ٢٣ـ ٢٤).

(١) هناك أكثر من واحد يسمى الحافظ السخاوي، منهم: بدر الدين السخاوي محمد بن محمد بن محمد (انظر ترجمته في كشف الظنون ٦/ ٢٠٤)، ومنهم: زين الدين السخاوي أبو بكر بن عبد الرحمان بن محمد (كشف الظنون ٥/ ٢٣٧). ومنهم: شرف الدين السخاوي علي بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو الحسن (كشف الظنون ٥/ ٧٠٧). ومنهم: علم الدين السخاوي علي بن محمد بن عبد الصمد، أبو الحسن (كشف الظنون ٥/ ٧٠٨)، ومنهم: شمس الدين السخاوي محمد بن عبد الرحمان بن محمد أبو الخير (كشف الظنون ٦/ ٢١٩)، ومنهم: نصر الله بن عبد الرحمان بن مكارم، أبو الفتح (كشف الظنون ٦/ ٤٩٣).

(٢) الشيخ عبد الرحمان البسطامي: عبد الرحمان بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد البسطامي الحنفي، زين الدين: فاضل، متصوف، مؤرخ، كاتب مترسل، له معرفة بتعبير الأحلام. ولد بأنطاكية وتعلّم بالقاهرة وسكن بروسة وتوفي بها. له كتب منها: «مناهج التوسل في مباهج الترسل».

ﷺ، فلا يكون محمداً على الإطلاق فإن الوصف بعدم بلوغ الغاية في الكمال نوع من الذم ومن يلحقه الذم بوجه ما فليس بمحمدٍ على الحقيقة فلا محمد إلا محمد، ولهذا المعنى لما أراد المشركون هجوه بالكلام المؤذي صرف الله عنه ذلك، لأن حقيقته لا تقتضيه بوجه من الوجوه فكانوا يهجون مذمماً وهو الشيطان مع بلوغ الغاية في النقص، فإن هذا الاسم جمع أسماء الشياطين لاشتماله على ما يتضمن نقصاً وللمباينة الواقعة بين هذين الاسمين وعدم الاشتراك بينهما في وصف من الأوصاف، لم يمكن للشيطان أن يتمثل على صورته ﷺ[1]. وقال المؤيد بروح القدس سيدنا حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه يمدح النبي ﷺ:

أغر عليه للنبوة خاتم ... من اللّه مشهود يلوح ويشهدُ

وضم الإلٰه اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

فإن قلت: إذا كان اشتقاق اسمه محمد من اسمه عز وجل ومحمود فلم بُولغ في هذا دون ذلك؟ قلت: قال بعضهم: أنه ﷺ لما كان بشراً وليس من شأن البشر الكمال في الأوصاف ولا بلوغ الغاية فيها احتيج للمبالغة في اسمه، للإعلام بأنه ليس كسائر البشر وهٰهنا فوائد.

الأولى: قال بعض الأفاضل: وفي اسمه ﷺ عشر خصائص: الأولى أنه أضاف اسمه إليه. والقانية تخليقه على صورة اسمه. والثالثة أنه قرن اسمه مع اسمه. والرابعة أنه كتب اسمه على ساق العرش، ويروى أن الله تعالى لمّا خلق العرش اضطرب فلما كتب عليه اسم محمد سكن. وفيه تنبيه على أن هذا المخلوق الأكبر لم يسكن حتى كتب عليه اسم هذا المخلوق الأكبر. والخامسة اشتقاق اسمه من اسمه المحمود. والسادسة جري سفينة نوح عليه السلام باسمه. والسابعة أنه وافق اسمه اسم الله تعالى في عدد الحروف. والثامنة أن الشياطين سخرت لسليمان بذكر اسمه. والتاسعة أن الله تعالى تاب على آدم عليه السلام

(١) في الحديث: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل على صورتي»، وقد روي الحديث بطرق وأسانيد متعددة، أخرجه البخاري في العلم باب ٣٨، والأدب باب ١٠٩، والتعبير باب ١٠، ومسلم في الرؤيا حديث ١٠، ١١، والترمذي في الرؤيا باب ٤، ٧، وابن ماجه في الرؤيا باب ٢، والدارمي في الرؤيا باب ٤، وأحمد في المسند ١/ ٣٧٥، ٤٠٠، ٢/ ٢٣٢، ٤١١، ٤٤٢، ٤٦٣، ٣/ ٤٦٩، ٣٥٠، ٥/ ٣٠٦.

باسمه، قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٣٧] ويروى أن آدم عليه السلام لما رأى اسم محمد ﷺ مكتوباً على ساق العرش قال: اللهم إني أسألك باسم محمد أن تتوب عليّ، فتاب عليه، وإلى هذا أشار السبكي(١) في تائيته بقوله:

رأى آدم في العرش ذكرك ثابتاً … يلي ذكر رب العالمين برفعهِ

فبات يناجي ربه متضرعاً … بحقك لمّا أن دعاه لبغيهِ

والعاشرة أن آدم عليه السلام كني باسم محمد دون سائر أولاده فكنى بأشرف كنية.

الثانية: استنبط بعض العلماء من اسم محمد ثلاثمائة وخمسة عشر رسولاً، فقال: فيه ثلاث ميمات وإذا بسطت كلاً منها فقلت: ميم وعددتها بحساب الجمل الكبير تسعون فيحصل منها مائتان وسبعون، وإذا بسطت الحاء والدال فقلت: دال بخمسة وثلاثين وجاء تسعة، فالجملة ما ذكر وأولو العزم منهم خمسة وقد نظم بعضهم أسماءهم بقوله:

محمد إبراهيم موسى كليمه … فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

واستنبط بعضهم من الاسم الشريف عدد الأنبياء مطلقاً وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وبيان ذلك أن هذا الاسم الشريف مشتمل على ميمين من غير تضعيف وعلى حاء ودال فتحسب من غير بسط بالجمل الصغير فالميمان بثمانية والحاء بثمانية والدال بأربعة، فالجملة عشرون تضرب في مثلها بأربعمائة وقد علمت أن الاستنباط الأول اشتمل على ثلاثة من عقود المئات وعقد واحد من عقود العشرات وهي عقود تامة، فتجعل لأتم المخلوقات وما سواها لمن يليهم في الفضل كالخلفاء والقطب ثم تضرب الأربعمائة الحاصلة من تربيع العشرين في الثلاثمائة وعشرة الحاصلة بالاستنباط الأول يحصل مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وأما الخمسة الزائدة على الثلاثمائة وعشرة نجعل منها أربعة إشارة للخلفاء

---

(١) أبو الحسن السبكي: هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علي بن مسوار بن سوار بن سليم السبكي (بضم السين المهملة، قرية من قرى منوف بمصر)، الحافظ تقي الدين أبو الحسن الفقيه الشافعي، ولد سنة ٦٨٣هـ، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٥٦هـ. له العشرات من المصنفات. (كشف الظنون ٦/ ٧٢٠-٧٢٢).

الراشدين وواحداً للقطب الفرد، والله تعالى أعلم.

الثالثة: قال قوم: إن معنى الميم مَحْقُ الكفر بالإسلام أو محو سيئات من اتبعه، وقيل: الميم منَّ الله على المؤمنين بمحمد ﷺ دل عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٦٤] وقيل: الميم منذر ومبشر، وأما الحاء فقيل: حكمة بين الخلق بحكم الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النِّساء: الآية ٦٥]. وقيل: حياة أمته به، وأما الميم الثانية فمغفرة الله لأمته وقيل منادي الموحدين، وأما الدال فهو الداعي إلى الله، قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزَاب: الآية ٤٦]. فهو دليلهم في الدنيا والآخرة إلى الجنة.

الرابعة: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «يوقف عبدان بين يدي الله عز وجل فيأمر بهما إلى الجنة فيقولان: ربنا بما استأهلنا الجنة ولم نعمل عملاً يجازينا الجنة، فيقول الله: عبديّ أدخلا الجنة فإني آليت على نفسي لا يدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد»(١).

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال الله: وعزتي وجلالي لا عذبت أحداً تسمى باسمك في النار»(٢)، وروي: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ألا ليقم من اسمه محمد فيدخل الجنة لكرامة اسمه ﷺ»(٣)، وفي لفظ آخر: «ينادى يوم القيامة: يا محمد، فيرفع رأسه من اسمه محمد في الموقف فيقول الله: أشهدكم أني قد غفرت لكل من اسمه محمد»(٤).

وعن أبي أمامة(٥) أنه قال: من ولد له مولود فسماه محمداً تبركاً كان هو

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ١٥٧، وابن عراق في تنزيه الشريعة ١/ ١٧٣، والسيوطي في اللآلىء المصنوعة ١/ ٥٥.

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٢٩٦، ٣٥٣، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٩/ ٢١١، والمتقي الهندي في كنز العمال ٥٨٧٨.

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٠٦.

(٤) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٥) هو أبو أمامة الباهلي: هو صدي بن عجلان بن وهب، الصحابي المعروف، توفي سنة ٨١هـ، وقيل سنة ٨٦هـ. (انظر ترجمته في البداية والنهاية ٩/ ٨١ (وفيه توفي سنة ٨٧هـ)، تهذيب الكمال ٩/ ٩٣، كتاب الوفيات ٨٣، شذرات الذهب ١/ ٩٦، الإصابة ترجمة رقم ٤٠٥٤).

ومولوده في الجنة. رواه صاحب الفردوس، وقال الشيخ أحمد القسطلاني رحمه الله تعالى: روينا عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قال: ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد إلا قدّس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين.

وذكر ابن الحاج في المدخل عن الحسن البصري[١]: أن الله تعالى ليوقف العبد بين يديه اسمه أحمد أو محمد فيقول الله تبارك وتعالى: يا عبدي أما تستحي تعصيني وأنت اسمك على اسم حبيبي محمد ﷺ، فينكس العبد رأسه حياء من الله عز وجل ويقول: اللهم إني قد فعلت، فيقول الله عز وجل: يا جبريل خذ بيدي عبدي وأدخله الجنة فإني أستحي أن أعذب من اسمه على اسم حبيبي.

وعن علي بن موسى الرضا[٢] عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سميتم محمداً فعظموه ووقروه وبجلوه ولا تذلوه ولا تقهروه ولا تردوا له قولاً»[٣] تعظيماً لمحمد ﷺ.

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ولد له ثلاثة من الولد ولم يسم أحداً منهم محمداً فقد جهل»[٤]. وقال ﷺ: «قال الله تعالى: لا أعذب أحداً تسمى باسمك في النار»[٥].

وعن علي[٦] كرّم الله وجهه أنه قال: ما اجتمع قوم في مشورة مع رجل منهم

---

(١) الحسن البصري: تقدمت ترجمته.

(٢) هو علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أبو الحسن الملقب بالرضا، ولد بالمدينة سنة ١٥٣هـ وتوفي بطوس سنة ٢٠٣هـ. ثامن الأئمة الاثني عشرية، من سادات أهل البيت وفضلائهم (الأعلام ٥/ ٢٦، ابن الأثير ٦/ ١١٩، تاريخ الطبري ١٠/ ٢٥١، منهاج السنة ٢/ ١٢٥، تاريخ اليعقوبي ٣/ ١٨٠، وفيات الأعيان ١/ ٣٢١، نزهة الجليس ٢/ ٦٥).

(٣) أخرجه السيوطي في اللآليء المصنوعة ١/ ٥٣، والفتني في تذكرة الموضوعات ٨٨.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٧١، والهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٥، ٨، ٤٩، والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٥٢٠٤، والسيوطي في الحاوي للفتاوى ٢/ ٤٧، واللآليء المصنوعة ١/ ٥٣، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة ٤١٥، والفتني في تذكرة الموضوعات ٨٩، وابن عراق في تنزيه الشريعة ١/ ١٧٢، ١٧٤، ١٧٩، ١٩٨، ٤٧٠، ٤٧١، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ١٥٤.

(٥) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٦) هو الإمام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، الهاشمي، أبو الحسن، أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشّرين بالجنة، وابن عم رسول الله ﷺ وصهره، وليّ الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه. قتل سنة ٤٠هـ.

اسمه محمد فلم يُدخلوه ألا لم يبارك لهم.

وعن أبي هريرة[١] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسمي»[٢].

وقال الشيخ مصطفى البكري نفعنا الله بأسراره: ومن فوائد هذا الاسم الكريم أن من قرأه كل ليلة اثنتين وعشرين مرة كثرت رؤيته للنبي ﷺ. وبالجملة ففضائل هذا الاسم الكريم لا تحصى، وأعظم من أن تستقصى، نفعنا الله ببركاته آمين.

«السابق للخلوة نوره» الخلق مصدر خلق وهو الأصل فيه، ويطلق الخلق بمعنى المفعول كثيراً فإن أريد به هنا المعنى المصدري كانت اللام بمعنى في أو عند أي السابق في إيجاد الكائنات أو عند إيجادها نوره ويؤيده حديث جابر رضي الله عنه حيث قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله تعالى فقال: «هو نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير، وخلق بعده كل شيء حين خلقه أقامه قدّامه في مقام القرب اثنتي عشرة ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزينة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحب اثنتي عشرة ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام،

---

(١) أبو هريرة: الدوسي، وقد اختلف في اسمه في الجاهلية والإسلام، واسم أبيه على أقوال متعددة، والأشهر أن اسمه عبد الرحمان بن صخر الدوسي اليماني، وهو من الأزد، ثم من دوس ويقال: كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، وقيل: عبد نهم، وقيل: عبد غنم، ويكنى بأبي الأسود، فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله، وقيل: عبد الرحمان، وكناه أبو هريرة، وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال له: «أبا هر»، وثبت أنه ﷺ قال له: «يا أبا هريرة». كان أحفظ الصحابة لحديث رسول الله ﷺ بلغت مروياته ٥٣٧٤ حديثاً. قال البخاري: روى عنه نحو من ٨٠٠ رجل أو أكثر من أهل العلم، من الصحابة والتابعين وغيرهم. توفي سنة ٥٩هـ. (انظر ترجمته في: البداية والنهاية ٨/ ١٠٩ـ ١٢١، الكواكب الدرية ١/ ٨٤، الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/ ٢٤٢، كتاب الثقات لابن حبان ٣/ ٢٨٤، كتاب الوفيات ص ٧١، تهذيب الكمال ٢٢/ ٩٠، المعارف لابن قتيبة ٢٧٧، حلية الأولياء ١/ ٣٧٦، النجوم الزاهرة ١/ ١٥١، تاريخ الخميس ٢/ ٢٩٦، صفة الصفوة ١/ ٢٢٣، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٢٢، تهذيب التهذيب ١٢/ ٢٦٢).

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٦/ ٢١٦٩، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ١٥٦، والسيوطي في اللآلىء المصنوعة ١/ ٥٤.

فخلق القلم من قسم واللوح من قسم، والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثنتي عشرة ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس من جزء وخلق القمر والكواكب من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثنتي عشرة ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء خلق العقل من جزء، والحلم والعلم من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثنتي عشرة ألف سنة ثم نظر الله عزَّ وجل إليه فترشح النور عرقاً فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفاً وأربع آلاف قطرة من النور، فخلق الله سبحانه من كل قطرة روح نبي ورسول ثم تنفست أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فخلق الله من نور أنفاسهم نور الأولياء والشهداء والسعداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة، فالعرش والكرسي من نوري، والكروبيون من نوري، والروحانيون من الملائكة من نوري، والجنة وما فيها من النعيم من نوري، وملائكة السموات السبع من نوري، والشمس والقمر والكواكب من نوري، والعقل والعلم والتوفيق من نوري، وأرواح الأنبياء والرسل من نوري، والشهداء والصالحون من نتائج نوري، ثم خلق الله اثني عشر حجاباً، فأقام الله نوري وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنةٍ وهي مقامات العبودية وهي حجب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين، فعبد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة فلما خرج النور من الحجب ركَّبه الله في الأرض فكان يضيء منه ما كان بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم، ثم خلق الله من الأرض آدم فركَّب فيه النور في جبينه ثم انتقل منه إلى شيث وكان ينتقل من طاهر إلى طيب ومن طيب إلى طاهر إلى أن أوصله الله إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب ومنه إلى رحم أمي آمنة، ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلينْ وخاتم النبيين ورحمة للعالمين وقائد الغر المحجلين هكذا كان بدء خلق نبيك يا جابر»(١)، انتهى ما قاله الكازروني في سيرته.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله مم خلقت؟ فأطرق صلوات الله وسلامه عليه، وعليه عرق كالجمان فقال: «يا علي لما عرج بي إلى السماء وكنت من ربي قاب قوسين أو أدنى أوحى إليّ ربي ما أوحى فقلت: يا رب مم خلقتني؟ فقال: يا محمد لما نظرت إلى صفاء بياض

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفاء ١/ ٣١٠.

نوري خلقته بقدرتي وأبدعته بحكمتي وأضفته تشريفاً له إلى عظمتي استخرجت منه جزءاً فقسمته ثلاثة أقسام فخلقتك أنت وأهل بيتك من القسم الأول، وخلقت أزواجك وأصحابك من القسم الثاني، وخلقت من أحبكم من القسم الثالث، فإذا كان يوم القيامة عاد كل حسب ونسب إلى حسبه ونسبه ورددت ذلك النور إلى نوري فأدخلتك أنت وأهل بيتك وأصحابك ومن أحبهم جنتي فأخبرهم بذلك يا محمد»[١].

وقوله: كالجمان، هو جمع جمانة بالضم فيهما قال الجوهري[٢]: الجمانة حبة تعمل من الفضة كالدرة وجمعها جمان.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد ﷺ قبل أن يخلق السموات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وآدم ونوحاً والأنبياء جميعاً بأربعمائة ألف عام، وخلق معه اثني عشر حجاباً: حجاب القدرة، وحجاب العظمة، وحجاب المنة، وحجاب الرحمة، وحجاب السعادة، وحجاب الكرامة، وحجاب المنزلة، وحجاب القوة، وحجاب الهيبة، وحجاب الشفاعة، وحجاب الكبرياء، وحجاب الرفعة، ثم جلس نور محمد ﷺ في حجاب القدرة اثنتي عشرة ألف سنة ولم يزل ينقله من حجاب إلى حجاب إلى أن بلغ إلى حجاب الرفعة، ثم أظهر الله تعالى اسم محمد ﷺ على اللوح بالنور أربع آلاف سنة، ثم أظهره على العرش فكان على ساق العرش مثبتاً سبع آلاف سنة، فجعل النور يطوف بالقدرة فإذا بلغ الموضع الذي أمره الله بالسجود فيه سجد فبقي في سجوده مائة سنة وهو يقول: سبحان العالم الذي لا يجهل، سبحان الحليم الذي لا يعجل سبحان الجواد الذي لا يبخل إلى أن وضعه في صلب آدم عليه السلام.

وعن بعضهم: أن خلق النور المحمدي كان قبل جميع الأشياء بألف ألف سنة وستمائة ألف وسبعمائة سنة، هكذا رواه بعض العارفين والعهدة عليه، ولا

---

(١) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٢) الجوهري: هو إسماعيل بن حماد الجوهري، الإمام أبو نصر الفارابي اللغوي، من أبناء الترك، سكن نيسابور، وتوفي بها سنة ٣٩٣هـ، له من المصنفات: «إصلاح خلل الصحاح»، «الصحاح في اللغة»، «شرح أدب الكاتب»، «كتاب بيان الإعراب»، «كتاب العروض»، «مقدمة في النحو». (كشف الظنون ٥/ ٢٠٩).

مانع من حيث القدرة الإلٰهية فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام: كم عمرت من السنين؟ قال: والله لا أدري، غير أن كوكباً في الحجاب الرابع يظهر في كل سبعين ألف سنة مرة فرأيته اثنتين وسبعين ألف مرة، فقال النبي ﷺ: يا جبريل وعزَّة ربي أنا ذلك الكوكب[١]. فهذا وأشباهه لا يستحيل على قدرة القادر الخلاق ولا يخفى أن هذه الأحاديث دالة على أوليته ﷺ وأن نوره سابق عند خلق الأشياء.

قال بعض العارفين: لما كان تعالى كنزاً مخفياً، فأحب أن يعرف توجهت الذات إلى الأسماء والصفات، فاستوفزت بكمالها، وانتهضت لإظهار جمالها وجلالها، فأظهرت الذات الإلٰهية الذات النبوية، وخلعت الأسماء والصفات الربانية الكرامات والكمالات الاصطفائية، فبرزت من ذلك الحقيقة المحمدية قبل وجود شيء من البرية، كما جاءت بذلك الأخبار الصحيحة المروية إذ أخبر ﷺ: «إن أول ما خلق الله درّة بيضاء»[٢] الحديث، وتلك الدرة هي العقل الذي أخبر به ﷺ بقوله: «أول ما خلق الله العقل»[٣] الحديث، وذلك هو نور محمد ﷺ الذي أخبر عنه فيما رواه جابر رضي الله عنه لما سأله عن أول شيء خلقه الله تعالى، فقال: «هو نور نبيك يا جابر»[٤] الحديث.

وأما إذا جعل الخلق بمعنى المخلوق فاللام على بابها ويكون معنى الكلام اللهم صل على سيدنا محمد الذي سبق نوره للخلق، ولا شك أن كل مخلوق فالسابق له نور النبي ﷺ إذ هو الأصل في الإيجاد والإمداد، قال ﷺ: «أول ما خلق الله نوري ومن نوري خلق كل شيء»[٥]. قال بعضهم: لمّا سمحت يد العناية بإنشاء الدوحة الآدمية فرعاً وأصلاً وأبرز لها الطلعة الأحمدية وجعلها للكرامة محلاً وأهلاً أنشأ لأجله العالم جزءاً وكلاً فقدم وجوده على وجودِه فاستمد من وابل فضله وجوده ولما تعلقت إرادته بخلقه وحكمت مشيئته بتقدير رزقه أصل من

---

(١) الحديث لم أجده.
(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.
(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١/ ٤٥٣، والسيوطي في اللآلىء المصنوعة ١/ ٦٨.
(٤) تقدم الحديث مع تخريجه.
(٥) انظر تخريج حديث: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر». أخرجه العجلوني في كشف الخفا ١/ ٣١٠.

الأنوار الصمدية طلعةً مصطفاه وأقامها في الحضرة الأحدية تفضيلاً على ما سواه وفرع عنها العوالم كلياً وجزئياً علوياً وسفلياً طبق تيسيره وحكمه ووفق تقديره وسابق علمه معلماً له برسالته ونبوته وآدم كما قال منجدل في طينته ثم انبجست عنه عيون الأرواح فظهر بالملأ الأعلى وهو بالمنظر الأجلى لذي التهتك والافتضاح، فكان لهم مورداً زلالاً وسحراً مستعذباً حلالاً، فهو ﷺ الجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس.

قال في مطالع المسرات: ولولا سبقية نوره ﷺ للأرواح ما أقرت كلها بالربوبية يوم السبت. وقال بعض العارفين: وفي قوله سبحانه لنبيه آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام: لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضاً، أدل دليل على أنه الأصل في الإجمال والتفصيل، والواسطة حتى في النقير والفتيل، فسبحان من جعل مددنا من ذلك النور العظيم، وقوامنا بواسطة النبي الحبيب الكريم، فله الحمد على ذلك والثناء الفخيم، وعلى نبيه منه لديه أفضل الصلاة والتسليم، وقد قلت:

خلق اللَّه نور كل الوجود	فبدأ مشرقاً بفرط الوقودِ
خلق اللَّه نور طه المعلا	من غدا فائزاً بقدرٍ حميدِ
جعل اللَّه نور خير البرايا	عابد أزْمُناً بغير حدود
قائماً في عبادةٍ بخضوعٍ	وركوعٍ لربه وسجود
خلق اللَّه منه شمساً وبدراً	مع كرسيه وعرشٍ مجيد
وكذاك ملائك ثم حور	ذات حسن حلَلَن دار الخلود
يا لها منة علينا فإنا	قد ظفرنا بخير قدرٍ مشيد
وظفرنا بكل خيرٍ عظيمٍ	ثم فزنا بخير فضلٍ مديد
حين منَّ الإلٰه عنا ببدر	سعده مخجل لسعد السعود
عَطَّر اللَّه نشره في البرايا	ثم أبدا أنواره في الوجود
جاءنا رحمة وكنزاً ونوراً	فضله شاملٌ لكل العبيد
ربنا زده رفعةً وارتقاءً	كل حينٍ بكثرةٍ ومزيد
وأفض عن قلوبنا من سناه	واكسنا من بهاه أسنى البرود
وأعنا على التقوى وأنلنا	كل سؤل من بحر فضلٍ وجود

واختم العمر بالسعادة واجعل يوم نلقاك فائقاً يوم عيد
واجعل القبر روضة بنعيم نشره فائح كمسكٍ وعود
وأنلنا القصور في دار عدن قد حوت رفعةً وفرط السعود
في جوار النبي خير البرايا من سما قدره بغير جحود
صل يا رب كل حين عليه ما غدا البان مائساً بالقدود
مع أزواجه وآل وصحب من غدوا خير رُكَّعٍ وسجود

والرحمة بالتعريف وإثبات الواو في أكثر نسخ حزب الشيخ رضي الله عنه، وفي بعض نسخه المعتمدة بالتنكير مع إثبات الواو. وعند السخاوي[١] بالتعريف وإثبات الواو، وفي جميع نسخ دلائل الخيرات بالتنكير وإثبات واو العطف، إلا أنه في بعضها بالجر وفي بعضها بالرفع وهو الذي في نسختين مقابلتين بالنسخة السهلية وهي النسخة التي صححها الشيخ الجزولي[٢]، وكتب على ظهرها وفي حواشيها وهي منسوبة لكبير تلامذة الشيخ أبي عبد الله محمد الصغير السهلي رضي الله عنهما، وكتبت قبل وفاة المؤلف بثماني سنين، إذ ذكر كاتبها أنه أكملها ضحى يوم الجمعة سادس ربيع الأول عام اثنين وستين وثمانمائة والشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي توفي رحمه الله سادس عشر ربيع الأول عام سبعين وثمانمائة.

أما التعريف فهو الظاهر لأنه لا بد من موافقة النعت للمنعوت تعريفاً وتنكيراً، وأما واو العطف فلأجل عطف النعت الثاني على الأول، ولا شك أن النعوت يجوز فيها ذلك كما هو مقرر في محله، وأما التنكير فلا يتجه إلا مع الرفع فيكون ظهوره مبتدأ ورحمةً خبره والجملة صلة لموصول محذوف وذلك جائز على مذهب الكوفيين والبغداديين والأخفش[٣].

---

(١) السخاوي: تقدمت ترجمته.

(٢) الجزولي: تقدمت ترجمته.

(٣) الأخفش: هو سعيد بن مسعدة المجاشعي، أبو الحسن البصري الفقيه النحوي، المعروف بالأخفش الأوسط، توفي سنة ٢٢١هـ، من تصانيفه: «كتاب الأربعة»، «كتاب الاشتقاق»، «كتاب الأصوات»، «كتاب الأوسط»، «كتاب العروض»، «كتاب القوافي»، «كتاب المسائل الصغير»، «كتاب المسائل الكبير»، «كتاب المقاييس»، «كتاب الوقف التام»، «معاني الشعر»، «معاني القرآن». (كشف الظنون ٥/ ٣٨٨).

قال ابن مالك[١] في التسهيل[٢]: وقد يحذف ما علم من موصول غير الألف واللام فيكون التقدير والذي ظهوره رحمة للعالمين اسم جمع لعالم.

قال الجوهري[٣]: العالم الخلق والجمع العوالم والعالمون أصناف الخلق وعبارته قاضية بأن العالمين ليس جمعاً لعالم وهو كذلك لأن العالم عام في العقلاء وغيرهم إذ هو كل نوع أو جنس فيه علامة يمتاز بها عن سائر الأنواع والأجناس، فيقال في الأنواع: عالم الإنسان وعالم الطير وعالم الخيل، ويقال في الأجناس: عالم الحيوان وعالم الأجسام وعالم النبات والعالمون مختص بالعقلاء والخاص لا يكون جمعاً لما هو أعم منه وإلى هذا ذهب ابن مالك وابن هشام وذهب كثير من النحويين إلى أنه جمع عالم، ثم اختلفوا في تفسير العالم الذي جمع هذا الجمع فذهب بعضهم إلى أنه أصناف الخلق العقلاء وغيرهم وهو ما يقتضيه كلام الجوهري، وذهب بعضهم إلى أنه أصناف العقلاء فقط وهم الإنس والجن والملائكة.

قال في مطالع المسرات: والعالمون جمع عالم على الصحيح ولا يجمع

---

(١) ابن مالك: هو محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الأندلسي المعروف بابن مالك النحوي المالكي، ولد سنة ٦٠٠هـ، وتوفي بدمشق سنة ٦٧٢هـ، له من الكتب: «الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد»، «الاعتماد في نظائر الظاء والضاد»، «الأفعال وتصريفها»، «افعل وافعل»، «إكمال الأعلام بمثلث الكلام»، «ألف الإبدال»، «ألفية في النحو» منظومة، «إيجاز التعريف شرح ضروري التصريف له»، «بغية الأريب وغنية الأديب» في الأصول، «بلغة ذوي الخصاصة في شرح الخلاصة»، «تحفة المودود في المقصور والممدود»، «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» في النحو وخلاصة الشافية، «التصريف»، «التعريف شرح ضروري التصريف»، «حوز المعاني في اختصار حرز الأماني»، «السبك المنظوم وفك المختوم في حل الموصل»، «شرح الاعتضاد له»، «شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح للبخاري»، «الضرب في معرفة لسان العرب»، «ضروري التصريف»، «عدة الحافظ وعمدة اللافظ» في النحو «العروض»، «فتاوى في العربية»، «الفوائد» في النحو، «قصيدة دالية في القراءات»، «كافية الشافية» في النحو، «لامية الأفعال»، «المثلث» في النحو، «مقدمة الأسدية» في النحو، «المنهاج الجلي شرح قانون الجزولي»، «الموصل في شرح المفصل للزمخشري»، «النظم الأجز فيما يهمز وما لا يهمز»، «نظم الفوائد له»، «الوافية في شرح الكافية له». (كشف الظنون ٦/ ١٣٠).

(٢) هو كتاب «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» في النحو.

(٣) الجوهري: تقدمت ترجمته.

فاعل بالواو والنون غيره وهو ما نصب علماً على العالم بصانعه، ولما كان كل نوع مستقلاً بالدلالة على موجوده تعددت العوالم وسمي كل نوع عالماً، وجمع فقيل عالمون، لأنه يقال: عالم الحيوان وعالم الإنس وعالم الجن وعالم الملائكة وعالم النبات وغير ذلك، وجمع بالواو والنون تغليباً للعقلاء كالإنسان والملك ولأنه الأصل فيهم وغيرهم تطفل عليهم. وعلى هذا القول يكون جمع تصحيح لم يستوف الشروط لأنه ليس بعلم ولا صفة.

واعلم أن ما تقدم من التعميم في مسمى العالم هو التحقيق وأما تخصيصه بذوي الروح أو بالإنس أو بالثقلين والملائكة أو بالثلاثة مع الشياطين أو بأهل الجنة والنار أو بالروحانيين فيحتاج إلى دليل، وقد نقل عن المتقدمين أعداد مختلفة في العوالم:

قال مقاتل[(١)]: هي ثمانون ألف عالم نصفها في البر ونصفها في البحر.

وقال الضحاك[(٢)]: هي ثلاثمائة وستون عالماً، ثلاثمائة عالم حفاة عراة لا يعرفون خالقهم، وستون عالماً مكسوون يعرفونه.

وقال ابن المسيب[(٣)]: لله ألف عالم، ستمائة في البحر وأربعمائة في البر.

وقال ابن منبه[(٤)]: ثمانية عشر ألف عالم وما العمران منها في الخراب إلا

---

(١) مقاتل: هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني أبو الحسن المروزي، المتوفى سنة ١٥٠هـ. له من المصنفات: «تفسير القرآن»، «كتاب الأقسام واللغات» «كتاب الآيات المتشابهات» «كتاب التقديم والتأخير»، «كتاب الجوابات في القرآن»، «كتاب الرد على القدرية»، «كتاب القراءات»، «كتاب الناسخ والمنسوخ»، «نوادر التفسير». (كشف الظنون ٦/ ٤٧٠).

(٢) الضحاك: هو الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي التابعي المفسر المتوفى سنة ١٠٢هـ، له: «تفسير القرآن». (كشف الظنون ٥/ ٤٢٨).

(٣) ابن المسيب: هو سعيد بن المسيب أبو محمد المخزومي كان من سادات التابعين فقهاً وورعاً، وكان أعلم الناس بقضاء عمر وعثمان، توفي سنة ٩٤هـ، وقيل: سنة ٩٣هـ. (أسماء التابعين ١/ ١٤٧).

(٤) ابن منبه: هو الحافظ أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل الأنباري الصنعاني الأخباري، عالم اليمن، توفي سنة ١١٤هـ، له من المصنفات: «أخبار الملوك المتوجة من حمير»، «الإسرائيليات»، «تفسير القرآن»، «فتوح البلاد»، «قصص الأخبار». (انظر ترجمته في: كشف الظنون ٦/ ٥٠١، كتاب الوفيات ص ١١١، الكواكب الدرية ١/ ٣١٧).

كبساط في صحراء.

وقال كعب الأحبار[١]: لا يحصى عدد العالمين أحد غير الله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدَّثِّر: الآية ٣١]، وهذا يقرب مما ذكره الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الأندلسي[٢] في حواشي شرح مقدمات العلامة السنوسي عن الشيخ أحمد بن عبد الرحمان بن كوار: أنه سئل عن شيء من قدرة الله تعالى ومخلوقاته، فقال: إن لله تعالى في السماء بحراً من رمل يجري كالريح العاصف منذ خلق الله السموات والأرض إلى يوم القيامة ولا يدري من أين ولا إلى أين ولله سبحانه بعدد كل ذرة فيه دنيا مثل دنياكم هذه، وما من ساعة تمضي من ليل ولا نهار إلا ولله سبحانه قيامة تقوم على قوم وميزان ينصب وصراط يمد وقوم يدخلون الجنة وقوم يدخلون النار. زاد في بعض الروايات: وهما غير الجنة والنار المعهودتين.

فائدة: قال الشيخ مصطفى البكري قدّس سره: أخبرني بعض المكاشفين أن لله تعالى عالماً فيه قويُ هذا العالم ضَعيفٌ وضعيفهُ قويٌ، فالنعجمة فيه تغلب الذئب والأرنب تغلب الأسد وهلم جراً، فسبحان الواسع العليم النافذ أمره «ظهوره» أي ظهور روحه وخروجه من العدم إلى الوجود ثم ظهور جسده كل ذلك رحمة للعالمين.

قال بعض العارفين: أن الله تبارك وتعالى جلّ ذكره وتقدّست أسماؤه لما أراد أن يتعرّف إلى خلقه وأن يعمهم بجزيل نعمته واقتضى فضله العظيم أن يمن على العباد بالمعرفة وأن يفيض عليهم من بحار رحمته. وعلم تعالى عجز عقول جميعهم عن التلقي من ربوبيته، جعل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بينه وبين خليقته، وجعل لهم الاستعداد لقبول ما يرد عليهم من إلٰهيته، يتلقونه منه بما أودعه فيهم من سر خصوصيته، ويلقونه عنه بأمره لعباده جمعاً لهم على أحديته، والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام برازخ الأنوار، ومعادن الأسرار، قد حرس الله تعالى ظواهرهم وبواطنهم في الأزل عن رق الأغيار، وصانهم بعنايته قبل وجودهم عن التعلق بالآثار، وجعلهم رحمة للخلائق وهداة، ومنة للعوالم معطاة، وجعلهم خيار من والاه، وأقرب من أحبه وأدناه، يلقي الروح من أمره عليهم، ويواصل الأمداد بالتأييد إليهم، فهم لذلك نجوم الهدى

---

(١) كعب الأحبار: تقدمت ترجمته.

(٢) أبو إسحاق إبراهيم الأندلسي: هو إبراهيم بن جعفر، أبو إسحاق الفقيه العالم.

وبدور العلم وشموس المعارف الاقتداء. وما زال أمر النبوّة والرسالة دائراً حتى عاد الأمر من حيث بدأ، وختم بمن جعله الله رحمة وهدى وهو نبينا محمد ﷺ السيد الكامل الفاتح الخاتم نور الأنوار وسر الأسرار، المبجَّل في هذه الدار ودار القرار، فهو أعلا المخلوقين مناراً، وأعظمهم فضلاً وأتمهم فخاراً، دلّ على ذلك الكتاب المبين، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبيَاء: الآية ١٠٧] ومن رحم به غيره فهو أفضل من غيره والعالم كل موجود سوى الله تبارك وتعالى، فنبينا محمد ﷺ هو الرحمة وجمع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام خلقوا من الرحمة كما ذكره سيدنا الشيخ أبو العباس المرسي الشاذلي[١] رضي الله عنه.

وقال القاضي عياض[٢] في الشفاء: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبيَاء: الآية ١٠٧].

قال أبو بكر بن طاهر[٣] رحمه الله تعالى ورضي عنه: فقد زيّن الله تعالى نبينا محمد ﷺ بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن أصابه شيء منها فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما

---

(١) أبو العباس المرسي: هو أحمد بن محمد بن بلال الحافظ أبو العباس الأندلسي المرسي المالكي، توفي سنة ٤٦٠هـ، له من المصنفات: «شرح إصلاح المنطق لابن السكيت»، «شرح غريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام». (كشف الظنون ٥/ ٧٩).

(٢) عياض: هو عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى، القاضي أبو الفضل اليحصبي البستي المراكشي، المحدث المالكي، ولد سنة ٤٧٦هـ، وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤هـ، من تصانيفه: «الأجوبة المخيرة عن الأسئلة المحيرة»، «أخبار القرطبيين»، «الإعلام في حدود الأحكام»، «إكمال المعلم شرح صحيح مسلم»، «الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع»، «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد»، «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب الإمام مالك»، «جامع التاريخ»، «السيف المسلول على من سبّ أصحاب الرسول»، «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، «الصفا بتحرير الشفا»، «العيون الستة في أخبار سبتة»، «غريب الشهاب»، «غنية الكاتب وبغية الطالب»، «القواعد»، «كتاب العقيدة»، «مشارق الأنوار في اقتفاء صحيح الآثار الموطأ والصحيحين» في الحديث، «مشارق الأنوار» في تفسير غريب الحديث، «مطامح الأفهام في شرح الأحكام»، «نظم البرهان على صحة جزم الأذان». (كشف الظنون ٦/ ٨٠٥).

(٣) أبو بكر بن طاهر: هو أبو بكر بن طاهر بن مغوّر المفاخري الشاطبي، عالم ورع، توفي سنة ٣٣٠هـ.

إلى كل محبوب، ألا ترى أن الله يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبيَاء: الآية ١٠٧]، فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه السلام: «حياتي خير لكم وموتي خير لكم»[١]، وقال: «إذا أراد الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً»[٢].

وقال السمرقندي: رحمة للعالمين، يعني الجن والإنس، وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالأمان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب.

قال ابن عباس: هو رحمة للمؤمنين والكافرين إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة.

وحكي أن النبي ﷺ قال لجبريل: هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال: نعم، كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله عليّ بقوله تعالى: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: الآيتان ٢٠، ٢١].

وقال الشيخ سيدي عبد الجليل القصري[٣] في كلامه على قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبيَاء: الآية ١٠٧]: فهو صلى الله عليه وسلم المرحوم به العالم بنص هذه الآية وإن كل خير ونور وبركة شاعت وظهرت في الوجود أو تظهر من أول الإيجاد إلى آخره إنما ذلك بسببه ﷺ.

وقال في مطالع المسرات عند كلامه على رسول الرحمة ﷺ: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبيَاء: الآية ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبَة: الآية ١٢٨]، وقال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة»[٤]، وقال:

---

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٩/ ١٧٦، ١٧٧، وابن حجر في المطالب العالية ٣٨٥٣، والسيوطي في الحاوي للفتاوى ٢/ ٣، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢/ ٢/ ٢، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣١٩٠٣، ٣١٩٠٤، ٣٥٤٧٠، وابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ٢٧٥، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٣/ ٩٤٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٤.

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٢/ ٤٩٦، بلفظ: «إذا أراد الله بأمة خيراً قبض نبيها قبلها».

(٣) عبد الجليل القصري: لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٤) أخرجه الشهاب في مسنده ١١٦٠، ١١٦١، وابن كثير في تفسيره ٥/ ٣٨١، والبغوي في شرح السنة ١٣/ ٢١٣، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٨٠٠، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين =

«إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً»[١] فبعثه الله تعالى رحمةً لأمّته ورحمة للعالمين حتى للكفار بتأخير العذاب والمنافقين بالأمان فمن اتّبعه رحم به في الدنيا بنجاته فيها من العذاب المخلّد والخزي المؤبد وبتعجيل الحساب وبتضعيف الثواب وحصوله على الخير الكثير والملك الكبير.

وقال في مفتاح الرحمة: أنه ما رحم أحد في الدنيا ديناً أو دنيا، ظاهراً أو باطناً، ولا يرحم في الآخرة إلا على يديه وبما خرج من عنده ومتابعته ﷺ.

«عدد» العدد الكمية المنفصلة وهو ما تألف من الآحاد، قال الجوهري: عددت الشيء عدّاً أحصيته، والاسم العدد والعديد، يقال: هم عديد الحصى والثرى في الكثرة وهو منصوب على النيابة عن المصدر النوعي أي صلاة قدر عدد «من مضى» أي ذهب.

قال الجوهري: مضى الشيء مضياً ذهب ومضى في الأمر مضاء نفذ. «من خلقك» أي مخلوقاتك بيان لمن، ويحتمل أن يراد بالخلق العقلاء لأن من موضوعة للعالم، ويحتمل أن يراد العقلاء وغيرهم إذ لفظ من يطلق على غير العاقل إذا اجتمع مع العاقل كقوله تعالى: ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النّحل: الآية ١٧] فإنه شامل للآدميين والملائكة والأصنام فإن الجميع لا يخلقون شيئاً وهذان الاحتمالان يجريان أيضاً في قوله: «ومن بقي» أي كان في الحال أو يكون في الاستقبال.

«ومن سعد منهم ومن شقي»، قال الجوهري: والسعادة خلاف الشقاوة، تقول: منه سعد الرجل بالكسر فهو سعيد مثل سلم فهو سليم، وسعد فهو مسعود.

وقرأ الكسائي[٢]: وأما الذين سعدوا وأسعدوا وأسعده الله فهو مسعود، ولا

= ٧/ ١٦٢، وابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ٢٩٩، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤٢، والبيهقي في دلائل النبوة ١/ ١٥٨، وابن سعد في الطبقات الكبرى ١/ ١/ ١٢٨، وابن أبي شيبة في المصنف ١١/ ٥٠٤.

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٧/ ١٠٧، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣١٩٩٧، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٣٦١، والبيهقي في دلائل النبوة ١/ ١٥.

(٢) الكسائي: هو علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان، مولى بني أسد، أبو الحسن المعروف بالكسائي، ثم البغدادي الكوفي، أحد أئمة النحو، توفي سنة ١٨٩هـ بالري، صنف من الكتب: «اختلاف العدد»، «أشعار المعاياة وطرائقها»، «قصص الأنبياء»، «كتاب الحروف»، «كتاب العدد»، «كتاب القراءات»، «كتاب المصادر»، «كتاب النوادر الأصغر»، «كتاب النوادر الأكبر»، «كتاب النوادر الأوسط»، «كتاب الهاءات المكنى في القرآن»، «كتاب =

يقال: مسعد، كأنهم استغنوا عنه بمسعود، وقال أيضاً: الشقاوة بالفتح نقيض السعادة.

وقرأ قتادة: شقاوتنا بالكسر وهي لغة، وإنما جاء بالواو لأنه بني على التأنيث في أول أحواله وكذلك النهاية فلم تكن الواو والياء حرفي إعراب ولو بني على التذكير لكان مهموزاً، كقولهم: غطاءةً وعباءةً وملاءةً وهذا أُعلّ قبل دخول الهاء، تقول: شقي الرجل، انقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها، ويشقى في المضارع انقلبت ألفاً لفتح ما قبلها، ثم تقول: يشقيان ليكون كالماضي، وأشقاه الله فهو شقي بين الشقوة بالكسر وفتحه لغة.

قال في نوادر الأصول: السعادة اندساس العبد إلى الله والشقاوة فراقه منه.

قال بعضهم: السعادة عبارة عن ارتفاع الموانع الشاغلة عن الله الحاجبة عنه، والشقاوة هي حجب الطالب عن قصده ومنعه من الوصول إلى متمناه.

❊ ❊ ❊

واعلم أن الأشاعرة[١] والماتريدية[٢] اختلفوا في تفسير السعادة والشقاوة، فقالت الأشعرية: السعادة الممات على الإسلام ضد الشقاوة وهما أزليتان فلا يتبدلان. وقالت الماتريدية: السعادة الإسلام والشقاوة الكفر فيتبدلان إذاً الكافر قد يسلم والمسلم قد يرتدّ، والخلاف لفظي، والكلام في وليّ الله وعدو الله كالكلام في السعيد والشقي، ومن فروع هذه المسألة مسألة الاستثناء في الإيمان، فعلى مذهب الأشاعرة يصح أنا مؤمن إن شاء الله، وعند الماتريدية لا يصح لأن

= الهجاء»، «مختصر في النحو»، «معاني القرآن»، «مقطوع القرآن وموصوله». (كشف الظنون ٥/ ٦٦٨).

(١) الأشاعرة: نسبة إلى أبي الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم الإمام، البصري المولد البغدادي المنشأ والدار، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري، مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من أئمة المتكلمين المجتهدين، ولد في البصرة سنة ٢٦٠هـ، وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم، ثم رجع وجاهر بخلافهم، توفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ. (كشف الظنون ٥/ ٦٧٦ـ ٦٧٨).

(٢) الماتريدية: نسبة لأبي منصور الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، المتوفى سنة ٣٣٣هـ، من أمة الكلام ومؤسس المذهب الماتريدي، له الكثير من المؤلفات الهامة (انظر: الأعلام ٧/ ١٩، مفتاح السعادة ٢/ ٢١، الفوائد البهية ص ١٩٥، الجواهر المضية ٢/ ١٣٠).

الإيمان حاصل الآن محقق لا نزاع فيه، فلا معنى لتعليقه بالمشيئة. والخلاف لفظي، لأنه إن أُريد به مجرد الحصول فهو حاصل في الحال وإن أُريد به ما يترتب عليه النجاة فهو في مشيئة الله ولا قطع لحصوله في الحال فمن قطع أراد الأول ومن فوض أراد الثاني.

واعلم أن الياء في من بقي ومن شقي يجوز تسكينها تخفيفاً، إذ تسكين الياء المفتوحة مشهورة وعلى ذلك قرأ الحسن: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٨] الآيـة، وقـراءة الأعـمـش[١]: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: الآية ١١٥] بتسكين الياء فيهما وصلاً، هذا وقد اختلف فيمن صلى على النبي ﷺ هكذا بأن يقول: اللهم صلي على محمد عدد كذا هل يحصل له ثواب من صلى ذلك العدد أم لا؟ فقيل: له عدد ثواب من صلى ذلك حقيقة، وقيل: يلغى العدد، وقيل: يحصل له ثواب أكثر ممن صلى مرة واحدة لا ثواب من صلى ذلك العدد.

قال العلامة الأبيّ[٢] في شرح مسلم: وانظر لو قال: اللهم صل على محمد عدد كذا هل يثاب بعدد صلوات لو صدرت تبلغ تلك الأعداد، وكان الشيخ ـ يعني ابن عرفة ـ يقول: له من الثواب أكثر ممن صلى واحدة لا ثواب من صلى تلك الأعداد، قال: ويشهد له خبر من قال: سبحان الله عدد خلقه من حيث دلالته على أن للتسبيح بهذا اللفظ له مزية وإلا لم يكن له فائدة.

وقال ابن التلمساني[٣]: أن المصلي بمثل ذلك يحصل له ثواب من صلى تلك الأعداد وهل يكتب له العدد المذكور بالتضعيف وهو الأولى بالكرم أو إنما

---

(١) الأعمش: هو الحافظ أبو العلاء حمد بن نصر بن أحمد بن محمد بن معروف الهمداني، نزيل بغداد، الشهير بالأعمش، توفي سنة ٥١٢هـ، صنف: «الأمالي في الحديث» عدة مجالس. (كشف الظنون ٥/ ٣٣٥).

(٢) الأبي: هو محمد بن خلف الألبيري القرطبي، وقيل: ابن خليفة، الوشتاني، أبو عبد الله الأبي المالكي المتوفى سنة ٨٢٧هـ، من مصنفاته: «إكمال العلم في شرح صحيح مسلم»، «الدرة الوسطا في مشكل الموطا»، «شرح فروع ابن الحاجب». (كشف الظنون ٦/ ١٨٤).

(٣) ابن التلمساني: لعله عبد الله بن محمد بن علي الفهري، شرف الدين، أبو محمد التلمساني، ثم المصري الشافعي، ولد سنة ٥٦٧هـ، وتوفي سنة ٦٤٤هـ، له من المصنفات: «شرح التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي» في الفروع، «شرح خطب ابن نباتة»، «شرح المعالم لفخر الدين الرازي»، «المجموع في الفقه». (كشف الظنون ٥/ ٤٦٠، ٤٦١).

يكتب له دون تضعيف وهو الظاهر في الاعتبار.

وقال الشيخ زروق[١] رضي الله عنه في قواعده: وفي تحصيل مثل الذكر الجامع لذلك القدر الذي دل عليه لفظه مع تضعيفه أو دونه أو لغوه أقوال وصحح بلا تضعيف. وقال في شرحه على الحكم: قال في تاج العروس[٢]: من قصر عمره فليذكر الأذكار الجامعة مثل سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ونحو ذلك ليستدرك ما فاته بذلك، إذ قد صح أن له أعظم من ثواب من أفرد وإن اختلف هل يكتب له العدد المذكور بالتضعيف وهو الأولى بالكرم أو إنما يكتب له دون تضعيف، وهو الظاهر في الاعتبار، وقد يقال: إن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص فالذي يمنعه العجز والضرر ليس كالذي يمنعه الشغل والعمل والذي يمنعه ذلك ليس كالمؤثر لذلك على نعت الغفلة المجردة فاعرف ذلك.

(قلت): والحديث الذي أشار إليه الأبيّ عن النبي ﷺ: «أنه قال لجويرية وقد خرج من عندها بكرة حين صلّت الصبح وهي تسَّبح ثم رجع وهي جالسة بعد أن أضحى قال: «ما زلت على حالتك التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم، قال: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهم سبحان الله عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته»[٣]. وهذا مثل الحديث المروي عن سفيان بن أبي وقاص رضي الله عنه: «أنه كان مع رسول الله ﷺ حين دخل على امرأة وبين يديها نوى وحصى تسبح به فقال: «أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل منه ثواباً؟ فقال: قولي سبحان الله عدد ما خلق في السماء وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض وسبحان الله عدد ما بين ذلك وسبحان الله عدد ما هو خالق والحمد لله مثل ذلك. والله أكبر مثل ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك يغفر الله لك»[٤]، فهذا دليل وأي دليل وبرهان بإثبات المرام كفيل.

---

(١) الشيخ زرورق: هو أحمد زروق، تقدمت ترجمته.

(٢) تاج العروس: للشيخ تاج الدين أحمد بن محمد الإسكندراني المتوفى سنة ٧٠٩هـ. (كشف الظنون ١/ ٢٦٩).

(٣) أخرجه أبو داود في الوتر باب ٢٤، وأحمد في المسند ٦/ ٣٢٥، ٤٣٠.

(٤) أخرجه أبو داود حديث ١٥٠٠، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٤٨، والمتقي الهندي في كنز العمال ٢٠٤٣.

(صلاة تستغرق) أي تستوعب (العد) أي الإحصاء، ويحتمل أن المراد نهاية دون العدد وهو المائة والألف أو نهاية ما يدخل تحت طوق البشر أو يتوهمه العقل من العد والمقصود بهذا التعبير الكثرة وإلا فيما يتوهمه العقل لا يتناهى، فلا يمكن استغراق الصلاة له. (وتحيط) أي تحدق (بالحد) هو منتهى الشيء والمراد حد العدد ومنتهاه أو حد ما يمكن من الصلاة. (فإن قلت) لا يمكن حمل هذا الكلام على ظاهره وإلا لزم نفاذ متعلق القدرة. (قلت) لك في تأويله وجهان: أحدهما أن يراد بالحد منتهى الصلوات التي صلاّها الله تعالى على أنبيائه وملائكته وسائر أهل اختصاصه، فيكون المقصود صلاة تستوعب عدد الصلوات البارزة للوجود، ثانيهما أن يقال: أن هذا الكلام خرج مخرج المبالغة في كثرة الصلوات كما تقول أعطى الملك لفلان كل شيء أو أنعم عليه بإنعام فوق الحد أي هو في نعمةٍ وافرة بحيث لا يبقى له تشوف إلى غيرها أو بحيث يظن أنه لا نعمة فوقها لعظمها أو ملئها لعين الناظر.

(صلاة لا غاية لها) غاية الشيء مداه وجمعه غاي مثل ساعة وساع. (ولا منتهى) أي لا انتهاء ولا فراغ لها. (ولا انقضاء) أي لا تمام ولا نفاد لها بل هي متجددة متتابعة إلى غير نهاية. (صلاةً دائمةً بدوامك) أي باقية ببقائك، ولما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء» قالوا: وما الصلاة البتراء يا رسول الله؟ قال: «تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون بل قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»[1]، قال: (وعلى آله) قال الجوهري: آل الرجل أهله وعياله وآله أيضاً أتباعه، واختلف في تعيين آله ﷺ على أقوال: فعند الشافعي ومالك رضي الله عنهما: مؤمنو بني هاشم والمطلب، ومذهب أبي حنيفة: آل علي وآل عباس وآل عقيل وآل جعفر وآل حارث بن عبد المطلب ثلاث عينات وجيم وجاء.

قال الحموي: وقد اختلف العلماء في معنى الآل على خمسة أقوال، أحدها: ملّته ودينه من جميع أمته الأتقياء وغيرهم. والثاني: الأتقياء من أمّته لقوله عليه الصلاة والسلام: «آلي كل مؤمن تقي»[2]، واختاره الأكثرون سواء كان قرابة أو غيرها. والثالث: عترته وأهل بيته معاً. والرابع: عترته فقط. والخامس:

(١) أخرجه بنحوه المتقي الهندي في كنز العمال ٢١٦٩.
(٢) أخرجه بنحوه العجلوني في كشف الخفاء ١٧.

بنو هاشم وبنو عبد المطلب كما هو مذهب الشافعي[١]، واختار بعض المتأخرين قولاً مفصلاً وهو أن آله من جهة النسب آل علي وعباس وجعفر وعقيل وحرث بن عبد الله المطلب، ومن جهة السبب كل مؤمن تقي أو كل من آمن به مطلقاً، واشتقاق الآل من آل يؤول إذا رجع إليك بقرابةٍ ونحوها وأصله أول ما تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، وقيل: أصله أهل قلبت الهاء همزة والهمزة ألفاً والأصح إنهما مادتان مستقلتان ولا يضاف الآل إلا لذي شرف من العقلاء الذكور، فلا يقال: آل الإسكاف وأما آل فرعون فباعتبار شرف الدنيا ولا آل مكة ولا آل فاطمة، وعن الأخفش جواز آل البصرة والمدينة، والصحيح جواز إضافته إلى الضمير كما هنا.

فائدة: قال في «المواهب اللدنية»[٢]: واعلم أنه قد اشتهر أربعة ألفاظ يوصفون بها، الأول: آله عليه الصلاة والسلام، والثاني: أهل بيته، والثالث: ذوي القربى، والرابع: عترته. فأما الأول فذهب إلى أنه أهل بيته، وقال أخرون: الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا منها خمس الخمس. وقال قوم: من دان بدينه وتبعه فيه، وأما أهل بيته فقيل: من ناسبه إلى جده الأدنى، وقيل: من اجتمع معه في رحم، وقيل: من اتصل به بنسب أو سبب، وأما ذوو القربى فروى

---

(١) الشافعي: هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبت الشافعية كافة، ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠هـ، وتوفي بمصر سنة ٢٠٤هـ، له من التصانيف: «إثبات النبوة والرد على البراهمة»، «أحكام القرآن»، «اختلاف الحديث»، «أمالي الكبير في الفقه»، «الإملاء الصغير»، «تعظيم قدر الصلاة»، «التنقيح في علم القيافة»، «الحجة العراقي»، «رسالة في بيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة»، «سنن في الحديث»، «الفقه الأكبر»، «كتاب الأسماء والقبائل في اختلاف العراقيين»، «كتاب الأم في الفقه»، «الكتاب الجديد»، «الكتاب القديم»، «الكتاب المبسوط» في مذهبه، «مختصر البويطي»، «مختصر الربيع»، «مختصر المزني»، «معاني القرآن»، وغير ذلك. (كشف الظنون ٦/ ٩، وانظر ترجمته أيضاً في: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٩، طبقات الشافعية ١/ ١٨٥، طبقات الفقهاء الشافعية ٦/ ١١٤، كتاب الوفيات ١٥٥، شذرات الذهب ٢/ ٩، تاريخ بغداد ٢/ ٥٦، البداية والنهاية ١٠/ ٢٦٦-٢٦٩).

(٢) المواهب اللدنية: هو كتاب «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» في السيرة النبوية للشيخ الإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني المصري، المتوفى سنة ٩٢٣هـ. (كشف الظنون ٢/ ١٨٩٦).

الواحدي[١] في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: الآية ٢٣] قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودّتهم؟ قال: علي وفاطمة وأبنائهما. وأما عترته فقيل: العشيرة، وقيل: الذرية. فأما العشيرة فهي الأهل الأدنون، وأما الذريّة فنسل الرجل وأولاد بنت الرجل وذريته ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ﴾ [الأنعام: الآية ٨٤]، إلى قوله: ﴿وَعِيسَىٰ﴾ [الأنعام: الآية ٨٥] ولم يتصل عيسى بإبراهيم إلا من جهة أمه مريم.

وردّ ابن عرفة: الاستدلال على ما ذكر بالآية بأن ما ثبت فيمن لا أب له لا يلزم ثبوته فيمن له أب. (قلت) ولهذا اختلفوا في الشرف من جهة الأم، ولقد سئل أبو السعود أفندي[٢] رحمه الله تعالى عن ثبوت الشرف من جهة الأم هل هو صحيح أم لا؟ وهل هو بمنزلة الشرف من جهة الأب أم لا؟ وهل لمن شرفه من جهة الأم أن يضع العلامة التي يتميز بها عن العامة أم لا؟ وما دليله وما تعليله؟ افتونا مأجورين. فأجاب رحمه الله عن ذلك بما نصه: نعم ثبوت الشرف من جهة الأم صحيح معتدّ به شرعاً واجب قبوله شرعاً وعرفاً، فإن ثبت لامرأة أنها شريفة صحيحة النسب كان أولادها لبطنها ذكوراً أو إناثاً أشرافاً ثابتاً شرفهم من قبلها مع قطع النظر عن آبائهم، وإن كانوا أرقاء أو عتقاء لا يضرهم ولا يمنعهم من ثبوت سيادتهم من جهة والدتهم ويثبت لهم من السيادة ما ثبت لها وتعين تمييزهم على غيرهم ممن لا شرف لهم بوضع العلامة خوفاً من انتقاصهم وعدم احترامهم بين

---

(١) الواحدي: هو علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الواحدي، الإمام أبو الحسن المفسر النيسابوري، المتوفى بنيسابور سنة ٤٦٨هـ، من مصنفاته: «أسباب النزول في تبليغ الرسول»، «الإغراب في علم الإعراب»، «البسيط في تفسير القرآن»، «التحبير في شرح أسماء الله الحسنى»، «تفسير النبي ﷺ»، «شرح ديوان المتنبي»، «كتاب الدعوات»، «كتاب المغازي»، «نفي التحريف عن القرآن الشريف»، «الوجيز». (كشف الظنون ٥/ ٦٩٢).

(٢) أبو السعود أفندي: لعله عبد الله ابن الشيخ عبد الله أبي السعود المصري، حفيد علي البرقي بجبال برقة، وهو من الأمراء المصرية، ولد سنة ١٢٣٦هـ، وتوفي سنة ١٢٩٥هـ، صنف: «تاريخ محمد علي باشا الوالي بمصر»، «تاريخ مصر القديم»، «كتاب في علم الجغرافيا»، «كتاب في الكيمياء والزراعة»، «منحة أهل العصر بمنتقى تاريخ محبي المصر»، «نظم اللآلي في السلوك فيمن حكم فرنسا من الملوك» ترجمها من اللغة الفرنسية. (كشف الظنون ٥/ ٤٩١).

العامة، فمن كانت أمه شريفة ثبت الشرف له ولأولاده ونسله وعقبه وانتظم في سلك الأشراف والأدلة على ذلك كثيرة يضيق عنها المقام ويكفي الإشارة إلى بعضها، وهو أن جميع الأشراف الموجودين الآن في مشارق الأرض ومغاربها إنما ثبت لهم الشرف من جهة والدتهم فاطمة الزهراء من جهة السيدين الجليلين الحسن والحسين وهما إنما ثبت لهما الشرف من جهة والدتها رضي الله عنها لا من جهة سيدنا علي وإلا كان أولاده من غيرها كابن الحنفية أشرافاً، فليس خفياً أن علماءنا جعلوا في ذلك قياساً منطقياً من الضرب الأول من الشكل الأول مركباً من صغرى وكبرى وبيان صغراه من عشرة أوجه وأما كبراه فلم تحتج إلى بيان وتحرير نظمه أن الولد بضعة من الأم والأم بضعة من أبيها، فكيف لا يثبت له ما ثبت لها ولهذا حكمنا بشرف الحسن والحسين وقد أفردت هذه المسألة بالتصنيف وحظيتها بالتأليف وفيه كفاية.

وأجاب الشيخ حسن الشرنبلالي[١] بما نصه: «الحمد لله مانح الصواب نعم من له أم شريفة هو شريف بشرف أمه وانتسابها إلى النبي ﷺ وكفى بذلك شرفاً، فهو واجب القبول شرعاً وعرفاً ولا يمنع ذلك ثبوت نسبه إلى أبيه الذي ليس له صفة الأم ومن لا يعلم نسبه إلا بعلامة الأشراف فليلبسها صيانة لمقامه واحتراماً لنسبه وتعظيماً لنسبه للنبي ﷺ، ومن المقرر أن جميع الأشراف إنما حصل لهم الشرف من جهة فاطمة الزهراء رضي الله عنها حتى إن إخوة أولادها من أبيهم لم يحصل لهم ذلك الشرف كابن الحنفية رضي الله عنه.

«واعلم» أن تعميم الأشراف بالعمامة الخضراء ليس لها أصل في الشرع ولا في السنّة ولا كانت في الزمان القديم وإنما حدثت في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بأمر الملك الأشرف شعبان بن حسين، وقال في ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره فمن ذلك قول أبي عبد الله بن جابر الأندلسي:

---

(١) حسن الشرنبلالي: هو حسن بن عمار بن يوسف الوفائي المصري الشرنبلالي (بضم الشين والراء وسكون الراء والباء الموحدة)، الفقيه الحنفي المدرس بالأزهر، ولد سنة ٩٩٤هـ، وتوفي بمصر سنة ١٠٦٩هـ، من مصنفاته: «التحقيقات القدسية والنفحات الرحمانية الحسنية في مذهب السادة الحنفية»، «تيسير المقاصد من عقائد الفرائد في شرح منظومة ابن وهبان»، «غنية ذوي الأحكام وبغية درر الحكام شرح غرر الأحكام لمنلاخسرو»، «مراقي السعاد» في علم الكلام، «مراقي الفلاح بإمداد الفتاح شرح نور الإيضاح» في الفروع له، «نور الإيضاح ونجاة الأرواح» مقدمة في الفروع. (كشف الظنون ٥/ ٢٩٢).

جعلوا لأبناء الرسول علامة إن العلامة شأن من لم يشهرِ
نور النبوّة في وسيم وجوههم يغني الشريف عن الطراز الأخضرِ

وقال الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم الدمشقي:

أطراف تيجان أتت من سندس خضراء بأعلام على الأشرافِ
والأشرف السلطان خصصهم بها شرفاً ليعرفهم من الأطرافِ

قال بعضهم: ولبس هذه العمامة بدعة مباحة لا يمنع منها من أرادها من شريف وغيره، لأنها ليست أمراً شرعياً لأن الناس مضبوطون بأنسابهم الثابتة. (قلت) ومقتضى كلام أبي السعود: أن لبسها مطلوب لتمييز الشريف عن غيره خوف الانتقاص وعدم الاحترام بين العامة لأن الشريف قد يُجهل ولأن الأنساب لا يلزم أن تكون مشهورة بين العامة.

واعلم أن أولاده ﷺ القاسم وإبراهيم وعبد الله، ويقال له: الطاهر والطيب، ثلاثة أسماء لولد واحد على الصحيح. وزينب ورقية وأم كلثوم بضم الكاف والمثلثة، وفاطمة رضي الله عنهم وكلهم من خديجة رضي الله عنها إلا إبراهيم فإنه من مارية سريته ﷺ، فأما الذكور فماتوا صغاراً القاسم وعبد الله ماتا بمكة، وإبراهيم مات بالمدينة قدّس الله أرواحهم. وأما الإناث فتزوجن كلهن، فأما زينب فتزوجها ابن خالتها أبو العاصي بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي فولدت له علياً وأمامة وأميمة، وأما رقية فتزوجها سيدنا عثمان بن عفان فولدت له عبد الله، ثم ماتت فزوّجه رسول الله ﷺ أختها أم كلثوم ولهذا سمي ذا النورين فلم تلد له. وأما فاطمة فتزوجها سيدنا علي بن أبي طالب فولدت له الحسن والحسين ومحسناً وأم كلثوم وزينب ورقية وماتت البنات الثلاث الأول في حياة رسول الله ﷺ ولم تعقب واحدة منهن وإنما أعقب ﷺ من ابنته فاطمة فقط رضوان الله عليهم أجمعين.

قال الشيخ سالم السنهوري[١]: وأول أولاده ﷺ مطلقاً قاسم، ثم تليه زينب، ثم رقية، ثم فاطمة، ثم أم كلثوم، ثم عبد الله، ثم إبراهيم، وقيل: أم

---

(١) سالم السنهوري: هو سالم بن محمد عز الدين بن محمد ناصر الدين السنهوري، أبو النجا المصري المالكي، توفي سنة ١٠١٥هـ، صنف: «رسالة في ليلة النصف من شعبان»، «شرح مختصر الشيخ خليل» في الفروع. (كشف الظنون ٥/ ٣٨١).

كلثوم أكبر من فاطمة ورجحه ابن عبد البر[١].

وقال بعض العارفين: وإنما مات أبناؤه ﷺ قبل البلوغ لأنهم لو عاشوا بعد البلوغ إما أن ينبئوا فينا في أخبار الله حيث وصف أباهم ﷺ بأنه خاتم النبيين وإن لم ينبئوا كان من نبيء من أولاد الأنبياء الذين هم دون أبيهم شرفاً أشرف منهم وفيه كسر لقلوبهم.

(وأزواجه) ﷺ اللاتي دخل بهن بلا خلاف، إحدى عشرة: خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، وهي أولهنَّ ولم يتزوج عليها حتى ماتت، ثم سودة بنت زمعة القرشية العامرية، ثم عائشة بنت أبي بكر الصديق القرشية التيمية ولم يتزوج بكراً غيرها، ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب القرشية العدوية، ثم زينب بنت هزيمة الهلالية العامرية وماتت في حياته ﷺ مثل خديجة وكانت تسمى بأم المساكين لرحمتها بهم، ثم أم سلمة وهي هند بنت أمية بن المغيرة القرشية المخزومية، ثم زينب بنت جحش الأسدية أسد خزيمة، ثم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية، ثم أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب القرشية الأموية، ثم صفية بنت حيي بن أخطب الإسرائيلية النضرية من سبط هارون بن عمران عليه السلام، ثم ميمونة بنت الحارث الهلالية العامرية، وقد عقد ﷺ على نساء غير هؤلاء لكن لم يبق في المشهور من أقاويل العلماء بواحدة منهن.

وأما سراريه ﷺ فقيل إنهن أربع: مارية بتخفيف الياء أم إبراهيم ابنه ﷺ، وريحانة القرضية، وقيل إنها زوجة نكحها بعد جويرية، وجميلة التي أصابها في

---

(١) ابن عبد البر: هو الحافظ جمال الدين أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأديب الفقيه المالكي، الشهير بابن عبد البر القرطبي، ولد سنة ٣٦٨هـ، وتوفي بشاطبة سنة ٤٦٣هـ، من تصانيفه: «آداب العلم»، «الأجوبة المرعبة على المسائل المستغربة من صحيح البخاري»، «الاستذكار لمذاهب أئمة الأمصار وفيما تضمنه الموطأ من المعاني والآثار» في اختصار التمهيد، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، «الانتهاء في فضائل الثلاثة الفقهاء»، «الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف»، «بهجة المجالس وأنس الجالس»، «البيان في تأويلات القرآن»، «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، «جامع بيان العلم وفضله»، «الدرر في اختصار المغازي والسير»، «فضل العلم»، «القصد والأمم إلى أنساب العرب والعجم»، «كافي في فروع المالكية»، «كتاب الاستظهار في حديث عمار»، «كتاب العقل»، «كتاب الفرائض»، «كتاب الكنى»، «كتاب المغازي»، «كتاب المدخل في القراءات». (كشف الظنون ٦/ ٥٥٠ـ ٥٥١).

بعض السبي وأخرى وهبتها له زينب بنت جحش رضي الله عن جميعهن، مات منهن في حياته ﷺ زينب بنت خزيمة وريحانة، ومات ﷺ عن تسع أفضلهن بعد خديجة عائشة الصديقة رضي الله عنهن وأولهن لحوقاً به بعد موته ﷺ زينب بنت جحش وآخرهن موتاً أم سلمة، وكانت مهور سائرهن أربعمائة إلا أم حبيبة بنت سفيان فقيل إنه أصدقها أربعة آلاف درهم.

«وأما نسبه الشريف» ﷺ فهو: أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، ويقال له: شيبة الحمد لأنه ولد وفي رأسه شعرة بيضاء وكانت ترى في ذوأبته، وكنيته أبو الحارث، وقيل: أبو البطحاء بن هاشم، واسمه عمر ولقب بذلك لأنه أول من هشم التريد لقومه وكان من أحسن الناس وأجملهم، وكان النور في وجهه كالهلال يتوقد لا يراه أحد إلا أحبه وأقبل نحوه ابن عبد مناف واسمه المغيرة ولقب بذلك لطوله، وكان يقال له قمر البطحاء ابن قصي ـ مصغر قصي بفتح القاف وكسر الصاد وتشديد الياء ـ ثم بعد التصغير حذفت إحدى الياءات ولقب بذلك لبعده عن عشيرته إذ احتملته أمه فاطمة بنت سعد من مكة بعد موت أبيه لقضاعة واسمه زيد، وقيل يزيد بن كلاب ـ بكسر الكاف وتخفيف اللام ـ لقب بذلك لأنه كان أكثر صيده بالكلاب، واسمه حكيم بن مرة ـ بضم الميم وتشديد الراء ـ ابن كعب، واسمه زيد بن لؤي ـ بضم اللام وبالهمزة ـ وسهل بن غالب بن فهر ـ بكسر الفاء وسكون الهاء ـ ابن مالك بحذف الألف منه خطأ لأنه علم ابن النضر ـ بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ـ لقب به لنضارة وجهه أي حسنه، واسمه قيس بن كنانة ـ بكسر الكاف ـ سمي بذلك لأنه كان ستراً على قومه كالكنانة أي الجمعة الساترة للسهام، وكان عظيم البركة عندهم، ابن خزيمة مُصغرِ ابن مدركة ـ بضم أوله وكسر الراء ـ واسمه عمرو بن إلياس ـ بكسر الهمزة على الصحيح الأشهر وقيل: بفتح الهمزة ـ ابن مُضر ـ بفتح الضاد وضم الميم معدول عن ماض ـ واسمه عمرو بن نزار ـ بكسر النون ـ مشتق من النزر وهو القليل سمي به لأن أباه حين ولد له ونظر إلى النور الذي بين عينيه وهو نور النبوة فرح فرحاً شديداً ونحر وأطعم وقال: إن هذا كله نزر في حق المولود، فسمي نزار لذلك، ابن مَعد ـ بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال ـ الأكثر في معد وقريش وثقيف الصرف والتذكير ابن عدنان هذا هو المتفق عليه، وكان ﷺ إذا انتسب لا يجاوزه وفيما بعده إلى آدم خلاف كثير.

(وأما نسب أمه) ﷺ فهي: آمنة بنت وهب بن عبد مناف، وهو غير عبد مناف المتقدم بن زهرة ـ بضم الزاي وسكون الهاء ـ وأما النجم ـ فبضم الزاي وفتح الهاء ـ، قاله الجوهري، ابن كلاب المتقدم تزوجها عبد الله بن عبد المطلب وكان يرى فيه نور النبوة حتى انتقل إليه في رجب، وحملت برسول الله ﷺ ثم توفي وهو حمل على الصحيح، وولد ﷺ بعد أبيه بمكة عام الفيل في ربيع الأول يوم الاثنين، وولد مختوناً مسروراً ساجداً رافعاً طرفه إلى السماء، وأرضعته ﷺ حليمة السعدية ولبث عندها حتى شق صدره، فردته إلى أمه في الأربع سنين أو بعدها فافتصلته ثم خرجت به أمه إلى المدينة تزور أخواله وكانت أم أيمن بركة الحبشية وهي أمَة أبيه تحضنه مع أمه، ثم رجعت به إلى مكة فمرضت في الطريق وماتت بالأبواء قريباً من مكة ودفنت هناك، وله من العمر ست سنين فحملته أم أيمن حتى أوصلته لجده عبد المطلب بمكة، فكفله إلى أن مات وأوصى به إلى عمه أبي طالب لأنه شقيق لأبيه فضمه إليه ورباه إلى أن بلغ اثنتي عشرة سنة أو قريباً منها، فخرج به أبو طالب في تجارةٍ إلى الشام وكانت نشأته مباركة ميمونة «وحالته حسنة مصونة» من أمر الجاهلية، وكان يدعى فيما بينهم بالأمين الصادق.

ولما بلغ ﷺ خمساً وعشرين سنة خرج إلى الشام مرة أخرى في تجارة خديجة مع غلامها ميسرة، ورأى ميسرة في سفره هذا منه العجائب وما خص به ﷺ من المواهب، فأخبر خديجة بما رآه من ذلك وربحوا في تجارتهم فرغبت في تزويجه وخطبته من نفسها وذكرت ذلك لأعمامه فتزوجها ﷺ عقب صفر، ولها يومئذٍ أربعون سنة وأقامت معه ﷺ أربعاً وعشرين سنة خمس عشرة قبل الوحي وتسعاً بعده، وكانت تحبه وتعينه بمالها وتصدقه فيما يقوله حتى كانت أول النساء إيماناً به وتصديقاً لخبره بالوحي الإلٰهي، ولما بلغ ﷺ خمساً وثلاثين سنة شهد بنيان الكعبة وتراضت قريش بحكمه في وضع الحجر الأسود حين تنازعهم فيمن يرفعه، ولما بلغ ﷺ أربعين سنة ـ بعثه الله للناس كافة بشيراً ونذيراً وأول ما أنزل عليه من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العَلق: الآية ١] إلى: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العَلق: الآية ٥] ، وهو بغار حراء أعلمه به جبريل مشاهدة، وكان قبله يسمع الصوت ولا يرى الشخص وربما أتاه في النوم تأنيساً له وكان ذلك في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول وكان يدعو لله مستخفياً ثلاث سنين، ثم نزل في السنة الرابعة من النبوة قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحِجر: الآية ٩٤] ، وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُعَرَاء: الآية ٢١٤] . فأعلن رسول الله ﷺ الدعاء

إلى الله وصدع بأمر الله ودعا إلى دينه القويم، فاستجاب له من شاء الله هدايته إلى الصراط المستقيم.

ولما اشتد الأذى بالمؤمنين من المشركين أذن لهم رسول الله ﷺ في الهجرة إلى أرض الحبشة، فهاجر منهم اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو أول من خرج فاراً بدينه ومعه زوجه رقية بنت رسول الله ﷺ وكان ذلك في السنة الخامسة ثم تتابعوا إلى أن بلغوا اثنين وثمانين رجلاً أو ثلاثاً وثمانين وثماني عشرة امرأة وأقاموا عند النجاشي ملك الحبشة على أحسن حال، وكلمه قريش فيهم وأرسلوا له هدية ليردهم إليهم فأبى وغضب لذلك ورد عليهم هديتهم، فردهم بغيظهم ولم ينالوا خيراً وحُصر ﷺ وأهل بيته بشعب أبي طالب ثلاث سنين وخرجوا من الحصار وله ﷺ تسع وأربعون سنة، وبعد ذلك بأشهر مات عمه أبو طالب ثم ماتت خديجة بعده بثلاثة أيام، ثم أذن رسول الله ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى المدينة فخرجوا إليها أرسالاً متسلسلين ونزلوا على الأنصار في دورهم، فآووهم ونصروهم وواسوهم وأسري به ﷺ على رأس الخمسين وهاجر إلى المدينة يوم الاثنين في شهر ربيع الأول وسنه إذ ذاك ثلاث وخمسون سنة، ومعه أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه ودليلهم عبد الله بن الأريقط الليثي وهو على دين الكفر، ودخلها يوم الاثنين، فأشرقت المدينة بقدومه ﷺ وسرى السرور بحلوله بها وزال عنها الوباء والحمى وكانت أكثر بلاد الله وباءً، وخلف علياً بمكة لأداء الودائع التي كانت عنده ﷺ فأداها إلى أهلها ولحق به، ونزل رسول الله ﷺ بدار أبي أيوب وبنى مسجده هناك وجعل عمده من جذوع النخل وكان ينقل معهم الحجارة في بنائه تنشيطاً لهم، ثم بنى مساكنه إلى جنبه وتحول من منزل أبي أيوب إليها وكان مقامه في منزل أبي أيوب سبعة أشهر، وأقام ﷺ بالمدينة عشر سنين فلا خلاف، فكانت مدة نبوّته ثلاثاً وعشرين سنة ثلاث عشرة بمكة وعشراً بالمدينة، وبعث على رأس الأربعين ومات وعمره ثلاث وستون سنة، ومن أراد تفصيل أحواله ﷺ فعليه بكتب السير لأن ذلك بحر متلاطم زخر، هذا وقد نظم ابن مرزوق[1] أجداده ﷺ إلى عدنان مشيراً لآبائه بأول كل حرف من كل كلمة، فقال:

---

(١) ابن مرزوق: لعله خلف بن مرزوق مولى علي بن ريطة، كان أديباً شاعراً، توفي سنة ١٧٥هـ، له ديوان شعره. (كشف الظنون ٥/ ٣٤٨).

علقت شفيعاً هال عقل قرانه كتاب مبين كسب لبِ غرائبه
فذا معشر نفسي كرام خلاصتي على الفهم من نيل مجدٍ عواقبا

* * *

فائدة: اعلم أن آدم عليه السلام ولد من حواء أربعين ولداً في عشرين بطناً، إلا شيث - بشين معجمة مكسورة فمثناة تحتية فمثلثة بالصرف وعدمه - وتفسيره: هبة الله، ولد منفرداً لكون نبينا ﷺ من نسله، ولما قرب آدم من الوفاة وصى شيث أن لا يضع هذا النور إلا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولاً بها في القرون إلى أن وصل ذلك النور لجبهة عبد المطلب، ثم لولده عبد الله وطهر الله هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية لقوله عليه الصلاة والسلام: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح»[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: «لم يلتق أبواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصطفى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما»[2]. فيؤخذ من ذلك أن آباء النبي ﷺ غير الأنبياء وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر، لأن الكافر ليس بمختار ولا طاهر، وأيضاً هم إلى إسماعيل عليه السلام من أهل الفترة وهم في حكم المسلمين بنص القرآن: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: الآية ١٥]، وكذا من بين كل رسولين لقوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢١٩] فهذا صريح في أن آمنة وعبد الله من أهل الجنة لأنهما أقرب المختارين له ﷺ وهذا هو الحق بل فيه حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا إلى من طعن في أن الله أحياهما فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له ﷺ، وقول من قال: إن الإيمان لا ينفع بعد الموت محله في غير الخصوصية والكرامة، وقد صح أنه ﷺ ردت عليه الشمس بعد مغيبها فعاد الوقت حتى صلى العصر أداءً كرامة له ﷺ تسليماً كثيراً.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ١٩٠، والهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢١٤، والسيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٩٤، وابن حجر في المطالب العالية ٢٥٧، والآجري في الشريعة ٤٢٨، والزيلعي في نصب الراية ٣/ ٢١٣، وأبو نعيم في دلائل النبوة ١/ ١١، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣١٨٦٨، ٣١٨٧١، ٣٢٠١٦، ٣٢٠١٧، وابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ٢٥٦.

(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٩٤، ٥/ ٩٨، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٣٤٩.

قال المقري[١] في أزهار الرياض[٢] عن الشيخ سيدي عبد الله العبدوسي[٣]: أنه كان يلهج بحديث وقف عليه في بعض الكتب أن الله عز وجل بعث لرسول الله ﷺ أبويه حتى آمنا به ﷺ إكراماً لنبيه عليه الصلاة والسلام وكان العبدوسي يستحسنه ويسرّ به كثيراً، وقد أنشدني بعض أصحابنا للنميري السلوي[٤]:

وأن ابن طلاع روى أن أحمد ... رأى أبويه بعد ذوق المنيه

فأحياهما رب العباد فآمنا ... به ثم عادا مكرمين لتربه

وقدره ﷺ أوسع من هذا كله.

لو ناسبت قدره آياته عظماً ... أحي اسمه حين يدعى دارس الرممِ

وصحبه: هو عند سيبويه[٥] اسم جمع لصاحب، بمعنى الصحابي، وعند الأخفش[٦]: جمع لصاحب، وبه جزم الجوهري[٧] كركب وراكب ووفق بعضهم بينهما بحمل كلام الأخفش على الدلالة على ما فوق الواحد، وكلام سيبويه على

---

(١) المقري: هو أحمد بن محمد المقري (بفتح الميم وتشديد القاف) شهاب الدين المغربي المالكي، نزيل مصر المتوفى بها سنة ١٠٤١هـ، له من التصانيف: «إتحاف المغرى في تكميل شرح الكبرى»، «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض»، «أزهار الكمامة في أخبار العمامة»، «إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة»، «إفادة المغرى بتكميل شرح الصغرى»، «أنواء النسيان في أبناء تلمسان»، «البدئة والنشئة» منظومة في الأدب، «الجمان في مختصر أخبار الزمان»، «حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي»، «الدر الثمين في أسماء الهادي الأمين»، «الدر المختار من نوادر الأخبار»، «رفع الغلط عن المخمس الخالي الوسط» في علم الحروف والأسماء، «روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس»، «عرف النشق في أخبار دمشق»، «الغث والسمين والرث والثمين»، «فتح المتعال في وصف النعال»، «قطف المهتصر في أخبار المختصر»، «نفح الطيب في غصن أندلس الرطيب وأخبار الوزير لسان الدين بن الخطيب»، «القواعد السرية في حل مشكلات الشجرة النعمانية»، «النمط الأكمل في ذكر المستقبل» وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ١٥٧).

(٢) أزهار الرياض: هو كتاب «أزهار الرياض في أخبار عياض» انظر الحاشية السابقة.

(٣) عبد الله العبدوسي: لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٤) النميري السلوي: لعله نصر بن منصور بن الحسن بن جوش الدمشقي الضرير، أبو المرهف، الشاعر المعروف بالنميري، ولد سنة ٥٠١هـ، وتوفي سنة ٥٨٥هـ، له ديوان شعر. (كشف الظنون ٦/ ٤٩١).

(٥) سيبويه: تقدمت ترجمته.

(٦) الأخفش: تقدمت ترجمته.

(٧) الجوهري: تقدمت ترجمته.

الصيغة العرفية، والصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام، والمراد باللقى ما هو أعم من المجالسة والمماشاة ووصل أحدهما إلى الآخر وإن لم يكالمه والتعبير بلقي أولى من التعبير برأي لأنه يخرج ابن أم مكتوم ونحوه من العميان وهم الصحابة بلا شك واللقاء هنا كالجنس ومؤمناً كالفصل يخرج من حصل له اللقاء المذكور في حال الكفر، وبه فصل ثان يخرج من لقيه مؤمناً لكن بغيره فقط من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال الكمال بن أبي شريف(١): ولا يدخل في هذا التعريف الأنبياء الذين اجتمعوا به ليلة الإسراء ولا الملائكة الذين لاقوه تلك الليلة وغيرها لأن المراد باللقاء المتعارف وهو ما كان بالأبدان على ظاهر الملك ومقامهم رتبة فوق الصحبة، وردد في وفد الجن الذين جاءوه ﷺ هل يشملهم اسم الصحبة أو لا، ثم قال: وينبغي أن لا ينظر إليهم في التعريف لأنه لا يعتدّ لها بالرواية عنهم. وفي تعليله بحث مع شمول ظاهر كلامه لجبريل مع أن بعضهم رجح ثبوت الصحبة له.

قال شيخ الإسلام: ولا بد أن يكون اللقاء قبل وفاته عليه السلام ليخرج من لقيه بعدها ولا بد أن يكون اللاقي مميزاً ليخرج من حنكه من الأطفال ومسح وجهه هذا ظاهر كلام أبي داود(٢) وغيره. وجزم الشيخ سالم السنهوري(٣) بعدم

---

(١) الكمال بن أبي شريف: هو محمد بن أبي بكر بن علي بن أبي شريف مسعود بن رضوان المري، كمال الدين المقدسي الشافعي، ولد سنة ٨٢٢هـ، وتوفي سنة ٩٠٥هـ، له من المصنفات: «إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى»، «الإسعاد بشرح الإرشاد للمقري» في الفروع، «التاج والإكليل على أنوار التنزيل للبيضاوي»، «درر اللوامع شرح جمع الجوامع للسبكي» في الأصول، «شرح الإرشاد للنووي» في الأصول، «شرح الشفا للقاضي عياض»، «صوب الغمامة في إرسال طرف العمامة»، «فتاوى»، «الفرائد في حل شرح العقائد للنسفي»، «فيض الكرم على عبيد القوم في نظم الحكم»، «قطعة على شرح المنهاج»، «قطعة على صحيح البخاري»، «قطعة على صفوة الزبد»، «المسامرة في شرح المسايرة في العقائد المنجية». (كشف الظنون ٦/ ٢٢٢).

(٢) أبو داود: هو صاحب السنن، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي، الحافظ أبو داود السجستاني الحنبلي، ولد سنة ٢٠٢هـ، وتوفي بالبصرة سنة ٢٧٥هـ، من تصانيفه: «دلائل النبوة»، «السنن» في الحديث، «كتاب التفرد في السنن»، «كتاب المراسيل»، «كتاب المسائل التي سئل عنها الإمام أحمد»، «ناسخ القرآن ومنسوخه». (كشف الظنون ٥/ ٣٩٥).

(٣) سالم السنهوري: تقدمت ترجمته.

الاشتراط معترفاً بأن فيه خلافاً، قال بعضهم: ولا بد من زيادة ومات على ذلك ليخرج من ارتد ومات على ردته كعبد الله بن جحش وعبد العزى بن حنظل ورد بأن هذا يقتضي عدم تحقق الصحبة لأحدٍ في حياته وهو خلاف الإجماع، وأجيب بأن هذا قيد في دوام الصحبة لا في تحققها.

* * *

واعلم أنه وقع التردد في عيسى والخضر عليهما السلام وجزم ابن قاسم[١] بأنهما ليسا من الصحابة. قال أبو زرعة[٢]: توفي رسول الله ﷺ عن مائة ألف أربعة وعشرين ألفاً كلهم رأوه وروى عنه ذكره ابن النجار[٣] في مراتب الصحابة وابن الأثير[٤] في جامع الأصول، وأما التابعي فهو من اجتمع بأحد من الصحابة

---

(١) ابن قاسم: لعله عبد الرحمان بن قاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري، الفقيه المالكي المتوفى بمصر سنة ١٩١هـ، ودفن في زاوية المالكية، صنف «المدونة» مشهور في فروع المالكية. (كشف الظنون ٥/ ٥١٢).

(٢) أبو زرعة: لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) ابن النجار: هو محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن الحافظ، محب الدين أبو عبد الله البغدادي، المعروف بابن النجار، الأديب المؤرخ الشافعي، ولد سنة ٥٧٨هـ وتوفي سنة ٦٤٣هـ، له من المصنفات: «أخبار المشتاق إلى أخبار العشاق»، «الأزهار في أنواع الأشعار»، «إظهار نعمة الإسلام وإشهار نقمة الإجرام» منظومة سينية في أحكام أهل الذمة، «أنساب المحدثين»، «تاريخ مدينة الإسلام في الذيل على تاريخ الخطيب»، «جنة الناظرين في معرفة التابعين»، «الدرة الثمينة في أخبار المدينة»، «ذيل تاريخ ابن ماكولا»، «روضة الأولياء في مجد إيليا»، «الزهر في محاسن شعر أهل العصر»، «سلوة الوحيد»، «الشافي في الطب»، «شرح حرز الأماني للشاطبي»، «شرح المفصل للزمخشري»، «العقد الفائق في عيون أخبار الدنيا ومحاسن تواريخ الخلائق»، «العوالي في الحديث»، «عيون الفوائد»، «غرر الفوائد»، «القمر المنير في المسند الكبير» ذكر فيه كل صحابي وحاله من الحديث، «الكمال في معرفة الرجال»، «كنز الأنام في معرفة السنن والأحكام»، «المتفق والمفرق»، «المختلف والمؤتلف» في أسماء الرجال، «معجم الشيوخ»، «مناقب الإمام الشافعي»، «نزهة الطرف في أخبار أهل الظرف»، «نزهة الورى في أخبار أم القرى» وغير ذلك. (كشف الظنون ٦/ ١٢٢).

(٤) هو مبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، أبو السعادات، مجد الدين ابن الأثير الجزري الشافعي، كاتب الإنشاء بالموصل، ولد سنة ٥٤٤هـ وتوفي سنة ٦٠٦هـ، له من التصانيف: «الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف»، «الباهر في النحو»، «البديع شرح فصول ابن الدهان في النحو»، «البنين والبنات والآباء والأمهات من رجال الحديث»، «تهذيب فصول ابن الدهان»، «جامع الأصول لأحاديث الرسول» جمع بين =

رضي الله عنهم وطال اجتماعه به. والفرق بين الصحابي والتابعي حيث اشترط طول الاجتماع في التابعي دون الصحابي أن الاجتماع بالمصطفى ﷺ يؤثر في تنوير القلب ما لا يؤثر الاجتماع الطويل بالصحابي وغيره من الأخيار، فالأعرابي بمجرد ما يجتمع بالمصطفى ﷺ مؤمناً ينطق بالحكمة ببركة طلعته ﷺ.

قال اللقاني[1] رحمه الله تعالى: والسلام التحية، وجعله بمعنى السلامة من الآفات والنقائص ضعيف لوجوب العصمة الدائمة والحفظ من الناس وهو اسم مصدر، وأما المصدر فهو التسليم وإنما أكد الفعل هنا بقوله: «تسليماً» ولم يؤكد فعل الصلاة تبعاً للفظ الآية، وإنما فعل كذلك في الآية لأن الأخبار بأن الله وملائكته يصلون على النبي أغنى عنه لدلالته على أنه من الشرف بمكان. وقال الشهاب على الشفاء: خص السلام بالتأكيد والتنوين للتعظيم أي تسليماً عظيماً تعريضاً بمن لم يسلم وقيل تسليماً لا كتسليم غيره من الأمة والصلاة ليست مما يشاركه فيها الأمة، ففهم منها التعظيم في نفسها من غير تأكيد أو أن التسليم لم يثبت لله والملائكة فهو في معرض المساهلة في الجملة. وقال أيضاً: خص المؤمنون بالتسليم المؤكد لبيان لزوم رعاية التعظيم من الأمة في حقه، لأنه ﷺ

= الصحاح الستة، «الجواهر واللآلي من إملاء المولى الوزير الجلالي»، «ديوان الرسائل»، «صناعة الكتاب»، «كتاب الآباء والأمهات»، «الكتاب الشافي في شرح مسند الشافعي»، «كتاب النهاية في غريب الحديث»، «المختار في مناقب الأبرار»، «المرصع في اللغة»، «المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار»، «نهاية الأثيرية في اللغات الحديثية». (كشف الظنون ٦/ ٢ـ ٣).

(١) اللقاني: هو إبراهيم بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن علي بن عبد القدوس اللقاني، العارف بالله، أبو الأمداد المصري المالكي، توفي سنة ١٠٤١هـ، له من التصانيف: «إجمال الوسائل»، «بهجة المحافل وأجمل الوسائل بالتعريف برواة الشمائل»، «البدور اللوامع من خدور جمع الجوامع للسبكي»، «تعليق الفرائد على شرح العقائد للنسفي»، «تفسير القرآن»، «تلخيص التجريد لعمدة المريد في شرح جوهرة التوحيد له»، «توضيح ألفاظ الأجرومية الموضوعة للتدريب في علم العربية»، «جوهرة التوحيد» منظومة في علم الكلام، «خلاصة التعريف برقائق شرح التصريف للتفتازاني»، «شرح مختصر الشيخ خليل» في الفروع، «عقد الجمان في مسائل الضمان»، «قضاء الوطر من نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر»، «كشف الكروب لملاقاة الحبيب والتوسل بالمحبوب» قصيدة، «منار أصول الفتوى وقواعد الإفتاء بالأقوى»، «نشر المآثر فيمن أدركتهم من علماء القرن العاشر»، «نصيحة الإخوان باجتناب الدخان». (كشف الظنون ٥/ ٣٠ـ ٣١).

المنقذ لهم من الضلال وافتقارهم له ولإنعامه أكثر من غيره، والمراد التسليم من النقائص التي عصمه الله منها ولم يسندها له غير البشر الذين هم من نوعه.

«مثل ذلك» أي مثل ما ذكر في الصلاة من العدد واستغراقه والدوام وعدم الانتهاء، قال في مطالع المسرات: وهذا اللفظ المذكور هو الذي في النسخة السهلية وغيرها من النسخ المعتمدة. وفي بعض النسخ المعتمدة أيضاً: صلاةً لا غاية لها ولا منتهى ولا أمد لها ولا انقضاء صلاتك التي صليت عليه صلاةً دائمةً بدوامك وعلى آله وأصحابه وعترته كذلك وسلم تسليماً كثيراً مثل ذلك، وفي بعض النسخ المعتمدة أيضاً بعد قوله: دائمةً بدوامك باقيةً ببقائك إلى يوم الدين وعلى آله الخ. وفي النسخة التي بأيدينا من حزب الشيخ: وصلى الله على سيدنا محمد السابق للخلق نوره ورحمةً للعالمين ظهوره عدد من مضى من خلقك ومن بقي ومن سعد منهم ومن شقي صلاةً تستغرق العد وتحيط الحد صلاةً لا غاية لها ولا منتهى ولا أمد لها ولا انقضاء، صلاتك التي صليت عليه صلاةً دائمةً بدوامك باقيةً ببقائك، وعلى آله وأصحابه وعترته كذلك والحمد لله على ذلك.

❊ ❊ ❊

خاتمة

نسأل الله تعالى حسنها وسعادتها ويمنها، قد ذكرنا في صدر هذا التعليق المبارك أن هذه الصلاة الجليلة إحدى الصلوات العشر التي رتبها الشيخ محيي الدين المعروف بجنيد اليمن، وقد أردنا تتميم الفائدة بذكر بقية الصلوات العشر وتذييلها بمسائل جليلة عظيمة القدر وفوائد حسنة ينشرح بها الصدر وتسوق إلى الفؤاد السرور والبشر.

فنقول: **الصلاة الأولى**: اللهم يا رب محمد وآل محمد صلى على محمد وآل محمد واجز محمداً ﷺ ما هو أهله.

الثانية: اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذرّيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد.

الثالثة: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد وارحم محمداً وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

الرابعة: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد في الأولين والآخرين وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين.

الخامسة: اللهم صل على محمد كما أمرتنا أن نصلي عليه وصل على محمد كما ينبغي أن يصلى عليه.

السادسة: اللهم صل على روح سيدنا محمد في الأرواح وعلى جسده في الأجساد وعلى قبره في القبور.

السابعة: اللهم صل على محمد وعلى آله وسلم.

الثامنة: اللهم صل على محمد الذي ملأت قلبه من جلالك وعينه من جمالك فأصبح فرحاً مسروراً مؤيداً منصوراً.

التاسعة: اللهم صل على محمد وآل محمد صلاة من في السموات والأرضين عليه وأجر يا رب لطفك في أمري.

العاشرة: كما هي عنده اللهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق نوره، والرحمة للعالمين ظهوره عدد من مضى من خلقك ومن بقي ومن سعد منهم ومن شقي، صلاة تستغرق العد صلاتك بالحد صلاة لا غاية لها ولا انتهاء ولا أمد لها ولا انقضاء، صلاتك التي صليت عليه صلاةً دائمة بدوامك باقيةً ببقائك لا أمد ولا انقضاء لذلك وعلى آله وأصحابه كذلك والحمد لله على ذلك.

ولفظها عند السخاوي: اللهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق نوره والرحمة للعالمين ظهوره عدد من مضى من خلقك ومن بقي ومن سعد منهم ومن شقي، صلاة تستغرق العد وتحيط بالحد صلاة لا غاية لها ولا انتهاء ولا أمد لها ولا انقضاء، صلاة دائمة بدوامك وعلى آله وصحبه كذلك، والحمد لله على ذلك.

* * *



تأليف

سيدي محمد بن أحمد المنلا

رحمه الله تعالى

علق عليه ووضع حواشيه

عبد الجليل عبد السلام

وها هنا فوائد تتضمن شرح تسع صلوات للغوث الأعظم الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه

الأولى

في الإشارة إلى حل بعض ألفاظ هذه الصلوات (قوله) في الصلاة الأولى: يا رب محمد أي مالكه وسيده المربي له بالنعم والمدد والقيام بما فيه صلاحه على الدوام المنعم عليه، المشرف له بمنازل قربه، والإضافة لتشريف المضاف إليه، وأتى بهذا الاسم الكريم في هذا التركيب على هذه الصورة للاستعطاف، قوله: وأجز محمداً، هو بوصل الهمزة يقال جزاه يجزيه ثلاثياً أي عامله بمقتضى فعله فأعطاه ثواب ما أحسن فيه أو عاقبه على ما أساء فيه، فقد يقيد بوصفه وقد يطلق موكولاً تقييده للمقام كما هنا، فإنه مقام العصمة والكمال، فالمراد هنا: أعطه في مقابلة ما قام به من حقك الذي هو متأهل له ومستحق له عندك بمقتضى كرامته عليك.

قال في مطالع المسرات: وروى الطبراني[1] في الكبير والأوسط عن ابن عباس[2] رضي الله عنهما بسند ضعيف قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال جزى

---

(١) الطبراني: هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الحافظ أبو القاسم الطبراني، من طبرية الشام، ولد بها سنة ٢٦٠هـ، وتوفي بأصبهان سنة ٣٦٠هـ، من تصانيفه: «تفسير القرآن»، «حديث الشاميين»، «دلائل النبوة»، «الطوالات» في الحديث، «عشرة النساء»، «كتاب الأوائل»، «كتاب الدعوات»، «كتاب الرمي»، «كتاب السنة»، «كتاب المكارم وذكر الأجواد»، «كتاب المناسك»، «كتاب النوادر»، «المعجم الأوسط» يحتوي على نحو اثنين وخمسين ألف حديث، «المعجم الصغير» في أسماء شيوخه، «المعجم الكبير» في الصحابة، «مسند أبي سفيان»، «مسند شعبة». (كشف الظنون ٥/ ٣٩٦).

(٢) ابن عباس: تقدمت ترجمته.

الله عنا محمداً ما هو أهله أتعب سبعين كاتباً ألف صباح»[١]. ورواه أبو نعيم[٢] في الحلية، وقال: حديث غريب.

(وقوله) في الصلاة الثانية: النبيء بالهمز وهو على لغة قريش قوله: أمهات المؤمنين أي في الاحترام والتحريم واستحقاق المبرة والتعظيم، وأما فيما عدى ذلك كوجوب حجبهن على الرجال فهن رضي الله عنهن كالأجنبيات، قوله: كما صليت على إبراهيم فيه سؤال مشهور وهو أن القاعدة أن المشبه بالشيء أن يكون مثله وقد يكون أدنى وأما أعلا فلا يكون، والمعلوم المقرر أن نبينا ﷺ أفضل من إبراهيم فكيف يخرج بظاهر هذا التشبيه على القاعدة المقررة، وقد أجابوا عنه بأجوبة منها: أن المشبه قد يكون أرفع من المشبه به كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النُور: الآية ٣٥]، وأين نور المشكاة من نوره تعالى، ولكن لما كان المراد من المشبه به أن يكون شيئاً ظاهراً واضحاً للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة، وكذا هنا لما كان تعظيم إبراهيم بالصلاة عليه مشهور واضحاً عند جميع الطوائف حسن أن يطلب لمحمد من الصلاة مثل ما حصل لإبراهيم، فالتشبيه المذكور ليس من باب إلحاق الناقص بالكامل لكن من باب إلحاق ما لم يشتهر بما اشتهر، ويؤيد ذلك ختم الطلب المذكور في بعض الروايات في قوله: في العالمين، أي كما أظهرت الصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين ولهذا لم يقع ذكر العالمين إلا في جانب إبراهيم دون محمد ﷺ، ومنها أن الدعاء للاستقبال فما كان من خير قد أعطيه النبيء ﷺ قبل الدعاء لم يقع في التشبيه، وإنما وقع في التشبيه الزائد على ما كان عنده طلباً أن يكون له مثل ما كان لإبراهيم زيادة على ما خصه الله تعالى به قبل السؤال ومنها غير ذلك.

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٥٠٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٦٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢٠٦.

(٢) أبو نعيم الأصبهاني: هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الحافظ، ولد سنة ٣٣٦هـ، وتوفي سنة ٤٣٠هـ، من مصنفاته: «أربعين في الحديث»، «أطراف الصحيحين»، «تاريخ أصبهان»، «حرمة المساجد»، «حلية الأولياء وبهجة الأصفياء»، «دلائل النبوة»، «الطب النبوي»، «فضل العالم العفيف»، «كتاب الرياضة والأدب»، «كتاب المهدي»، «المستخرج على البخاري»، «معجم الشيوخ»، «معرفة الصحابة». (كشف الظنون ٥/ ٧٤ـ ٧٥).

واعلم أن هذه الصلاة ذكرها في الشفاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وأخرجها أبو داود والطبراني عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من سره أن يكال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل: اللهم صل على محمد»[١] الخ، بزيادة وأهل بيته بعد قوله: وذريته.

(وقوله) في الصلاة الثالثة: وبارك على محمد معناه: أفض من البركات الدينية والدنيوية أو أدم ما أعطيت من التشريف والكرامة والبركة كثرة الخير والكرامة ونماءهما والزيادة منهما أو هي الثبات على ذلك أو هي التطهير والتزكية من المعائب.

(قوله) وارحم محمداً، يقال: رحمه الله بمعنى عطف عليه وقد وقع بين العلماء كلام في هذه اللفظة، فمنهم من أنكرها ومنهم من أجازها، وقد استدل صاحب القاموس على الجواز بقول الأعرابي: «اللهم ارحمني وارحم محمداً»[٢]. وتقريره ﷺ له قال في مطالع المسرات: والحق منع ذلك على الانفراد فلا يقال: قال النبي رحمه الله، لأنه خلاف الأدب وخلاف المأمور به عند ذكره من الصلاة عليه ولا ورد ما يدل عليه البتة، وخلاف ما يجب علينا من تخصيصه بما يشير إلى تفخيمه وتعظيمه اللائق بمنصبه الشريف وجوازه تبعاً للصلاة ونحوها على وجه الأطناب والخطاب ورب شيء يجوز تبعاً ولا يجوز استقلالاً.

(قوله) حميد هو فعيل، بمعنى مفعول، لأنه حمد نفسه، وحمده عباده، أو بمعنى فاعل، لأنه الحامد لنفسه، ولأعمال الطاعات من عباده.

(قوله) مجيد من المجد، وهو الشرف، والرفعة، وكرم الذات، والفعال التي منها كثرة الأفضال، والمعنى أنك أهل الحمد والفعل الجميل، والكرم والإفضال، فأعطنا سؤالنا، ولا تخيب رجاءنا.

(وقوله) في الصلاة الرابعة: في الأولين، أي المتقدمين بالزمان على هذه الأمة من أهل الإيمان في الأمم الماضية، أو المراد أول هذه الأمة، أو المراد من كان قبل هذه الصلاة هذا كله إن كانت الأولية باعتبار زمان وجودهم، ويحتمل أن

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ١٧٩.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب باب ٢٧، وأبو داود في الصلاة باب ١٤٩، والترمذي في الطهارة باب ١١٢، والنسائي في السهو باب ٢٠، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٩، ٢٨٣.

تكون الأولية باعتبار الصلاة، والمعنى صلِ عليه في أول من تصلي عليه، وفي آخر من تصلي عليه.

(وقوله) في الآخرين، هم هذه الأمة أو آخرها، أو من يأتي بعد هذه الصلاة على مقابلة ما تقدم في الأولين.

(قوله) في الملأ الأعلى، هم الملائكة، وقيل الملائكة العلوية، ومحلهم السماء وهي أعلا من الأرض، والملأ الجماعة مطلقاً، أو الجمع من الأشراف، أو ذوو الرأي من القوم يملؤون العيون رواءً والقلوب جلالة وبهاء والأعلا نعت له وهو أفعل من العلو دال على زيادته.

(قوله) إلى يوم الدين، أي صلاة دائمة إلى يوم الجزاء وهو يوم القيامة، من دانه يدينه جزاه ومنه قولهم: كما تدين تدان.

(وقوله) في الصلاة الخامسة: كما أمرتنا أن نصلي عليه، الكاف للتشبيه وما مصدرية أي كأمرك إيانا أي صل عليه صلاة توافق أمرك.

(قوله) كما ينبغي أن يصلى عليه، أي كما يطلب ويحتمل الوجوب والاستحباب، ولا يخفى أن للصلاة عليه ﷺ وجوباً واستحباباً.

(وقوله) في الصلاة السادسة: اللهم صل على روح سيدنا محمد في الأرواح أي الأرواح التي يصلى عليها وهي أرواح الملائكة والأرواح المؤمنة من الإنس والجن، والمعنى صل على روحه في جملتها أو المعنى خصه فيها بصلاة تخصه من بينها، وقد ذكر هذه الصلاة الجزولي بزيادة وعلى آله وصحبه وسلم في آخرها، وذكر الناسي أن من صلى بها على النبي ﷺ سبعين مرة رآه ﷺ في منامه. قال: وفي أعمال الصفا في فضل الصلاة على المصطفى روي عنه ﷺ أنه قال: «من قال اللهم صل على روح محمد في الأرواح وعلى جسد محمد في الأجساد وعلى قبر محمد في القبور اللهم بلّغ روح محمد تحيةً وسلاماً رآني في المنام»[١].

(وقوله) في الصلاة السابعة: وعلى أهله، هكذا وجد بخط من يوثق به.

(وقوله) في الصلاة الثامنة: الذي ملأت قلبه من جلالك، الجلال هو العظمة، ولما كان القلب محل الهيبة والعظمة والإجلال كما أن العين محل رؤية

---

(١) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

الجمال قال ما قال، والمعنى الذي ملأت عين قلبه دائماً من مشاهدة جمالك وعين رأسه عندما كشفت عنه الحجاب حتى رآك بها من غير كيف ولا أين ولفظ هذه الصلاة على ما عند الجزولي بعد قوله: فرحاً مؤيداً منصوراً وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً والحمد لله على ذلك.

(وقوله) في الصلاة التاسعة: وأجر يا رب لطفك في أمري، هي في بعض الروايات: وأجر يا مولانا لطفك الخفي في أمري، قيل: إن هذه الصلاة من ذكرها ألف مرة فرّج الله كربه وقضى حاجته كائنة ما كانت.

الفائدة الثانية

قال في مفاخر الإسلام أن كعب الأحبار دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا النبي ﷺ وكرمه فقال كعب الأحبار من شرف النبي ﷺ وكرمه لدى ربه ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفون بقبر النبي ﷺ ويضربون بأجنحتهم القبر ويصلون على النبي ﷺ حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى يدخل عليهم الصباح هكذا إلى يوم القيامة، ومن نزل وصعد لم يعد، إكراماً له ﷺ وتنويهاً بذكره وتنبيهاً على عظم قدره ﷺ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا صبيانكم في المهد فإن بكاء الصبي في المهد أربعة أشهر شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأربعة أشهر دعاء لوالديه، وأربعة أشهر الصلاة على نبيكم ﷺ»[1].

الفائدة الثالثة

من المواطن التي تطلب فيها الصلاة على النبي ﷺ سماع ذكره صرح بالاستحباب الفاضل زكرياء[2] من الشافعية، والشيخ أبو عبد الله الحطاب[3] من

---

(١) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٢) الفاضل زكرياء: هو زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، قاضي القضاة، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي. ولد سنة ٨٢٤هـ، وتوفي سنة ٩٢٦هـ، له العشرات من المصنفات. (انظر كشف الظنون ٥/ ٣٧٤).

(٣) أبو عبد الله الحطاب: هو محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن حسين الأندلسي الأصل، الطرابلسي المولد والوفاة، شمس الدين أبو عبد الله المعروف بالحطاب الرعيني المالكي، ولد سنة ٩٠٢هـ، وتوفي سنة ٩٥٤هـ. من تصانيفه: «البشارة الهنية بأن الطاعون لا يدخل =

المالكية. ومقتضى الأحاديث الشريفة وجوب الصلاة عليه ﷺ عند ذكره لما تضمنته من الوعيد على الترك المستلزم للوجوب وبه قال الشيخ أبو الحسن اللخمي[١] من المالكية وأبو عبد الله الحليمي[٢] وأبو حامد الاسفرايني[٣] من الشافعية وابن بطة[٤] من الحنابلة وأبو جعفر الطحاوي[٥] من أئمتنا الحنفية، وإن تكرر ذكره ﷺ فهل تندب كلما ذكر أو تجب أو يكفي مرة واحدة قال شيخ الإسلام زكرياء إن الصلاة تندب كلما تكرر ذكره ﷺ، وقال السخاوي[٦]: قد

= مكة والمدينة»، «تحرير الكلام في مسائل الالتزام»، «تحرير المقالة في شرح الرسالة لابن غازي»، «تفسير القرآن»، «قرة العين بشرح الورقات لإمام الحرمين» في الأصول، «القول المتين في أن الطاعون لا يدخل البلد الأمين»، «القول الواضح في بيان الحوائج» وغير ذلك. (كشف الظنون ٦/ ٢٤٢).

(١) أبو الحسن اللخمي: هو علي بن محمد الربعي اللخمي المالكي المتوفى بطرابلس سنة ٤٧٨هـ، له: «تبصرة» يحازي المدونة في الفقه. (كشف الظنون ٥/ ٦٩٢).

(٢) أبو عبد الله الحليمي: تقدمت ترجمته.

(٣) أبو حامد الإسفراييني: هو أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد، أبو حامد الإسفراييني، من فقهاء الشافعية، ولد سنة ٣٤٤هـ، وتوفي سنة ٤٠٦هـ، من تصانيفه: «تعاليق على مختصر المزني» في الفروع، «التعليقة الكبرى»، «كتاب البستان» في النوادر والغرائب. (كشف الظنون ٥/ ٧١).

(٤) أبو عبد الله بن بطة العكبري: هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري، أبو عبد الله البغدادي الحنبلي، المتوفى سنة ٣٧٨هـ، له كتاب «الإبانة في أصول الديانة». (كشف الظنون ٥/ ٦٤٧).

(٥) الطحاوي: هو أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي، أبو جعفر الطحاوي، فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، ولد ونشأ في طحا من صعيد مصر سنة ٢٢٩هـ، وتفقه على مذهب الشافعي ثم تحول إلى الحنفية ورحل إلى الشام سنة ٢٦٨هـ، وتوفي بالقاهرة سنة ٣٢١هـ، له من التصانيف: «أحكام القرآن»، «اختلاف العلماء»، «بيان السنة والجماعة في العقائد»، «حكم أراضي مكة المكرمة»، «شرح الجامع الصغير والكبير للشيباني في الفروع»، «عقود المرجان في مناقب أبي حنيفة النعمان»، «الفرائض»، «قسمة الفيء والغنائم»، «كتاب التاريخ»، «كتاب التسوية بين حدثنا وأخبرنا»، «كتاب الخطابات»، «كتاب الشروط الصغير»، «كتاب الشروط الكبير»، «كتاب المحاضر والسجلات»، «كتاب المحاضرات»، «المختصر في الفروع»، «المشكاة»، «معاني الآثار في الآثار المأثورة عن النبي ﷺ في الأحكام»، «نقض كتاب المدلسين على الكرابيسي»، «نوادر الفقه»، «نوادر القرآن» وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ٥٨ـ ٥٩).

(٦) السخاوي: تقدمت ترجمته.

صرح بوجوب الصلاة كما ذكر غير واحد ممن قال بوجوبها عند ذكره، وقال الحافظ شهاب الدين أبو البركات أحمد الخفاجي الحنفي الشهير بأفندي[١] نزيل مصر في شرح الشفاء: تجب كلما سمع أو ذكر. قال الأديب أبو حجلة[٢] رحمه الله تعالى:

صلوا عليه كلما ذكر اسمه ... في كل حين غدوةً ورواحا
فعلى الصحيح صلاتكم فرض إذا ... ذكر اسمه وسمعتموه صراحا
صلى عليه اللّه ما شب الدجا ... وبدا مَشيب الصبح فيه ولاحا

وأورد بعض الأفاضل أنه يلزم التسلسل[٣] وأجيب بأن المراد بالذكر ما هو بالقصد الأول أو ذكر غيره، ونقل محيي الدين النووي[٤] قال: يروى عن بعض أهل العلم قال إذا صلى الرجل على النبي ﷺ مرة في المجلس أجزأ عنه ما كان

---

(١) أحمد الخفاجي: هو أحمد بن محمد بن عمر المصري، القاضي شهاب الدين، المعروف بالخفاجي، الأديب الحنفي، توفي سنة ١٠٦٩هـ، من تصانيفه: «حديقة السحر»، «خبايا الزوايا في الرجال من البقايا»، «ديوان الأدب في ذكر شعراء العرب»، «رحلة»، «الرسائل الأربعون»، «ريحانة الألباء وزهرة الحياة الدنيا»، «شرح درة الغواص للحريري»، «شرح الفرائض»، «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل»، «طراز المجالس»، «عتاب الزمان في سبب حجب حرمان بني الأعيان»، «عناية القاضي وكفاية الراضي»، «كتاب السوانح»، «نسيم الرياض في شرح الشفاء للقاضي عياض» وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ١٦٠ـ ١٦١).

(٢) أبو حجلة: لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) التسلسل: هو ترتب أمور غير متناهية عند الحكماء وكذا عند المتكلمين. وأما التسلسل المستحيل عندهم فترتب أمور غير متناهية مجتمعة في الوجود، واستحالة التسلسل عند الحكماء مشروطة بشرطين اجتماع الأمور الغير متناهية في الوجود والترتيب بينها إما وضعاً أو طبعاً، وعند المتكلمين ليست مشروطة بشرطين مذكورين، بل كل ما ضبطه الوجود يستحيل فيه التسلسل، ويؤيده ما وقع في شرح حكمة العين: أقسام التسلسل أربعة، لأنه إما أن لا تكون أجزاء السلسلة مجتمعة في الوجود أو تكون. والأول هو التسلسل في الحوادث، والثاني إما أن يكون بين تلك الأجزاء ترتّب طبيعي وهو كالتسلسل في العلل والمعلولات، ونحوها من الصفات والموصوفات المترتبة الموجودة معاً، أو وضعي وهو التسلسل في الأجسام، أو لم يكن بينها ترتّب، وهو التسلسل في النفوس البشرية. والأقسام بأسرها باطلة عند المتكلمين دون الأول، والرابع عند الحكماء (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١/ ٤٢٩).

(٤) محيي الدين النووي: تقدمت ترجمته.

في ذلك المجلس، وقال الشيخ ابن عرفة[١]: والصلاة عليه ﷺ إذا تكرر ذكره في الكتب والتآليف يكفي فيها أن يقال: ﷺ، لأن في تكرار ذلك مشقة إلا في مواضع مخصوصة كالصلاة عليه في الصلاة. وقال الكواشي[٢]: وطريق الأدب والاحتياط أن يصلى على النبي ﷺ كلما ذكر.

«واعلم» أن المصلي عليه ﷺ يصلي عليه بنية القربة والاحتساب وقصد التعظيم ورجاء الثواب وامتثال أمر الله ومحبة في رسول الله ﷺ.

وقد كره العلماء الصلاة عليه ﷺ في عشرة مواضع نظمها بعضهم بقوله:

ذبح عطاس أو جماع عثرة ... وتعجب وكشهرةٍ لمبيعِ
أو حاجة الإنسان فاعلم عندها ... كرهوا الصلاة على أجَّلِ شفيعِ
أو عند حمامٍ وأكلٍ مثله ... ومواضع الأقذار للترفيعِ

قوله: وكشهرةٍ لمبيع إشارة إلى ما قاله الشيخ أبو عبد الله محمد الرصاع[٣] لما ذكر شهرة المبيع ويلحق بهذا عندي ما يصدر من العامة في الأعراس وغيرها فإنهم يشهرون أفعالهم للنظر إليها بالصلاة على النبي ﷺ مع زيادة عدم الوقار والاحترام بل بضحك ولعب. قال الشيخ أبو عبد الله الحطاب[٤] رحمه الله: بل

---

(١) ابن عرفة: هو محمد بن محمد بن عرفة الورغمي أبو عبد الله التونسي المالكي، ولد بتونس سنة ٧١٦هـ، وتوفي بها سنة ٨٠٣هـ، من تصانيفه: «تساعيات» في الحديث، «تفسير القرآن»، «عشاريات» في الحديث، «المبسوط» في فروع المالكية، «مختصر الحوفي» في الفرائض، «منظومة في قراءة يعقوب». (كشف الظنون ٦/ ١٧٧).

(٢) الكواشي: هو أحمد بن يوسف بن الحسين بن الحسن بن رافع الكواشي، أبو العباس، موفق الدين الضرير الموصلي، الشافعي، ولد سنة ٥٩١هـ، وتوفي سنة ٦٨٠هـ، له من المصنفات: «تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر» في تفسير القرآن، «تلخيص التفسير ما يتعلق بالرواية والتأويل»، «روضة الناظر وجنة المناظر»، «كتاب الوقوف»، «كشف الحقائق» في التفسير، «المطالع في المبادي والمقاطع»، «المواقيت في القرآن» وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ٩٨).

(٣) أبو عبد الله محمد الرصاع: هو محمد بن القاسم الأنصاري التلمساني، أبو عبد الله المالكي المعروف بالرصاع، المتوفى في حدود سنة ٨٩٥هـ، له من المصنفات: «تحفة الأخيار في فضل الصلاة على النبي المختار ﷺ»، «الجمع والتقريب في ترتيب أي مغني اللبيب»، «تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين»، «مختصر فتح الباري شرح صحيح البخاري». (كشف الظنون ٦/ ٢١٦).

(٤) أبو عبد الله الحطاب: تقدمت ترجمته.

يذكرون بلفظ محرّف إن قصدوا معناه كفروا، فإن كثيراً منهم يكسرون السين من السلام نعوذ بالله من ذلك.

الفائدة الرابعة

قال الحافظ السخاوي(١): ويحافظ الطالب على كتابة الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ كلما كتبه بدون رمز كما يفعله الكسالى ولا يسأم من تكراره سواء كان ثابتاً في الأصل أو لا، ومن أغفل الصلاة والسلام حرم أجراً عظيماً. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب»(٢)، رواه الطبراني في الأوسط. قال الشيخ زروق(٣) قدس سره: ويحتمل أن يكون المراد كتب الصلاة وهو أظهر أو قراءة الصلاة المكتوبة وهو أوسع وأرجى.

الفائدة الخامسة

اختلف في الحكمة في أمر الله سبحانه إيانا بالصلاة على النبي ﷺ، فقال القشيري(٤) في تفسيره: أراد سبحانه أن يكون للأمة عند رسولها يد خدمة يكافيهم

---

(١) السخاوي: تقدمت ترجمته.

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ١١٠، والهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٣٦، والمتقي الهندي في كنز العمال ٢٢٤٣، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣/ ٢٨٩، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/ ٣١٢، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٢/ ١١٤، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٢٨.

(٣) الشيخ زروق: تقدمت ترجمته.

(٤) القشيري: هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد الاستوائي، الإمام أبو القاسم القشيري النيسابوري، الشافعي، المحدث الصوفي، ولد سنة ٣٧٦هـ، وتوفي بنيسابور سنة ٤٦٥هـ، من تصانيفه: «أربعون في الحديث»، «استفاضة المرادات»، «بلغة المقاصد» في التصوف، «التحبير في علم التذكير» في معاني اسم الله تعالى، «التيسير في علم التفسير»، «الرسالة القشيرية» في التصوف، «عيون الأجوبة في فنون الأسئلة»، «الفصول في الأصول»، «كتاب المعراج»، «لطائف الإشارات» في تفسير القرآن، «المنتهى في نكت أولي النهى»، «ناسخ الحديث ومنسوخه»، «نحو القلوب»، «حياة الأرواح والدليل إلى طريق الصلاح»، «شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة»، «منثور الخطاب في شهود الألباب». (كشف الظنون ٥/ ٦٠٧ـ ٦٠٨، وانظر ترجمته أيضاً في: الكواكب الدرية ١/ ٦٢٩، البداية والنهاية ١٢/ ١٠٧، النجوم الزاهرة ٥/ ٩١).

من الشفاعة بيد نعمة فأمرهم بالصلاة عليه ثم كافي سبحانه على لسانه عليه الصلاة والسلام: «من صلى علي مرّة واحدة صلى الله عليه عشر مرات»[١]. وقال الحليمي[٢]: المقصود بالصلاة التقرّب إلى الله تعالى وقضاء حق النبي ﷺ علينا. وتبعه ابن عبد السلام[٣] في شجرة المعارف فقال: ليست صلاتنا على النبي ﷺ شفاعة له فإن مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا فإن عجزنا عنها كافيناه بالدعاء فأرشدنا الله إلى الصلاة عليه لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا.

الفائدة السادسة

اختلف في الصلاة عليه ﷺ ونفعها هل هو عائد على المصلي فقط أو عليه وعلى المصلي عليه ﷺ فقال بالأول جماعة منهم أبو العباس المبرد[٤] والقاضي

---

(١) أخرجه الهيثمي في موارد الظمآن ٢٣٩٠، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣/ ٢٨٨، ٥/ ٤٩.

(٢) الحليمي: تقدمت ترجمته.

(٣) عز الدين بن عبد السلام: هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الحسن بن محمد بن مهذب السلمي المنوفي الدمشقي، عز الدين، الفقيه الشافعي، ولد سنة ٥٧٨هـ، وتوفي سنة ٦٦٠هـ، له العديد من المصنفات، منها: «أمالي في تفسير القرآن»، «الإمام في أدلة الأحكام»، «بحار القرآن»، «شجرة المعارف»، «العقائد»، «الفوائد في اختصار المقاصد»، «الفتاوى المصرية». (كشف الظنون ٥/ ٥٨٠).

(٤) أبو العباس المبرد: هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن ثمالة الأزدي البصري، أبو العباس المعروف بالمبرد الأديب النحوي اللغوي الفقيه، ولد سنة ٢١٠هـ، وتوفي سنة ٢٨٥هـ، له من التصانيف: «احتجاج القراء»، «أدب الجليس»، «أسماء الدواهي عند العرب»، «إعراب القرآن»، «الحث على الأدب والصدق»، «الرد على سيبويه»، «الرسالة الكاملة»، «شرح شواهد سيبويه»، «شرح الفصيح في اللغة»، «شرح المقدمة له»، «صفات الله جل وعلا»، «ضرورة الشعر»، «طبقات النحاة البصريين»، «قواعد الشعر»، «الكامل في اللغة»، «كتاب الاشتقاق»، «كتاب الأنواء والأزمنة»، «كتاب البلاغة»، «كتاب التصريف»، «كتاب التعازي»، «كتاب الحروف» في معاني القرآن، «كتاب الخط والهجاء»، «كتاب الروضة»، «كتاب الرياض»، «كتاب الزيادة المنتزعة من سيبويه»، «كتاب العبارة»، «كتاب العروض»، «كتاب الفضل والمفضول»، «كتاب القوافي»، «كتاب المذكر والمؤنث»، «كتاب الناطق»، «كتاب الوشي»، «كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه»، «مدخل إلى سيبويه»، «مدخل إلى النحو»، «معاني القرآن»، «معنى كتاب الأوسط للأخفش»، «معنى كتاب =

أبو بكر بن العربي[1] ومشى عليه ابن فرحون[2]، وقال بالثاني الإمام أبو القاسم القشيري[3] في تفسيره.

قال القرطبي[4]: يزيد الله رفعة بصلاة أمته عليه ويرجع إليهم بأجور ووجوب شفاعته. قال بعضهم: وقد يقال لا خلاف، بل أحدهما تنبيه على الأدب في القصد والآخر إخبار عن كرم الله وعدم تناهي أفضاله. وقال شيخ الإسلام أبو عبد الله سيدي محمد العربي بن يوسف بن محمد الفاسي[5]: صلاة الناس على النبي ﷺ هي في عرف الشرع طلب الصلاة من الله تعالى والسلام طلب السلام عليه منه، فغاية صلاتنا صلاة الله تعالى عليه وهو ينتفع بها على كل ولا أظنهم

= سيبويه»، «المقتضب في الخطب»، «مقدمة في النحو»، «المقصور والممدود»، «نسب عدنان وقحطان» (كشف الظنون ٦/ ٢٠ـ ٢١).

(١) هو أبو بكر الباقلاني: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري، القاضي أبو بكر الباقلاني المتكلم الأشعري، سكن بغداد وتوفي بها سنة ٤٠٣هـ، من تصانيفه: «إعجاز القرآن»، «الانتصار»، «كشف أسرار الباطنية»، «الملل والنحل»، «مناقب الأئمة»، «نهاية الإيجاز في رواية الإعجاز»، «هداية المسترشدين» في الكلام. (كشف الظنون ٦/ ٥٩، وفيات الأعيان ١/ ٤٨١، قضاة الأندلس ص ٣٧ـ ٤٠، تاريخ بغداد ٥/ ٣٧٩، دائرة المعارف الإسلامية ٣/ ٢٩٤).

(٢) ابن فرحون: لعله عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي القاسم فرحون، بدر الدين، أبو محمد اليعمري، الأندلسي الأصل، مدني المولد والدار، المعروف بابن فرحون الفقيه المالكي، ولد سنة ٦٩٣هـ، وتوفي سنة ٧٦٩هـ، من تصانيفه: «العدة في إعراب العمدة». (كشف الظنون ٥/ ٤٦٧). ولعله علي بن أبي القاسم محمد بن فرحون المدني الأديب المتوفى سنة ٦٤٦هـ، وقيل: سنة ٧٤٦هـ، له: «الاعتبار وتواريخ الأخيار والتعريف بالنسبة إلى النبي المختار»، «ديوان شعرة»، «الزاهر في المواعظ والحكايات والأحاديث والذخائر». (كشف الظنون ٥/ ٧٠٩).

(٣) أبو القاسم القشيري: تقدمت ترجمته.

(٤) القرطبي: تقدمت ترجمته.

(٥) هو محمد بن يوسف بن محمد بن حامد بن أبي المحاسن العربي المغربي الفاسي، أبو عبد الله القصري المالكي، ولد سنة ٩٨٨هـ، وتوفي سنة ١٠٥٢، من تصانيفه: «تلقيح الأذهان بتنقيح البرهان»، «سهام الربط في المغمس الخالي الوسط»، «شرح القصيدة الشقراطيسية»، «الطالع المشرق في أفق المنطق»، «مرآة المحاسن» في التاريخ، «مراصد المعتمد في مقاصد المعتقد»، «مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات»، «منظومة في الوفق الحماسي الخالي الوسط». (كشف الظنون ٦/ ٢٨٠ـ ٢٨١).

يختلفون فيه كما أنهم لا يختلفون قطعاً في حصول الأجر لنا بطلبها فانظر ما معنى اختلافهم في انتفاعه بصلاتنا وترددهم في أن النفع عائد علينا أو له.

الفائدة السابعة

قال الحافظ ابن حجر[١]: إن الصلاة عليه ﷺ شرعت في الخامسة من الهجرة وقيل في ليلة الإسراء. وذكر القسطلاني[٢] في مسالك الحنفاء: أن آية «إن الله وملائكته» نزلت في شعبان فلذلك كان شهر الصلاة عليه. وهذه الآية تدل على الوجوب على تسعة أقوال:

أحدها: إنها تجب في الجملة من غير حصر لكن أقل ما يحصل به الأجزاء مرة وهو الذي شهّره القاضي أبو الحسن بن القصار[٣] من الملائكة.

الثاني: أنه يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد وهو للقاضي أبي بكر بن بكير[٤] من المالكية.

الثالث: تجب كلما ذكر وبه قال الطحاوي[٥] وجماعة من أصحابنا وجماعة من الشافعية واللخمي[٦] من المالكية وابن بطة[٧] من الحنابلة، وقال ابن العربي[٨]: أنه الأحوط.

الرابع: في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مراراً حكاه أبو عيسى الترمذي[٩]

---

(١) ابن حجر العسقلاني: تقدمت ترجمته.

(٢) القسطلاني: تقدمت ترجمته.

(٣) أبو الحسن بن القصار: هو علي بن أحمد الفقيه المالكي الشهير بابن القصار، المتوفى سنة ٣٩٧هـ، صنف «عيون الأدلة وإيضاح الملة» في الخلافيات. (كشف الظنون ٥/ ٦٨٤).

(٤) أبو بكر بن بكير: هو محمد بن عمر بن بكير بن ود البغدادي، الإمام المقرىء المجود.

(٥) الطحاوي: تقدمت ترجمته.

(٦) اللخمي: تقدمت ترجمته.

(٧) ابن بطة: تقدمت ترجمته.

(٨) ابن العربي: تقدمت ترجمته.

(٩) أبو عيسى الترمذي: هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي، الإمام الحافظ، أبو عيسى الضرير البوغي الشهير بالترمذي، المتوفى سنة ٢٧٩هـ، من مصنفاته: «الجامع الصحيح» في الحديث، «الرباعيات» في الحديث، «شمائل النبي ﷺ»، «كتاب التاريخ»، «كتاب العلل» في الحديث. (كشف الظنون ٦/ ١٩).

عن بعض أهل العلم.

الخامس: في كل دعاء.

السادس: أنها تجب في العمرة مرة ككلمة التوحيد وهو لأبي بكر الرازي[١] من علمائنا الحنفية.

السابع: تجب في الصلاة من غير تعيين المحل وهو عن أبي جعفر الباقر[٢] رضي الله عنه.

الثامن: تجب في التشهد وهو للشعبي[٣].

التاسع: تجب في القعود آخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحلل وهو للإمام الشافعي[٤] ومن تبعه.

الفائدة الثامنة

هل يجب أن يصلي على نفسه ﷺ أم لا؟ والذي نقله الحافظ شهاب الدين الخفاجي[٥] في شرح الشفاء عن الخزانة ما نصه: أجمعوا على أنه لا يجب على النبي ﷺ أن يصلي على نفسه. قال: وإذا لم يجب أن يصلي فهل كان يصلي على نفسه في صلاته بطريق السنة والاستحباب أو لم يكن يصلي عليه. قال بعض الفضلاء: إنها مسألة لم يصرح بها أحد من الفقهاء.

---

(١) أبو بكر الرازي: الحافظ الإمام محدث نيسابور صاحب التصانيف، توفي سنة ٣١٥هـ.

(٢) أبو جعفر الباقر: هو محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالبي الهاشمي، أبو جعفر الباقر، ولد بالمدينة سنة ٥٧هـ، وتوفي بالمدينة سنة ١١٤هـ، خامس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، ناسك عابد، عالم بالتفسير. (الأعلام ٦/ ٢٧٠).

(٣) الشعبي: هو عامر بن شراحيل الشعبي المتوفى سنة ١٠٣هـ، صنف «الكفاية في العبادة والطاعة». (كشف الظنون ٥/ ٤٣٥).

(٤) الإمام الشافعي: تقدمت ترجمته.

(٥) شهاب الدين الخفاجي: هو أحمد بن محمد بن عمر المصري، القاضي شهاب الدين، المعروف بالخفاجي الأديب الحنفي، توفي سنة ١٠٦٩هـ، من تصانيفه: «حديقة السحر»، «خبايا الزوايا في الرجال من البقايا»، «ديوان الأدب في ذكر شعراء العرب»، «رحلة»، «الرسائل الأربعون»، «ريحانة الألباء وزهرة الحياة الدنيا»، «شرح درة الغواص للحريري»، «شرح الفرائض»، «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل»، «طراز المجالس»، وغير ذلك (كشف الظنون ٥/ ١٦٠ـ ١٦١).

الفائدة التاسعة

اختلف العلماء هل كانت الأمم الماضية متعبدة بالصلاة على أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام أم لا. قال القسطلاني[1] في المواهب اللدنية: أنه لم ينقل لنا ذلك ولا يلزم من عدم النقل عدم الوقوع.

الفائدة العاشرة

قال القاضي أبو بكر بن العربي[2] في عرضاته: الذي أعتقده أن قوله ﷺ: من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ليست لمن صلى عليه وسلم بل لمن قصده بالصلاة عليه ابتداء.

الفائدة الحادية عشرة

هل يقطع بقبول الصلاة والسلام عليه ﷺ أم لا؟ قال الشيخ أبو إسحاق الشاطبي[3] في شرح الألفية: الصلاة على رسول الله ﷺ مجابة على القطع، فإذا اقترن بها السؤال شفعت بفضل الله تعالى فيه، فقيل: وهذا المعنى مذكور عن بعض السلف الصالح واستشكل بأنه لو قطع بها للمؤمن لقطع له بحسن الخاتمة، وهي مجهولة لكل أحد، وأجيب بأن معنى القطع بقبولها أنه إذا قضى للمؤمن بخاتمة الإسلام وجد حسنات الصلاة مقبولة بلا ريب بفضل الله تعالى بخلاف سائر الحسنات فإنه لا وثوق بقبولها، وكتب بعض المغاربة على هذا الجواب ما نصه وأقرب من هذا أن معنى القطع بقبولها هو كون الله يقبل دعاء الداعي بها بأن يعطي للنبي ﷺ ما سأله له هذا الداعي وهو حصول الصلاة عليه من الله تعالى وهذا مقطوع به عند صلاة المصلي وقبله وبعده ولا يستلزم ذلك كون هذا العمل من المصلي مقبولاً بمعنى يثاب عليه، تأمله.

---

(١) القسطلاني: تقدمت ترجمته.

(٢) أبو بكر بن العربي: تقدمت ترجمته.

(٣) أبو إسحاق الشاطبي: هو الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي المالكي، توفي في شعبان سنة ٧٩٠هـ، له من المصنفات: «أصول النحو»، «الاعتصام بالسنة»، «الإفادات والإنشادات»، «عنوان الاتفاق في علم الاشتقاق»، «عنوان التعريف بأسرار التكليف» مشهور بكتاب الموافقات، «كتاب المجالس» في شرح كتاب البيوع من صحيح البخاري. (كشف الظنون ٥/١٨).

الفائدة الثانية عشرة

ورد أن الصلاة على النبي ﷺ حبس على صاحبها لا مطمع للخصوص فيها، قال بعضهم: وذلك مشروط بما إذا قصد بها صاحبها التعظيم والمحبة. وأنشد الشيخ أبو عبد الله محمد العياشي رحمه الله:

ثواب المريض وأجر الصيام ... صلاةً عليه عليه السلام
وحسنة تضعيفها مع دعا ... إلى المحسنين لوجه السلام
فليس لمظلومنا أخذها ... وفي البعض منها لبعضٍ كلام

قال: قوله: وفي البعض منها لبعض كلام يشير بذلك إلى أن الإمام القرطبي ناقش في ثواب الصيام وسئل رضي الله عنه من أين لنا أن هذه المسائل المذكورة في النظم لا تؤخذ في التبعات؟ فأجاب بأن الصلاة على رسول الله ﷺ ورد فيها حديث بأنها حبس على صاحبها، وأما الأربعة الباقية فكان العارف بالله سيدي أحمد زروق يذكرها عن بعض أشياخه، ثم قال رضي الله عنه: ويقاس عن ثواب المريض سائر المصائب النازلة بالمؤمن كمن يضربه أو يشتمه إذا صبر فإن ذلك لا يؤخذ في التبعات إن شاء الله وقد جمعها بعضهم أيضاً:

بفضل اللّه لم تأخذ أجور ... علينا حبست عند العذاب
دعاء من له أحسنت يوماً ... وأجر الصوم مرض ذي احتساب
وتضعيف الأجور كذا صلاة ... على المختار في يوم الحساب

الفائدة الثالثة عشرة

إفراد الصلاة والسلام أحدهما عن الآخر مكروه، ومعنى الكراهة أن يفرد أحدهما عن الآخر ولا يسلم أصلاً، وأما لو صلى في وقت وسلم في وقت آخر فإنه يكون ممتثلاً، نص على ذلك السخاوي في القول البديع.

الفائدة الرابعة عشرة

قال النووي: وقد أجمع من يعتد به على استحباب الصلاة على سائر الملائكة والأنبياء استقلالاً قال: وأما غير الأنبياء فالجمهور على أنه لا يصلى عليهم ابتداء فلا يقال: أبو بكر ﷺ وهل هذا المنع على التحريم أو على الكراهة، قولان، والصحيح الذي عليه الأكثر أنه مكروه كراهة التنزيه، لأنه من شعار أهل البدع. قال علماؤنا: والأصل في ذلك أن الصلاة مخصوصة عند السلف رحمهم

الله بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كما أن قولنا: قال الله تعالى، وقال الله عز وجل مخصوص بالله سبحانه وتعالى، فكما لا يقال: محمد عز وجل، وإن كان عزيزاً جليلاً لا يقال: أبو بكر أو علي ﷺ وإن كان معناه صحيحاً. قال رحمه الله تعالى: واتفقوا على جواز جعل غير الأنبياء تبعاً لهم في الصلاة فيقول: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد وأصحابه وأزواجه وذريته وأتباعهم وسلم تسليماً، قال: وأما السلام فقال الشيخ أبو محمد الجويني[1]: من أصحابنا هو في معنى الصلاة فلا يفرد به غير الأنبياء فلا يقال: علي عليه السلام، قال: وأما الترضي فغير مخصوص بالصحابة رضي الله عنهم خلافاً لمن لا يعتد بخلافه بل الصحيح الذي عليه الجمهور استحبابه في حق الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء والعباد الصالحين رضي الله عنهم.

الفائدة الخامسة عشرة

الكثرة المأمور بها في الأحاديث من قوله ﷺ: «أكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة»[2]. قال أبو طالب المكي[3]: أقل ذلك ثلاثمائة مرة.

الفائدة السادسة عشرة

خص يوم الجمعة بالحض على الإكثار فيه من الصلاة عليه ﷺ بما فيه من

---

(١) أبو محمد الجويني: هو عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه (بفتح الحاء المهملة وسكون الياء المثناة والفتح وتشديدها كعمرويه)، أبو محمد الجويني الشافعي، والد إمام الحرمين، توفي بنيسابور سنة ٤٣٨هـ، له من الكتب: «التبصرة في الوسوسة من العبادات»، «التذكرة» في الفروع، «تفسير القرآن»، «الجمع والفرق»، «سلسلة في الفروع»، «المعتصر في مختصر المختصر للمزني» في الفروع «موقف الإمام والمأموم»، «كتاب الفروق». (كشف الظنون ٥/ ٤٥١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢١، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٣٢، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٣/ ٩٦٩، ١٠٣٩، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٢٤٩، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٥٠٣.

(٣) أبو طالب المكي: هو محمد بن علي بن عطية الحارثي المالكي الواعظ الصوفي نزيل بغداد، المتوفى بها سنة ٣٨٦هـ، من تصانيفه: «قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد» في الأخلاق والتصوف، «مشكل إعراب القرآن» وغير ذلك. (كشف الظنون ٦/ ٥٥).

الفضل، فهو يوم تشهده الملائكة وتعرض عليه فيه ﷺ صلاة من صلى عليه، وفيه ساعة الإجابة، إلى غير ذلك مما ذكر في فضائله. وقال ابن القيم[١]: أن الحكمة في ذلك أنه ﷺ سيد ولد آدم ويوم الجمعة سيد الأيام فللصلاة عليه فيه مزية ليست لغيره مع حكمة أخرى وهو أن كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة، فإنما نالته على يده ﷺ فهو عيد لهم في الدنيا وأعظم كرامة تحصل لهم في الآخرة فإنها تحصل يوم الجمعة، فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهو عيدهم في الدنيا، ويوم يسعفهم الله بطلباتهم وحوائجهم، ولا يرد سائلهم، وهذا كله إنما عرفوه وجعل لهم بسببه وعلى يده، فمن شكره وحمده وأدى القليل من حقه ﷺ أن يكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته. وقال غيره: إن فضل ليلة الجمعة ويومها بما أن فيها حل النور الباهر الشريف في بطن المكرمة آمنة فيكون لليلة الجمعة ويومها نسبة من مولده الشريف من اتخاذه عيداً وإكثار الصلاة عليه فيه شكراً لله وفرحاً به وتعظيماً والله أعلم.

ولنختم هذا التعليق المبارك المختصر بفوائد أُخر كاليواقيت والدرر، عظيمة الأجر والثواب، رفيعة القدر والجناب، فنقول: ذكر الجلال السيوطي[٢] رحمه الله تعالى أن من ذكر هذه الصلاة ليلة الجمعة ولو مرة ولازم عليها لم يلحده في قبره إلا المصطفى ﷺ وهي: (اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي الحبيب العالي القدر العظيم الجاه وعلى آله وصحبه وسلم). ونقل عن الأستاذ البكري[٣] رحمه الله تعالى أنه قال: من ذكر هذه الصلاة في عمره ولو مرة واحدة ودخل النار

---

(١) ابن القيم: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعي الإمام شمس الدين أبو عبد الله الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي، ولد سنة ٦٩١هـ، وتوفي سنة ٧٥١هـ، له العشرات من المصنفات. (انظر كشف الظنون ٦/ ١٥٨ـ ١٥٩).

(٢) السيوطي: هو عبد الرحمان بن كمال الدين أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن فخر الدين عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر الخضيري، الإمام جلال الدين السيوطي المصري الشافعي، ولد سنة ٨٠٩هـ، وتوفي في التاسع من جمادى الأولى سنة ٩١١هـ، له أكثر من مائتي منصف ذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون (انظر كشف الظنون ٥/ ٥٣٤ـ ٥٤٤).

(٣) البكري: هو أحمد بن زين العابدين بن محمد بن محمد بن علي البكري الصديقي المصري الشافعي، توفي سنة ١٠٤٨هـ، له من المصنفات: «حسن الوصف في تفسير سورة الصف»، «ديوان شعرة»، «روضة المشتاق وبهجة العشاق» على أسلوب لوعة الشاكي ودمعة الباكي. (كشف الظنون ٥/ ١٥٩).

يقبضني بين يدي الله تعالى وهي: (اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق الهادي إلى صراطك المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم). قال بعض العارفين: إن هذه الصلاة المرة منها بستمائة ألف صلاة. وعن علي رضي الله عنه أنه قال: من صلى على النبي ﷺ بهذه الكلمات فقد صلى عليه بصلاة جميع الخلائق، قال: يقول: صلوات الله تعالى وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وعلى آل محمد عليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته، قال: من صلى عليه بهذه كل يوم ثلاث مرات ويوم الجمعة مائة مرة حشره الله تعالى يوم القيامة في زمرة رسول الله ﷺ وأخذ رسول الله ﷺ بيده حتى يدخله الجنة.

وخرّج الحافظ أبو عمر بن عبد البر[١] عن أبي عمرو عثمان بن حُنيف الأنصاري[٢] رضي الله عنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ وأتاه رجل ضرير البصر، فشكا إليه ذهاب بصره وقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك، فقال: يا رسول الله ﷺ ليس لي قائدٌ وقد شق عليّ التخلّف عن الجماعة، فقال له ﷺ: ائت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ركعتين ثم ادع الله بهذه الدعوات: (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربك وربي في حاجتي لتقضي اللهم شفعة فيَّ).

قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا كأنه لم يكن له عمى قط[٣]. وفي كتاب الفوائد والعوائد للشيخ الإمام المحدث زين الدين أحمد بن أحمد الشرحبي الحنيفي اليمني[٤] ما نصه: روي عن الفقيه الصالح

---

(١) أبو عمر بن عبد البر: تقدمت ترجمته.

(٢) هو عثمان بن حنيف بن واهب الصحابي الأنصاري من بني عمرو بن مالك بن أوس، أخو سهل بن حنيف. قال الترمذي: إنه شهد بدراً، وقال الجمهور: أو مشاهدة أُحد، واستعمله عمر بن الخطاب في مساحة الأرضين وجبايتها وضرب الخراج والجزية، وولاه علي بن أبي طالب على البصرة، وكان آخر عهده أقام في الكوفة، توفي في خلافة معاوية (الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٣٦، كتاب الثقات لابن حبان ٣/ ٢٦١).

(٣) أخرجه الترمذي في الدعوات باب ١١٨.

(٤) زين الدين أحمد بن أحمد الشرحبي الحنيفي اليمني: كذا اسمه في الأصل، وفي كشف الظنون ٥/ ١٣٦: أحمد بن أحمد بن زين الدين عبد اللطيف بن أبي بكر أحمد بن عمر =

عمر بن سعيد[١] صاحب سيدي عقبة[٢] رحمه الله تعالى أنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قال كل يوم اللهم صل على محمد وآله صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداءً ثلاث وثلاثين مرة فتح الله له ما بين قبره وقبر نبيه محمد ﷺ باباً ينظره منه حتى يبعث معه. وعن بعض الصالحين أنه قال: من وقع في كربة فقال: اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر الزكي صلاة تحل بها العقد وتفك بها الكرب، ويكرر ذلك فرّج الله عنه، صحيح مجرب.

وذكر صاحب مفاتيح الإسلام في فضل الصلاة على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاة العصر يوم الجمعة فقال قبل أن يقوم من مجلسه: اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة»[٣]. وذكر السيوطي في الدر المنثور في تفسير القرآن بالحديث المأثور عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ فجاءه رجل فسلم عليه فرد النبي ﷺ وأطلق وجهه وأجلسه إلى جنبه، فلما قضى الرجل حاجته نهض فقال النبي ﷺ: «يا أبا بكر هذا الرجل يرفع له كل يوم عمل كعمل أهل الأرض» قلت: وبم ذلك يا رسول الله؟ قال: «إنه كلما أصبح صلى عليّ عشر مرات كصلاة الخلق أجمع»، قلت: وما ذاك؟ قال: «يقول: اللهم صل على محمد النبي عدد من صلى عليه من خلقك وصل على محمد النبي كما ينبغي لنا أن نصلي عليه، وصل على محمد النبي كما أمرتنا أن نصلي عليه»[٤].

= الشرجي الزبيدي، شهاب الدين اليمني الحنفي، توفي سنة ٨٩٣هـ، له من المصنفات: «التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للبخاري»، «الفوائد والصلات والعوائد»، «نزهة الأحباب في الآداب»، «طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص».

(١) عمر بن سعيد: لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) عقبة: هو عقبة بن عامر بن عيسى بن مالك الجهني، أمير من الصحابة، كان رديف النبي ﷺ، كان شجاعاً فقيهاً شاعراً قارئاً، من الرماة، وهو أحد من جمع القرآن، له ٥٥ حديثاً، توفي بمصر سنة ٥٨هـ (الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٣٠، ٣/ ١٩٦، ٤/ ٢٥٦، ٧/ ٣٤٥، كتاب الثقات لابن حبان ٣/ ٢٨٠).

(٣) أخرجه في جامع المسانيد ٢/ ٢٨١، بلفظ: «من صلى صلاة العصر في جماعة ثم ذكر الله...».

(٤) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٩٦، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٩٨١، وابن عراق في تنزيه الشريعة ٢/ ٣٢٨.

وخرَّج ابن وداعة[1] وحُيي بن محمد[2] حديث: أن من صلى على النبي ﷺ في يوم الجمعة ألف مرة يقول: اللهم صل على محمد النبي الأمي فإنه يرى من ليلته في المنام ربه أو نبيه أو منزلته من الجنة، فإن لم يره ففي جمعتين أو ثلاث إلى خمس، وحصول الأمنية لا يكون إلا بعد خلوص النية.

وقال الشيخ البكري[3] رضي الله عنه: من ذكر هذه الصلاة ولو مرة في عمره ودخل النار يقبضني بين يدي الله ومن قالها ثلاثاً فقد اشترى نفسه من الله، وهي: اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد صلاةً تزن الأرض والسموات وما في علمك عدد جواهر أفراد كرة العالم وأضعاف ذلك إنك حميد مجيد. وقال بعض العارفين: هذه الصلاة بلغنا أنها تعدل دلائل الخيرات سبعين مرة، وهي: اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد صلاة تعدل صلوات أهل محبته وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه سلاماً يعدل سلامهم. وقال الشيخ العياشي[4] رضي الله عنه: رأيت في بعض التقاييد ما نصه من قرأ هذه الصلاة مرة واحدة فكأنما قرأ دلائل الخيرات أربعين مرة، وهي: اللهم صل وسلم وكرّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته عدد ما في علمك صلاة دائمة تدوم بدوام ملكك. وقال أيضاً رضي الله عنه: رأيت في جدار قبة بعض الأولياء ما نصه: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ما اتصلت العيون بالنظر وتزخرفت الأرض بالمطر وحج حاج واعتمر، ولبى وحلق ونحر وطاف بالبيت العتيق وقبّل الحجر، من قالها مرة بخمسين ألف صلاة.

ونقل عن بعض العارفين: أن من صلى بهذه الصلاة مرة واحدة عدلت له خمسمائة ألف صلاة وكانت له فداءً من النار، وهي: اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله كما لا نهاية لكمالك وعدد كماله. وعن الشيخ أبي عبد الله

---

(١) ابن وداعة: لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) حيي بن محمد: لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) البكري: تقدمت ترجمته.

(٤) العياشي: هناك أكثر من واحد اسمهم العياشي، منهم: أحمد بن عمر أبو العباس العياشي (انظر ترجمته في كشف الظنون ٥/ ٩٢)، ومنهم: عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي (كشف الظنون ٥/ ٤٧٨)، ومنهم: عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان العياشي (كشف الظنون ٥/ ٥٥٨)، ومنهم: محمد بن مسعود بن محمد بن عياش العياشي السلمي. (كشف الظنون ٦/ ٣٢).

محمد بن أحمد اليوسي السوسي[١] رحمه الله أنه قال: مما جرب للغنى قراءة هذه الصلاة سبعاً صباحاً ومساءً، وهي: اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، صلاة تفتح لنا بها أبواب الرضا والتيسير وتغلق بها عنا أبواب الشر والتعسير، أنت الرب المولى نعم المولى ونعم النصير.

وعن الشيخ السنوسي[٢] قدس سره: أن من حافظ على هذه الصلاة المباركة المشتملة على أوصاف النبي ﷺ دخل الجنة من غير شك، وهي: اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي جعلت رأسه من الهدى وحاجبه من التفكر وعينيه من النور وسمعه من الطاعة وأنفه من الزهد وفمه الحكمة وأسنانه من اللؤلؤ ولسانه من الصدق ولحيته من الرضا وعنقه من الخضوع ويديه من السخاء وصدره من الحياء وقلبه من الإخلاص وكبده من الحنانة ورئته من السكينة وطيحاله من الوقار وبطنه من القناعة وبشاشته من العصمة وفخذيه من الورع وقدميه من الاستقامة وعلى آله وصحبه.

وهذه صلاة الشريف البنوي والقطب العلوي أبي العباس سيدي أحمد البدوي[٣] من قالها ليلة الجمعة مائة مرة في موضع خال من الناس، فإنه يرى النبي ﷺ وكل مرة منها تعدل مائة ألف صلاة على النبي ﷺ وهي هذه: اللهم صل على الشجرة الأصلية النورانية ولامعة القبضة الرحمانية، وأفضل الخلقة الآدمية وأشرف الصورة الجثمانية ومعدن الأسرار الربانية وخزائن العلوم الاصطفائية صاحب القبضة الأصلية والبهجة السنية والرتبة العلية من اندراج النبيئون تحت لوائه فهم منه وإليه، فصل وسلم وبارك عليه وعلى آله عدد ما خلقت ورزقت وأمتَّ وأحييت إلى يوم تبعث من أفنيت. وعن ابن العباس رضي الله عنهما قال:

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد اليوسي السوسي: لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) السنوسي: أحمد الشريف بن محمد بن محمد بن علي السنوسي الخطابي، مجاهد، من كبار السنوسيين أصحاب الطريقة المعروفة بهم في المغرب نسبته إلى آل «الخطاب» من قبيلة «مجاهر» بالجزائر. ولد وتفقه في «الجغبوب» وأقام في «التاج». توفي في المدينة. كان على علم غزير وأستاذ كبير صنف في أوقات فراغه عدّة كتب منها: «الأنوار القدسية» و «الفيوضات الربانية».

(٣) أبو العباس سيدي أحمد البدوي: هو أحمد بن عبد الله أبو العباس، شهاب الدين البدوي، توفي سنة ٦٧٥هـ، صنف «نسب القطب النبوي والشريف العلوي». (كشف الظنون ٥/٩٨).

من قال عشية الجمعة عشر مرات: اللهم يا دائم الفضل على البرية ويا باسط اليدين بالرحمة والعطية ويا صاحب المواهب السنية، صل على سيدنا محمد خير الورى بالسجية واغفر لنا يا ذا العلى في هذه العشية. كتب الله عز وجل له مائة ألف ألف حسنة ومحا عنه مائة ألف ألف سيئة ورفع له مائة ألف ألف درجة، وإذا كان يوم القيامة زاحم إبراهيم عليه السلام في قبته.

وهذه الصلاة التي أهداها القطب الرازي[١] إلى ابن العراقي[٢] وذكر أن من قرأها كل يوم كان في قلب القطب الذي هو الكعبة الحقيقية محل نظر الله تعالى من هذا العالم وهي هذه: اللهم جدد وجرّد من صلواتك التامات وتحياتك الزاكيات ورضوانك الأكبر الأتم الأدوم على أكمل عبدٍ لك في هذا العالم من بني آدم الذي أقمته لك ظلاً وجعلته لحوائج خلقك قبلةً ومحلاً واصطفيته لنفسك وأقمته بحجتك وأظهرته بصورتك واخترته مستوى لتجليك ومنزلاً لتنفيذ أوامرك ونواهيك في أرضك وسمواتك واسطة بينك وبين مكوناتك، وبلغ سلام عبدك هذا إليه فعليه منك الآن من عبدك أفضل الصلاة وأشرف التحيات وأزكى التسليمات، اللهم ذكّره بي ليذكرني عندك بما أنت تعلم إنه نافع لي عاجلاً وآجلاً على قدر معرفته ومنزلته لديك لا على قدر علمي، ومنتهى فهمي إنك بكل فضل جدير وعلى ما تشاء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين. وفي كتاب اليواقيت والجواهر قال ﷺ: إذا قال العبد صلى الله على جبريل فإذا مات زار قبره كل يوم سبع مرات مع سبعين ألف ملك مع كل ملكٍ هدية، وكان يوم القيامة في ظل جناح جبريل. وسئل العارف بالله سيدي محمد العياشي[٣] رحمه الله عن كيفية الصلاة على سيدنا جبريل عليه السلام قال: تقول: اللهم صل على سيدنا جبريل سيد أهل السماء، اللهم صل على سيدنا جبريل عدد التراب والماء.

---

(١) القطب الرازي: لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) ابن العراقي: هو أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، وليّ الدين، قاضي الديار المصرية، توفي سنة ٨٢٦هـ، له من المصنفات: «فضل الخيل وما فيها من الخير والنيل»، «رواة المراسيل»، «تذكرة» وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ١٢٣).

(٣) محمد العياشي: هو محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي العراقي، أبو النضر السمرقندي، يعرف بالعياشي، توفي في حدود سنة ٣٢٠هـ، عدد مصنفاته تزيد على مائتين. (انظر كشف الظنون ٦/ ٣٢-٣٣).

وعن أنس[١] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ إذا سلم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثني رجله فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعاً سبعاً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأعطي من الأجر بعدد من آمن بالله واليوم الآخر»[٢]. وفي رواية: كانت له حرزاً من الشيطان من الجمعة إلى الجمعة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال بعد أن يقضي الجمعة: سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب»[٣]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار قبر أبويه أو أحدهما كل جمعة غفر له وكُتب باراً»[٤]، رواه الطبراني في الصغير والأوسط. وعن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى ليلة الخميس بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة الفاتحة مرة وآية الكرسي خمس مرات فإذا سلم استغفر الله خمس عشرة مرة، وجعل لوالديه ثوابها فقد أدى حقهما وإن كان عاقاً لهما»[٥]. وعن جابر بن عبد الله[٦] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: اللهم اغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات حيهم وميتهم كان له بعدد كل مؤمن حي أو ميت من لدن نوح إلى أن قالها حسنة»[٧]. وقال ﷺ: «من قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين كان له بكل عبد صالح من أهل السموات والأرض من أول الدهر إلى آخره حسنة»[٨]. من شفاء ابن سبع ومنه

---

(١) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام، الأنصاري البخاري صاحب رسول الله ﷺ وخادمه. روى عن النبي ﷺ وعن أبي بن كعب، وأسيد بن حضير، توفي سنة ٩٣هـ. (انظر ترجمته في: البداية والنهاية ٩/ ٩٧ـ ١٠١، الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٢، كتاب الثقات لابن حبان ٣/ ٤، الأعلام للزركلي ٢/ ٢٤، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣/ ١٣٩، صفة الصفوة ١/ ٢٩٨، تهذيب الكمال ٢/ ٣٣٠ـ ٣٤٥، كتاب الوفيات لابن قنفذ ص ٨٥).

(٢) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣/ ٢٧١.

(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣/ ٢٧٢.

(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٥٩، والفتني في تذكرة الموضوعات ٢١٩.

(٥) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣/ ٣٨٠، والشوكاني في الفوائد المجموعة ٤٦.

(٦) هو جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي، أحد المكثرين في رواية الحديث عن رسول الله ﷺ، توفي سنة ٧٤هـ، وقيل: سنة ٧٨هـ (انظر ترجمته في: البداية والنهاية ٩/ ٢٤، كتاب الثقات لابن حبان ٣/ ٥٢، الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٤٣١، ٧/ ٦١، شذرات الذهب ٢/ ٨٤، الإصابة ١/ ٢١٢، كتاب الوفيات ص ٨١).

(٧) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٨) الحديث لم أجده.

أيضاً هذا دعاء علمه جبريل عليه السلام للنبي ﷺ من دعا به قضى الله له سبعين ألف حاجةً أدناها المغفرة والعتق من النار وتفريج الهم وهو: (بسم الله الرحمٰن الرحيم. لا إلٰه إلا الله واحدٌ وحده، بادٍ رشده، صادقٌ وعده، ناصرٌ عبده، لا إلٰه قبله، ولا شيء بعده، اللهم اجعلنا ممن سألك فأعطيته، وتوكل عليك فكفيته، وآمن بك فهديته، واستغاث بك فأغثته، واستجار بك فأجرته، واستعان بك فأعنته). وعن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ المؤمن آية الكرسي وجعل ثوابها لأهل القبور أدخل الله تعالى في كل قبر من الشرق إلى الغرب أربعين نوراً ووسع الله عز وجل عليهم مضاجعهم وأعطى الله للقارىء ثواب ستين نبياً ورفع الله له بكل ميت درجة وكتب له بكل ميتٍ عشر حسنات. ذكره القرطبي في تذكرته»[١].

قال صاحب النفحات القدسية بعد أن ذكر هذا الحديث وظاهره: أنه ولو كان في بيته وفضل مولانا لا يحصى، وفي التذكرة أيضاً من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مر على المقابر وقرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات»[٢]. وورد أنه ما من عبد يقف عند قبر أخ من إخوانه ويدعو بهذا الدعاء إلا غفر الله لذلك الميت ذنوب خمسين سنة ويكتب الله تعالى لقائلها خمسة وأربعين ألف حسنة ويرفع له خمسة وأربعين ألف درجة وهو: (الحمد لله الذي لا يبقى إلا وجهه ولا يدوم إلا ملكه أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له إلٰهاً واحداً أحداً فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له كفؤاً أحد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله كما هو أهله فلله الحمد ربّ السموات والأرض ربّ العالمين وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم شَهد الله أنه لا إلٰه إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إلٰه إلا هو العزيز الحكيم)، ثم يقول: اللهم اجعل ثواب هذه الكلمات لصاحب هذا القبر. ويروى أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء: من أتاني يوم القيامة وفي صحيفته أربع آلاف مرة بسم الله الرحمٰن الرحيم ركّزت لواءه إلى قائمة من قوائم العرش وشفّعته في اثني عشر

(١) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٢) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٣٧١، والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٢٥٩٦.

ألف عتيق قد استوجبوا النار، ولولا إني قضيت على كل نفس بالموت ما قبضت روحه ولا يمنعه أن يدخل الجنة إلا أن ينزل به الموت.

وعن تميم الداري[(١)] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال بعد صلاة الصبح: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له إلٰهاً واحداً أحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له كفؤاً أحد إحدى عشرة مرة كتب الله له أربعين ألف ألف حسنة»[(٢)]. رواه الديلمي في مسند الفردوس. قال صاحب النفحات القدسية: ومن أراد أن يأمن وسوسة الشيطان فليقرأ عقب كل صلاة مكتوبة سبع مرات: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فَاطِر: الآيتان ١٦، ١٧]، وإن أضاف إليها: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾ [النَّاس: الآية ١] إلى آخر السورة كان أجود. وعن أبي بكر الكتاني[(٣)] قال: رأيت المصطفى ﷺ فقلت: ادع الله لي أن لا يميت قلبي، فقال: قل كل يوم أربعين مرة: يا حي يا قيوم لا إلٰه إلا أنت ووقتها بعضهم بما بين فرض الصبح وسنته. وعن الحسن بن علي[(٤)] رضي الله عنهما: من قرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى. قال بعض العارفين: آية الكرسي خمسون كلمة على عدد الصلوات المأمور بها أولاً في تلك الحضرة، ولعل هذا هو سبب ما ثبت من أنه لا يقرب من يقرأها عند النوم شيطان لأن من كان في

---

(١) تميم الداري: هو تميم بن أوس بن خارجة الداري، أبو رقية، صحابي، نسبته إلى الدار بن هانيء من لخم، أسلم سنة ٩هـ، وهو أول من أسرج السراج في المسجد، وكان راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين، روى له البخاري ومسلم ١٨ حديثاً (الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٢٨٦).

(٢) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ١٣٣، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٥١٧.

(٣) أبو بكر الكتاني: هو محمد بن علي بن جعفر الكتاني، بغدادي سكن مكة، يعرف بسراج الحرم صحب الجنيد والخزار والنوري.

(٤) هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد، خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، وثاني الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، ولد في المدينة المنورة سنة ٣هـ، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ. وهو أكبر أولادها، كان عاقلاً حليماً بايعه أهل العراق بعد مقتل الإمام علي بن أبي طالب سنة ٤٠هـ. وأشاروا عليه بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان ولكنه آثر الصلح، وتخلى عن الخلافة له سنة ٤١هـ، وسمي هذا العام عام الجماعة، توفي سنة ٥٠هـ. (انظر: تهذيب التهذيب ٢/ ٢٩٥، الإصابة ١/ ٣٢٨).

حضرة الرحمان عال عن وسواس الشيطان. وعن أبي سعيد الخدري[١] رضي الله عنه أنه قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة، فقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا أمامة ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة؟» فقال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله، قال: «ألا أُعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من البخل والجبن وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»، قال: ففعلت ذلك فأذهب الله همي وقضى ديني[٢]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من رأى صاحب بلاءٍ فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضّلني على كثير ممن خلق تفضيلاً لم يصبه ذلك البلاء كائناً ما كان ما عاش»[٣] وفي بعض الروايات أنه يقول ذلك في نفسه ولم يسمع صاحب البلاء.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة، قال: «أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك»[٤]. قال الأبي[٥] رحمه الله: قوله أمسيت هو ظاهر في أن قول ذلك عند المساء كافٍ ولا يحتاج إلى تكراره عند دخول الدار ولا عند النوم وأنه لو قاله عند دخول الدار أو عند جلوسه للعشاء لم يحتج إلى تكراره عند النوم وانظر لو كتبت وعلقت، فكان الشيخ يقول: يرجى نفعها ولا يلحق بالقول، وقال الشيخ أبو زيد الثعالبي[٦]: قد لدغتني العقرب في

---

(١) أبو سعيد الخدري: هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر، من بني خدرة، اشتهر بكنيته، روى عن النبي ﷺ وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، توفي سنة ٦٣هـ، وقيل: سنة ٦٥هـ. وقيل: سنة ٧٤هـ. (انظر ترجمته في البداية والنهاية ٩/ ٤، كتاب الثقات لابن حبان ٣/ ١٥٠، الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٠٧، الإصابة ٢/ ٣/ ٨٥، المعارف لابن قتيبة ٢٦٨، تاريخ الخميس ٢/ ٣٠٩، النجوم الزاهرة ١/ ١٩٢).

(٢) أخرجه أبو داود في الوتر باب ٣٢.

(٣) أخرجه الترمذي حديث ٣٤٣١، ٣٤٣٢، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٥١٢.

(٤) أخرجه مسلم في الذكر حديث ٥٥.

(٥) الأبي: تقدمت ترجمته.

(٦) أبو زيد الثعالبي: هو عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، أبو زيد الفقيه المالكي المتوفى سنة ٨٧٥هـ، له من المصنفات: «أربعين في إغاثة الملهوف»، «الإرشاد في =

عمري ثلاث مرات فلم أجد لها وجعاً إلا مثل قرص النمل أو نحو ذلك وهو الذي يدل عليه الحديث، فإنه قال: لم تضرك ولم يقل لم تمسك. وقال في نفائس المرجان في عرائس القرآن: روي عن بعضهم أن الحية والعقرب أتيا نوحاً فقالتا: احملنا، فقال: إنكما سبب الضرر والبلاء فلا أحملكما، قالتا: احملنا فنحن نضمن لك أن لا نضر أحداً ذكرك، فمن قرأ حين يخاف مضرتهما قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩﴾ [الصَّافات: الآية ٧٩] ما ضرتاه. وقال الدميري[(١)] رحمه الله في حياة الحيوان: أخذ على العقرب أن لا تضر أحداً قال: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف: الآية ١٨] وفي العهود الكبرى وأدلك يا أخي على فائدة إذا قرصتك عقرب فادهن دائرة مخرج الغائط بالزيت الطيب فإن الحرقان يبرد في الحال وقد جربنا ذلك مراراً. وأفاد الدميري رحمه الله: أن العقرب إذا دقت وألصقت على لسعتها أبرأتها وإذا بخّر البيت بزرنيخ أحمر وشحم البقر هربت منه العقارب، ومن شرب مثقالين من حب الأترج أبرأه من لسعة العقرب. وفي عجائب المخلوقات: أنه إذا علق شيء من عروق شجر الزيتون على من لسعته عقرب برىء من ساعته. وعن معقل بن يسار[(٢)] رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث

= مصالح العباد»، «التقاط الدرر»، «الأنوار في آيات النبي المختار»، «الأنوار المضية في الشريعة والحقيقة»، «تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن»، «جامع المهمات في الفقه»، «الجواهر الحسان في تفسير القرآن»، «الدر الفائق المشتمل على أنواع الخيرات والأذكار والدعوات»، «الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز»، «روضة الأنوار ونزهة الأخيار»، «رياض الصالحين»، «العلوم الفاخرة في النظر بأمور الآخرة»، «قطب العارفين» في التصوف، «شرح مختصر ابن الحاجب». (كشف الظنون ٥/ ٥٣٢ـ ٥٣٣).

(١) الدميري: هو محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، كمال الدين أبو البقاء المصري الشافعي، ولد سنة ٧٤٢هـ، وتوفي سنة ٨٠٨هـ، له من التصانيف: «التذكرة»، «الجوهر الفريد في علم التوحيد»، «حياة الحيوان» صغرى وكبرى، «ديباجة في شرح سنن ابن ماجه»، «شرح المعلقات السبع»، «غاية الأرب في كلام حكماء العرب»، «شرح غاية الأرب»، «مختصر الغيث الذي انسجم شرح لامية العجم للصفدي»، «النجم الوهاج لشرح المنهاج للنووي» في الفروع، وغير ذلك (كشف الظنون ٦/ ١٧٨).

(٢) هو معقل بن يسار بن عبد الله المزني، صحابي أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان، وسكن البصرة وتوفي بها، ونهر معقل فيها منسوب إليه حفره بأمر عمر بن الخطاب. (الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٠).

آيات من آخر سورة الحشر وكّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي فإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة»[١]. وعنه ﷺ أنه قال: «من استعاذ بالله في اليوم عشر مرات وكّل الله به ملكاً يزيل عنه الشيطان»[٢]. وعنه ﷺ أنه قال: «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من ذلك المنزل»[٣].

وقال في نوادر الأصول: لقي جبريل موسى عليهما السلام فقال: يا جبريل إن ربك يقول: من قال دبر كل صلاة مرة واحدة: اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرقةٍ يطرق بها أهل السموات وأهل الأرض، وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله الله لا إلٰه إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم إلى العظيم، فإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا ويصعد إليّ منه سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور وتشتغل الملائكة بذلك. قال الحكيم الترمذي[٤]: حصلنا حساب ليلة فبلغ ثمانمائة ألف ألف وأربعين ألف ألف وبالنهار مثله فذلك كله ست عشرة مائة ألف ألف وثمانون ألف ألفِ هذا ليومٍ وليلة، فحقيق أن تشتغل الملائكة بذلك. وعنه ﷺ أنه قال: «من قرأ آية الكرسيِّ دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صدّيق عابد، ومن قرأها إذا دخل مضجعه أمَّنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله»[٥]. وقال عليه الصلاة والسلام: «ما قرأت هذه الآية في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً ولا

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١١٤.

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٤٢، وابن حجر في المطالب العالية ٣٤٣٤.

(٣) أخرجه مسلم في الذكر حديث ٥٤، والترمذي حديث ٣٤٣٧، وأحمد في المسند ٦/ ٣٧٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٥/ ٢٥٣.

(٤) الحكيم الترمذي: هو محمد بن علي بن الحسين بن بشير المؤذن، المعروف بالحكيم الترمذي، المحدث الزاهد المتوفى سنة ٢٥٥هـ، من تصانيفه: «إثبات العلل للشريعة»، «ختم الأنبياء»، «ختم الأولياء»، «رياضة النفس»، «شرح الصلاة»، «غرر الأمور»، «غرس الموحدين»، «كتاب الاحتياط»، «كتاب الفروق»، «كتاب المناهي في إثبات العلل»، «منهاج العبادة»، «المنهج»، «نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول» وغير ذلك. (كشف الظنون ٦/ ١٥ـ ١٦).

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١/ ٢٥٦٩، والمتقي الهندي في كنز العمال ٢٥٣٤، ٤٠٥٦.

يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة»[١]، وعنه ﷺ أنه قال: «من قرأ آية الكرسي عند منامه بعث الله إليه ملكاً يحرسه حتى يصبح»[٢]، وعنه ﷺ أنه قال: «من قرأ آية الكرسي بعث الله ملكاً يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته إلى الغد من تلك الساعة»[٣]. وعن كعب الأحبار[٤] رضي الله عنه أنه قال: سبع آياتٍ من كتاب الله العزيز إذا قرأتهن لا تبالي ولو انطبقت السموات على الأرض، الأولى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: الآية ٥١]، الثانية: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: الآية ١٠٧]، الثالثة: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: الآية ٦]، الرابعة: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: الآية ٥٦]، الخامسة: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت: الآية ٦٠]، السادسة: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: الآية ٢]، السابعة: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٣٨].

وعن مقاتل رضي الله عنه أنه قال: من كانت له إلى الله حاجة فليدع بهذا الدعاء مائة مرة بعدما يصلي الصبح قبل أن يتكلم مع أحد، فإن قضى الله حاجته وإلا فليعلن مقاتل وهو هذا: بسم الله الرحمان الرحيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يا حي يا حليم يا قديم يا دائم يا فرد يا وتر يا أحد يا صمد، ثم يسأل الله ما شاء. ووجدت في بعض التقاييد من قال بعد صلاة الصبح مائة مرة: (اللهم أستغفرك وأتوب إليك من كل ذنب أذنبته عمداً أو خطأ سراً أو علانية بليلٍ أو نهارٍ فتح الله له سبعين باباً من الرزق وفتح له في قبره سبعين باباً من الجنة وأعطاه يوم القيامة ما أعطى الصدّيقين والشهداء والصالحين). وذكر العارف

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٢٥٥٧.

(٢) أخرجه الذهبي في الطب النبوي ١٣٠.

(٣) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٤٠٥٨، ٤٠٥٩.

(٤) كعب الأحبار: تقدمت ترجمته.

البوني[(١)] قدس سره: أن من قرأ البسملة بعد صلاة الصبح ألفين وخمسمائة مرة وتوجه لحاجتها فإنها تقضى بإذن الله تعالى.

وفي شرح البناني للحزب الكبير للشاذلي قدس سره ما نصه: «**فائدة**»: يقال: من عقد أصابعه بقوله: كهيعص حم عسق، فجعل كل حرف مقابلة أصبع ثم دخل على من يخافه وفتح أصابعه في مجلسه وحيث يقابله سواء رآه أو لم يره كانت له حصناً وقبولاً عظيماً وإن أضاف إليها فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم كان سراً عجيباً.

وفي المصابيح: أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رجل كثير النسيان، فقال النبي ﷺ: «قل في كل يوم ثلاث مرات اللهم اجعل نفسي مطمئنة تؤمن بلقائك وتقنع بعطائك وترضى بقضائك وتصبر لبلائك»، قال: فقلت ذلك فما نسيت بعدها[(٢)]. وفي بعض التقاييد: من أراد قلة النوم فليقرأ (ألم نشرح) ثلاثاً ثم يقول: اللهم ارزقنا صبراً على طاعتك واستقناعاً من النوم باليسير. وقال القاضي مجد الدين الشيرازي[(٣)]: أن رجلاً شكا إلى بعض العلماء قلة النوم، فقال له: إذا أردت أن تنام فاقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦]. وقال الشيخ زروق رضي الله عنه: إذا خطر لك نزوع إلى الذنب فضع يدك على صدرك قائلاً: سبحان الملك الخلاق الفعال إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز، سبعاً ترى بركة ذلك لوقت لا سيما إن أضفت إليه وجود الاستغفار والصلاة على النبي المختار ﷺ.

وقال بعض العارفين: من خاف على نفسه الرياء فليقل هذا الدعاء كل يوم

---

(١) البوني: هو أحمد بن علي بن يوسف البوني، تقي الدين، أبو العباس القرشي، توفي سنة ٦٢٢هـ، من مصنفاته: «أسرار الحروف والكلمات»، «بحر الوقوف في علم الأوقاف والحروف»، «خصائص سر الكريم في فضائل بسم الله الرحمان الرحيم»، «شرح أسماء الله الحسنى»، «شمس المعارف ولطائف العوارف»، «قوت الأرواح ومفتاح الأفراح»، «كتاب الحروف والعدد» وغير ذلك الكثير. (كشف الظنون ٥/ ٩٠ـ ٩١).

(٢) الحديث لم أجده في كتب الحديث التي بين يدي.

(٣) مجد الدين الشيرازي: لعله إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الشيرازي، من أهل شيراز وتوفي بها، له من المصنفات: «العروة الوثقى» في تفسير القرآن وحواشي منها «حاشية إلٰهيات الشفا».

ثلاث مرات فإنه يأمن منه، وهو: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم. وذكر الشيخ سيدي مصطفى البكري رضي الله عنه أنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من ولد له ولد فأذّن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان»[١]. رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن الحسين. وفي فوائد الشيخ شهاب الدين الشرحبي رحمه الله تعالى عن بعض الصالحين أنه قال: إذا ضلّ الإنسان في الطريق فأذن هداه الله إلى الطريق. وقال في موضع آخر: وروي عن بعض العلماء أن من أذّن في أذن المصروع اليمنى وأقام في اليسرى أفاق بإذن الله تعالى. قال: ووجدت بخط بعض العلماء إذا أردت أن تخرج الجان من الإنسان فأذّن في أذنه اليمنى سبع مرات واقرأ الفاتحة والمعوذتين وآية الكرسي والسماء والطارق وآخر سورة الحشر وسورة الصافات كلها فإنه يحرق كأنه في النار. وقال فيه أيضاً: ومن الفوائد المكتومة التي لا يعرفها إلا القليل من الناس وجدتها بخط بعض العلماء الكبار: أن تكتب الأذان والإقامة على ظهر المحموم فإنه يبرأ سريعاً بإذن الله تعالى، وفيه أن من أذّن في قفا المسافر فلا بد أن يرجع بإذن الله تعالى. وفيه وعن علي رضي الله عنه أنه قال: رآني النبي ﷺ مهموماً فقال لي: «مر بعض أهلك أن يُؤذّن في أذنك فإنه دواءٌ للهم»، قال: ففعلت فزال ذلك عني[٢].

وعنه رضي الله عنه مرفوعاً: «إذا رأيت الهلال أول الشهر فقل: الله أكبر ثلاثاً الحمد لله الذي خلقني وخلقك وقدّر لك منازل وجعلك آية للعالمين يباهي الله بك الملائكة ويقول يا ملائكتي اشهدوا إني قد أعتقت هذا العبد من النار»[٣]، كذا في نزهة المجالس للصفوري. وروى أبو داود وابن حبان عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: «من قال حين يمسي باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاءٍ حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي»[٤]، وفي رواية الترمذي: «لم يضره شيء». وعنه ﷺ أنه قال: «إذا أصاب أحدكم هم

---

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ٨٦، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٥٥، والألباني في السلسلة الضعيفة ٣٢١، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٦٥٦.
(٢) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٣٤٨٩.
(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.
(٤) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٣٤١٢.

أو حزن فليقل سبع مرات: الله ربي لا أشرك به شيئاً»[١] رواه النسائي. وذكر ابن الخطيب في المستطرف: قال ﷺ: «من قال عند مطعمه ومشربه باسم الله خير الأسماء لم يضره ما أكل وما شرب»[٢]. وفي الحصن الحصين أن من خاف سلطاناً أو ظالماً فليقل: الله أكبر الله أعز من خلقه جميعاً الله أعز مما أخاف وأحذر أعوذ بالله الذي لا إلٰه إلا هو ممسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر عبدك فلان وجنونه وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس اللهم كن لي جاراً من شرهم جل ثناؤك وعز جارك ولا إلٰه غيرك ثلاث مرات، رواه الطبراني. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «يلتقي الخضر وإلياس في كل عام في الموسم فيحلق كل منهما رأس صاحبه ويتفرقان على هاته الكلمات: باسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله، باسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[٣]. قال ابن عباس: من قالهن حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات آمنه الله من الحرق والغرق والسرق. قال الراوي: وأحسبه قال: ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب.

وروى الطبراني في معجمه الأوسط من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «من ساء خلقه من الرقيق والدابة والصبيان فاقرؤوا في أذنه: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٨٣][٤] الآية. وفي فوائد الشرحبي رحمه الله تعالى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا﴾ [الإسرَاء: الآية ٤٥] الآية، وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ [التوبَة: الآية ١٢٩] الآية، وقوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٣٧] هذه الآيات إذا تلاها الإنسان على الذي تخيل له الخيالات الفاسدة زال عنه ذلك بإذن الله تعالى. وفي صحيح أبي داود عن أبي الدرداء يرفعه: «من قال إذا أصبح وإذا أمسى حسبي الله لا إلٰه إلا هو عليه توكلت

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٣٤١٠، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ١٠٦.

(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ٦٩، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/ ٣٣٢، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٢/ ٧٤٠، وابن كثير في البداية والنهاية ١/ ٣٣٣، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٤٠٥٢، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٤٠.

(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٥، والسيوطي في الدر المنثور ٢/ ٤٨، والمتقي الهندي في كنز العمال ٤١٦٦٦.

وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما أهمّه صادقاً كان أو كاذباً»[١].
وقال الشيخ زروق رحمه الله تعالى في شرحه على حزب البحر: وقد جاء في الحديث من قال: «فإن تولوا فقل حسبي الله» الآية، بعد صلاة الصبح سبع مرات كفاه الله يومه ذلك وإن لم يكن صادقاً في توكله، وإن قالها مساء فكذلك حتى يصبح. ونقل عن الغزالي رضي الله عنه الحديث السابق بزيادة كفاه الله ما أهمه من أمر دنياه وآخرته، ثم قال: فقف على هذه واغتبط فإن كثيراً من الأذكار تكون موقوفة على الصدق والحضور وقد عمت الرحمة في هذا الذكر لسائر الذاكرين وحصلت الكفاية من الهموم الدنيوية والأخروية لمن وفقه الله تعالى للنطق به، وإن لم يكن له قدم في التوكل فهذه نعمة لا يقدر قدرها ولا يقام بواجب شكرها، فله تعالى الحمد ظاهراً وباطناً أولاً وآخراً.

وفي فوائد الشرحبي رحمه الله تعالى: هذا حرز مبارك أي فَاتْلُهُ تحفظ به ويرفع نوره أستارك وهو: باسم الله الخالق الأكبر حرزٌ مما أخاف وأحذر لا قدرة لمخلوقٍ مع قدرة الله تعالى كهيعص حم عسق وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً وحسبنا الله ونعم الوكيل. وفي طبقات الشيخ الشعراني عند ترجمة السيد محمد الحنفي قدس الله سرهما وكان رضي الله عنه يلقن الخائف من الظالم ويقول له إذا دخلت على ظالم فقل: باسم الله الخالق الأكبر حرزٌ لكل خائف لا طاقة لمخلوقٍ مع قدرة الله عز وجل فيرجع إليه والخلعة عليه. وفي فوائد الشيخ السنوسي رحمه الله تعالى: أن من كتب آية ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٤] وآية: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفَتْح: الآية ٢٩] إلى آخر السورة وعلقهما عليه كان ملطوفاً به في جميع أحواله ونصره الله على أعدائه وفرّج عنه كل هم وغم، وهما ينفعان للأمراض الظاهرة والباطنة دهناً وشرباً يكتبان في إناء نظيف ويمحى بدهن وردٍ وزيتٍ ويطلى به على كل ألم كالثآليل والجراحات والنفخ فيزول ذلك عن قريب وهو مجرب صحيح.

وقال العارف البوني رحمه الله تعالى في خواص حرف الميم: وإذا كتبت أربعين مرة وكتب معه ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفَتْح: الآية ٢٩] إلى آخر السورة العدد المذكور وحمله إنسان فتح الله عليه الأمور الخفية إلى الكشف عن عوالم الملك والملكوت. وقال الشيخ السنوسي رحمه الله تعالى في فوائده: ومن الذخائر

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ١/٤٥١، وأبو داود حديث ٥٠٧٢.

النفيسة أن من كتب اسمه تعالى ودود في خرقة حرير أبيض وكتب معه مدوراً به محمد رسول الله خمساً وثلاثين مرة، وأحمد رسول الله كذلك بعد صلاة الجمعة رزقه الله تعالى القوة على الطاعة والبر وكفاه همزات الشياطين، وحامله يرزقه الله تعالى هيبة في قلوب العباد واستدام النظر إليه كل يوم عند طلوع الشمس وهو يصلي على النبي ﷺ كثرت رؤيته للنبي ﷺ وتيسرت عليه أسباب يومه، وقال أيضاً: ومن الفوائد إن من أراد أن تلد امرأته الذكور فليضع يده اليمنى على صدرها وهي نائمة ويمسح على سرّتها في أول حملها ولو في مبتدأ الثالث في الشهور، وليقل ثلاثاً: اللهم إن كنت خلقت خلقاً في بطن هذه المرأة فكونه ذكراً وأسميه أحمد بحق محمد ﷺ رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين.

وقال الشيخ مصطفى البكري رحمه الله تعالى عن بعض الصالحين: من أراد أن يرى النبي ﷺ في المنام، فليصل ركعتين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب مرة والإخلاص مائة مرة فإذا فرغ قال ثلاث مرات: يا محسن يا مجمل يا منعم يا متفضل أرني وجه محمد ﷺ، فإنه يراه إن شاء الله تعالى. وقال آخر: من أراد رؤيته ﷺ في المنام فليصل ركعتين يقرأ فيهما ما شاء وليقل مائة مرة: يا نور النور يا مدبّر الأمور بلّغ عني روح محمد عليه الصلاة والسلام تحية وسلاماً. ومن الترغيب والترهيب عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مؤمن يصلي ليلة الجمعة ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص خمس عشرة مرة ثم يُسم ويقول ألف مرة: صلى الله على محمد النبي، فإنه يراني في المنام ومن رآني غفرَ له الذنوب»[1]. وقال بعض العارفين: إذا أراد الإنسان أن يرى النبي ﷺ أو أحداً من الموتى الأولياء أو غيرهم فيخبرونك بالمخرج مما أنت فيه، فتوضأ والبس ثياباً طاهرة ونم مستقبل القبلة على يمينك واقرأ والشمس وضحاها سبع مرات وقل هو الله أحد سبع مرات ثم قل: اللهم أرني في منامي ما أستدل به على إجابة دعوتي، فإنك ترى في تلك الليلة أو الثانية أو الثالثة إلى السابعة ما طلبت فإن لم تر شيئاً فذلك لشيء من أمرك وهذه من الأسرار المخزونة المنقولة عن الثقات. ووجدت بخط من يوثق به أن من قرأ سورة القدر مائة مرة عند الزوال أراه الله النبي ﷺ. وقال الشيخ مصطفى البكري رضي الله عنه: قال

---

(١) أخرجه ابن عراق في تنزيه الشريعة ٢/ ٩٧، وابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ١٣٧، والسيوطي في اللآلىء المصنوعة ٢/ ٣٤.

بعض الصالحين: أصابني وجع شديد فرأيت النبي ﷺ في المنام قد وضع يده على رأسي وقال: بسم الله، ربي الله، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، ثم قال: استكثر من هذه الكلمات فإن فيها شفاء من كل سقم وفرجاً من كل كرب ونصراً على الأعداء. وفي الأربعين الإدريسية: يا قاهر يا ذا البطش الشديد أنت الذي لا يطاق انتقامه، قال بعض العارفين: يكتب على جام صيني لحل المعقود وعلى ثوب المحارب في وقته لقهر الأعداء وغلبة الخصوم. وفي الأربعين الإدريسية أيضاً: سبحانك يا رب كل شيء ووارثه ورازقه.

قال السهروردي[١]: المداوم عليه تقضى حاجته من الملوك وولاة الأمر فإذا أراد ذلك وقف قبالة المطلوب وقرأه سبعين مرة، ومن تلاه عشرين مرة على الريق رزق ذهناً يفهم به الغوامض، وإن قرأه المسجون بعد صلاة الجمعة مائة مرة سرح، والمريض يبرأ وكذلك المضيق عليه يفرج عنه.

وفي شفاء ابن سبع عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إذا كانت لك حاجة إلى البخيل الشحيح أو السلطان الجائر أو إلى غريم فقل: اللهم أنت العزيز الكبير وأنا عبدك الضعيف الذليل ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم سخر لي فلان كما سخرت البحر لموسى بن عمران وألن لي قلبه كما ألنت الحديد لداود عليه السلام فإنه لا ينطق إلا بإذنك ناصيته في قبضتك وقلبه بيدك تُقلّبُه كيف تشاء»، ثم قال لعمر رضي الله عنه: «يا عمر أنا ضامن لمن قالها موقناً أنه لا يخيب من قضاء حاجته إن شاء الله تعالى»[٢]. وقال محيي الدين النووي في أذكاره: روينا في كتاب ابن السني عن طلق بن حبيب قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء[٣] رضي الله عنه قال: يا أبا الدرداء قد احترق بيتك، فقال: ما احترق لم يكن الله ليفعل ذلك

---

(١) السهروردي: هو عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه (بفتح العين وضم الميم وتشديدها) ابن سعد الصديقي البكري، ضياء الدين أبو النجيب السهروردي، الفقيه الصوفي، كان يدرس ويملي الحديث بالمدرسة النظامية ببغداد، ولد سنة ٤٩٠هـ، وتوفي سنة ٥٦٣هـ ببغداد، صنف «آداب المريدين» في التصوف والأخلاق. (كشف الظنون ٥/ ٦٠٦ـ ٦٠٧).

(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٣) أبو الدرداء: هو عويمر بن مالك، وقيل: عويمر بن زيد، من بلحارث بن الخزرج، صحابي توفي سنة ٣٢هـ. (انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٢٧٤، الإصابة ترجمة رقم ٦١١٩، المعارف لابن قتيبة ص ٢٦٨، الكواكب الدريّة ١/ ٨٠).

بكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم، اعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. وفي بعض الروايات أنه تكرر مجيء رجل إليه يقول له: أدرك دارك فقد احترقت، وهو يقول: ما احترقت لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قال حين يصبح هذه الكلمات لم يصبه في نفسه ولا أهله ولا ماله شيء يكرهه وقد قلتها اليوم، ثم قال: انهضوا بنا، فقام وقاموا معه فانتهوا إلى داره وقد احترق ما حولها ولم يصبها شيء بإذن الله تعالى.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل»[١]. وروى أبو نعيم[٢] عن شداد بن أوس[٣] قال: قال النبي ﷺ: «حسبنا الله ونعم الوكيل أمان لكل خائف»[٤]. وروى ابن أبي الدنيا[٥] عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا اشتد غمه مسح بيده على رأسه ولحيته ثم

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٣٤١٧.

(٢) أبو نعيم الأصبهاني: تقدمت ترجمته.

(٣) هو شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري، أبو يعلى، صحابي من الأمراء، ولاّه عمر بن الخطاب إمارة حمص، ولما قتل عثمان بن عفان اعتزل وعكف على العبادة، كان فصيحاً حليماً حكيماً، توفي في القدس عن ٧٥ سنة، وله في كتب الحديث ٥٠ حديثاً. (الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٢٨١).

(٤) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٣٤٤٥.

(٥) ابن أبي الدنيا: هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن أبي الدنيا القرشي الإمام أبو بكر البغدادي الزاهد الشافعي، كان يؤدب أولاد الخلفاء، ولد سنة ٢٠٨هـ، وتوفي سنة ٢٨١هـ، من تصانيفه: «أخبار القبور»، «أخبار قريش»، «إصلاح المال»، «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، «حسن الظن بالله»، «ذمّ الحسد»، «ذم الدنيا»، «ذم الغضب»، «ذم الغيبة»، «ذم الفحش»، «ذم المسكر»، «ذم الملاهي»، «الفرج بن الشدة»، «قضاء الحوائج»، «كتاب الإخلاص»، «كتاب الإخوان»، «كتاب الأصوات»، «كتاب الأهوال»، «كتاب البعث والنشور»، «كتاب التقوى»، «كتاب التوابع»، «كتاب التواضع والخمول»، «كتاب الشجرة الطوبى»، «كتاب الطواعين»، «كتاب فقه النبي ﷺ»، «كتاب الموت»، «كتاب النوادر»، «مكارم الأخلاق»، «مناقب بني العباس» وغير ذلك الكثير. (كشف الظنون ٥/ ٤٤١ـ ٤٤٢).

تنفس الصعداء وقال: حسبي الله ونعم الوكيل. وقال الشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي رضي الله عنه في كتاب الإرشاد حفيظة للمسافر قال: تخط خطاً دائراً على حوائجك وجميع ما معك ثم تقرأ قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف: الآية ١٠٥] وتجعل من نون معرضون دائرة محيطة بجميع ما معك فإن الله تعالى يعمي عنك أبصار الظالمين بقدرته. وعن أبي داود أن النبي ﷺ قال: «من قال إذا ركب دابة باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء سبحانه ليس له سمي سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنّا إلى ربنا لمنقلبون الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعليه السلام قالت الدابة بارك الله في سفرك وأنجح حاجتك»[١]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا ركب العبد الدابة ولم يذكر اسم الله ردفه الشيطان فقال: تَغَنَّ، فإن كان لا يحسن الغناء قال: تمنّ، ولا يزال في أمنيته حتى ينزل»[٢]. وروى ابن السني عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا انفلتت دابة أحدكم فليناد يا عباد الله احبسوا فإن لله عز وجل في الأرض حاصراً ـ وفي رواية: حابساً ـ يحبسه»[٣]. قال محيي الدين النووي رحمه الله: حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنه انفلتت له دابة أظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث فقاله فحبسها الله تعالى عليهم في الحال. قال: وكنت أنا مرة مع جماعة فانفلتت منهم بهيمة وعجزوا عنها، فقلته فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام. وفي كتاب البدائع لابن القيم: أن عشرة أشياء إذا فعلها الإنسان حفظ من الشيطان، أولها الاستعاذة، والثاني المعوذتان، والثالث آية الكرسي، والرابع أوائل سورة البقرة، والخامس خاتمتها وهي من آمن الرسول إلى آخر السورة، والسادس لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فمن قالها مائة مرة كانت له حرزاً من الشياطين، والسابع ذكر الله، والثامن الوضوء، والتاسع الصلاة، والعاشر ترك الفضول من الكلام والطعام وترك النظر ومخالطة الناس فإن الشيطان يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة فنسأل الله العظيم أن يحفظنا من كيد الشيطان الرجيم.

---

(١) أخرجه بنحوه المتقي الهندي في كنز العمال ٢٤٩٩٣، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان ١/ ١٦٢.

(٢) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٢٤٩٩٥.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٢٦٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٣٢، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٧٤٩٦.

وفي فوائد الشرحبي رحمه الله: ومن قال عند الدخول على من يخاف شره: ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي﴾ [الإسراء: الآية ٨٠] الآية، لم يضره شيء بإذن الله. وفيها أيضاً: ومما يقال عند الدخول على الملوك: ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ [المائدة: الآية ٢٣] إلى ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾، ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ [يوسف: الآية ٣١] إلى ﴿كَرِيمٌ﴾، ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ﴾ [القصص: الآية ٣١]، ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: الآية ٢٥]، ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: الآية ٧٧]، ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: الآية ٤٦]، ﴿لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: الآية ١٠]. وفيها أيضاً أن من كتب قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ [المائدة: الآية ٢٣] إلى ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ في رقّ غزال بزعفران وكتب معها اسم من يريد واسم أمه وبخّره بعود وند، فإذا أراد الدخول على الملوك والولاة والظلمة حمله معه خرست عنه ألسنتهم وقصرت عن نظره عيونهم ولا يستطيعون الكلام في حقه إلا بخير. ومن قرأ: إنّا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات، وآية الكرسي ثلاثة مرات وآخر التوبة ومضى في حاجة عند السلطان أو غيره رجع محفوظاً مسروراً بقضاء حاجته، ومن داوم على قراءة سورة القدر عند المصائب والكروب فإن الله يحفظه ويمحي الفقر من بين عينيه، ومن قرأها بعد الوتر سبع مرات استغفرت له الملائكة إلى طلوع الفجر، وخرج من قبره وهو يتلألأ نوراً ويعطيه الله كتابه بيمينه وهو يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ حتى يدخل الجنة. ومن واظب على قراءتها بعد صلاة الجمعة خمساً وعشرين مرة كتب الله له بها ثواب ألف حجة وثواب ألف غزوة ويكتب له ثواب من صلى الجمعة ويخرج من قبره وهو يقرؤها حتى يدخل الجنة آمناً مطمئناً من أهوال يوم القيامة. ومن ضلّت له ضالة فليتوضأ ويصلي ركعتين الأولى بالضحى بعد الفاتحة والثانية بسورة القدر بعد الفاتحة ثلاثة مرات، فإذا فرغ من صلاته قرأ الضحى والقدر وآية الكرسي والذي خلقني فهو يهديني إلى: بقلب سليم فإن الله يحفظه ويحفظ الضالة من الآفات ويردها عليه، ومن قرأها بعد الفجر عشر مرات نظر الله إليه سبعين نظرة ورحمه سبعين رحمة وقضى له سبعين حاجة أولها المغفرة لذنوبه ولوالديه ولجيرانه، ومن قرأها عند نزول المصائب إحدى وعشرين مرة حفظه الله وعصمه من جميع العصيان حتى يكون من أعبد الناس، ومن قرأها يوم الجمعة ألف مرة نوَّر الله قلبه وكتبه من الصابرين الصادقين الموفقين ومن كتبها خمساً وعشرين مرة في إناء وشربها لم ير في جسده شيئاً يكرهه وعافاه الله من جميع العلل والأسقام ومن

حافظ على قراءتها كل ليلة سبع مرات وليلة الجمعة خمساً وعشرين مرة لم يمت حتى ينزل رضوان عليه ويسقيه شربة من الجنة فيموت وهو ريان لا يلحقه عطش بعدها أبداً، فإذا كان يوم القيامة بعث الله إليه ألف ملك يحفظونه من أهوال يوم القيامة ويكون في ظل العرش على كرسي من نور ومن لازم قراءتها حفظ الله لسانه من الكذب وعينه من الخيانة وبطنه وفرجه من الحرام، وكتبه من الصابرين الصادقين القانتين وجعله ينطق بالحكمة ويحفظه في أهله وماله وولده وجيرانه وتصافحه الملائكة حتى يخرج من القبر وتبشّره برضوان الله وجنته وينجيه الله من أهوال يوم القيامة ويكون من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. كذا بخط من يوثق به.

وفي كتاب النورين في إصلاح الدارين: ومن أخذ من تراب القبر بيده وقرأ عليه سورة القدر سبعاً ووضعه في القبر لم يعذّب صاحبه. ونقل عن الشيخ سيدي محمد بن ناصر رضي الله عنه أنه قال: ينبغي لكل عاقل أن يفدي نفسه من النار بفدية لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله سبعون ألفاً بشرط الجمع بين اللفظين فإن تركه ولو مرة لم يحصل الفداء، وينبغي أن يقول: صلى الله عليه وسلم مرتين أو أكثر ليخرج من حديث من ذكرت عنده فلم يصل عليّ، ولا يشترط إيصال ذلك العدد بل في يومين أو أشهر أو أقل وفدية قل هو الله أحد مائة ألف مع البسملة، وفدية البسملة ثمانمائة، وفدية سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ألف مرة بعد صلاة عصر الجمعة، وفدية الصلاة على النبي ﷺ ألف مرة. ومما وجد بخط من يوثق به: إذا قرأ المسجون أو المأسور ما شاء الله كان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل ألف مرة في مجلس واحد خلصه الله تعالى معجلاً، وقد جرّب ذلك فصح والحمد لله. وذكر القشيري في رسالته عن عقبة بن عامر: أنه كان ضرير البصر فدعا بقوله: يا قريب يا مجيب يا سميع الدعاء يا لطيف لما يشاء، فردّ الله عليه بصره.

وعن بعضهم قال: كنت كثير الاحتلام فشكوت لبعض الصالحين، فقال لي: إذا آويت إلى فراشك فاقرأ والسماء والطارق إلى قوله: فما له من قوةٍ ولا ناصر، فإنه يذهب عنك، قال: ففعلت ذلك فانقطع عني والحمد لله. ووجدت بخط من يوثق به من كتب سورة القارعة في طاسة ومحاها ورش البيت بمائها فإن جميع الهوام التي في ذلك البيت تنتقل وترتحل بإذن الله تعالى، ومن كتب سورة القدر

ومحاها وشرب ماءها سلم من ألم الجوف.

وقال صاحب النفحات القدسية: وهذه فائدة جليلة تكتب في إناء وتمحى بالماء ويغسل بها العينين، فإنه يأمن من العمى وإن شرب الماء لم تقع من شاربه معصية وهي أسماء ثمانية من أصحاب رسول الله ﷺ وهم: معاذ بن جبل، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وتميم الداري، وزيد بن ثابت، وأُبي بن كعب، وعبد الرحمان بن عوف، والزبير بن العوام، رضي الله عنهم أجمعين.

ومما وجد بخط العارف بالله تعالى محيي السنة المحمدية والطريقة الصوفية سيدي محمد بن ناصر الدرعي أعاد الله علينا من بركاته آمين ما نصه: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمان بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعيد بن ربيعة، وسعد بن أبي وقاص، وعبيدة ابن عبد الصمد، وخالد بن الوليد المخزومي، والمقداد بن عمر الكندي، وعمران بن أمية الضمري، وعمر بن أويس القرشي، وأبو دجانة الأنصاري، وحمزة بن عبد المطلب، والعباس بن مرداس، وعبد الله الأنصاري، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن سلام، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وأبو الدرداء، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، ومحمد بن عمر بن ربيعة الأنصاري بن سعيد، وسعيد بن مقاتل، ومعاذ بن جبل، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو طلحة الأنصاري، وعمرو بن العاص، وسلمة بن الأكوع، وأبو موسى الأشعري، وأبو سعيد الخدري، وحسان بن ثابت، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وبلال بن حمامة، أربعة وأربعون هؤلاء جيش رسول الله ﷺ من كتبهم وجعلهم في خزينة لم يكشف ومن قرأهم على مريض برىء بإذن الله تعالى ومن جعلهم في حرز وعلقهم في عنق الميت أو بين أكفانه لم ير وحشة القبر بإذن الله تعالى.

وفي النفحات القدسية: أن من كتب أسماء الفقهاء المدنيين وجعلهم في حب لم يسوس ومن علقها من به صداع زال عنه بإذن الله تعالى وهي منظومة في هذين البيتين:

الأكل من لا يقتدي بأئمة فقسمته ضيزى عن الحق خارجَهْ
فخذهم عبيد اللّه عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجَهْ

وفي الفتح المبين الزهاد الثمانية من ذكرهم وهو في مرض عوفي بإذن الله

وإن مات حشر معهم ومن كتبهم، وعلقهم في عنق الميت لم يسأل في قبره، وهم الحسن البصري، وهرم بن حبان، والربيع بن خيثم، والأسود بن يزيد، وعامر بن عبد الله بن قيس، وأبو مسلم الخولاني ومسروق بن الأجدع، وأويس القرني وفي النفحات القدسية من ذكرهم غفرت ذنوبه، ومن ذكرهم عند نومه حشر معهم يوم القيامة، ومن ذكرهم على وجع به أو بغيره برىء بإذن الله تعالى. وقال ابن الحاج[1] في مدخله: نقل عن الشيخ أبي القاسم القشيري رحمه الله تعالى أن ولده مرض مرضاً شديداً حتى أيس منه واشتد عليه الأمر قال: فرأيت النبي ﷺ في المنام فشكوت له ما بولدي، فقال لي: أين أنت من آيات الشفاء، فانتبهت ففكرت فيها فإذا هي في ست مواضع من كتاب الله عز وجل وهي قوله تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: الآية ١٤]، ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: الآية ٥٧]، ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: الآية ٦٩]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: الآية ٨٢]، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: الآية ٨٠]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: الآية ٤٤]، قال: فكتبتها في صفحة وحللتها بالماء وسقيته، فكأنما نشط من عقال أو كما قال: وقد جمعها بعضهم تقريباً للحفظ فقال:

ويشف شفاء يخرج وننزل ... ومهمى تزد إذا وقل كلمت ست

ومن شرح الجامع الصغير للعزيزي في حرف العين ما نصه، ومما جرب نفعه للاستشفاء أنه يكتب آيات الشفاء الست ثم يكتب بسم الله الرحمان الرحيم قل هو الله أحد، أي والله، أي والله، أي والله، الله الصمد، أي والله، أي والله، أي والله، لم يلد ولم يولد، لا والله، لا والله، لا والله، ولم يكن له كفؤاً أحد، لا والله، لا والله، لا والله، رب الناس أذهب البأس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً. ومن رحلة الشيخ سيدي أحمد بن ناصر الدرعي ما نصه: وممن اجتمعت

---

(١) ابن الحاج: هو إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن موسى النميري القاضي، أبو إسحاق الغرناطي، يعرف بابن الحاج المالكي، ولد سنة ٧١٣هـ، وتوفي سنة ٧٦٩هـ، له من المصنفات: «إيقاظ الكرام بأخبار المنام»، «جزء في بيان الاسم الأعظم»، «روضة العباد المستخرجة من الإرشاد»، «الزاهرات وإحالة النظرات»، «فيض العباب وإجالة أقداح الآداب في الحركة إلى قسنطينة والزاب»، «نزهة الحدق في ذكر الفرق» وغير ذلك (كشف الظنون ٥/ ١٦ ـ ١٧).

به في الديار المصرية وسررت بالاجتماع به الأستاذ المقري الشيخ محمد البقري وإليه انتهت اليوم بالديار المصرية رئاسة علم القراءات إلى أن قال: ومما استفدناه منه أيضاً تكتب الفاتحة أحرفاً مقطعة والصلاة على النبي ﷺ وهذه الأحرف (ف ج ش ث ظ خ ز) بماء ورد وسكر وتشربها فإنها تزيل جميع ما في الإنسان من الأوجاع بقدرة الله تعالى. وعن العلامة المقري قال: نقلت من خط الإمام سيدي محمد بن يوسف السنوسي أنه وجد بخط الإمام سيدي عبد الله العبدوسي هذه الحروف تكتب في كف العليل ويلعقها على الريق (هـ ع ا ل ك ا ح ا ح ر ح) هذه الحروف الإحدى عشرة تكتب معها البسملة والفاتحة لجميع الأمراض وتكتب في ثلاث بروات وفي الكف للمسقوم وفي الجبهة للصداع والحمى وغير ذلك، وأنشدوا في ذلك:

إن شئت برء من الألام والسقم فثق بقول ذوي الأحكام والحكم
والعق على الريق ما بالكف تكتبه وهي حروف أنت أولى لذي الكلم
هم عالجوا ألمي لمّا كبا أملي حتى استقلت حياتي رب حيهم

ومما نسب للشيخ سيدي أحمد بن ناصر رضي الله عنه أنه يكتب للحفظ سبع آيات من القرآن العظيم، وهي: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: الآية ٣١]، ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: الآية ٦٥]، ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: الآية ٦٦]، ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ [طه: الآيات ٢٥-٢٨]، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: الآية ١١٤]، ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ [الأعلى: الآية ٦]، ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: الآية ٥] تكتب للطفل قبل الرضاع في إناء طاهر وتمحى بماء زمزم أو غيره، وتسقى له وللكبير أيضاً لكن في سبع رغائف من القمح كل رغيفة بآية، ويفطر بها سبعة أيام متواليات كل يوم برغيفةٍ. ووجدت في بعض التقاييد فائدة للفهم تكتب في سبع تمراتٍ وتفطر كل يوم بواحدة، تكتب في الأولى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾﴾ [طه: الآية ٢٥]، وفي الثانية: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: الآية ١١٤]، وفي الثالثة: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الأعلى: الآيتان ٦،٧]، وفي الرابعة: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ [الرحمٰن: الآيتان ١،٢]، وفي الخامسة: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: الآية ٥]، وفي السادسة: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: الآية ٦٥]، وفي

السابعة: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: الآية ٦٦] ، ووجدت بخط من يوثق به تكتب في الكف ميكائيل عزرائيل جبرائيل إسرافيل فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين كهيعص حم عسق ن والقلم ويلعق على الريق مجرب للحفظ والفهم. وقال جماعة من العلماء رضي الله عنهم من تعسر عليه الحفظ فليكتب: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [الشّرح: الآية ١] إلى آخر السورة ويمحوها ويشربها، فإنه يتيسر له الحفظ إن شاء الله تعالى، ورأيت بخط من يثق به نظماً في المعنى وهو هذا:

فائدة للحفظ إن كنت تريد ... من العلوم والقراءة تزيد
مرويةً عن خير خلق اللّه ... محمد نبينا الأواه
صلى عليه اللّه ما هب الفرج ... فانزاح من هبوبه مزن الحرج
قال رسول اللّه جاءني الأمين ... بتحفة من عند رب العالمين
فيا ابن عباس ألا أهديكها ... قال نعم قال فمني هاكها
تكتب يس بماء الورد ... وزعفران جيد بالجد
وسورة الملك بغير نكر ... وواقعة تضيفها للحشر
وسورة الإخلاص مع أم الكتاب ... والناس والفلق عوفيت العتاب
وست آيات من أول الحديد ... ومعها الدخان حقاً فتزيد
ولتمح ما كتبته بماء المطر ... أو ماء زمزم إذا كان حضر
وإن تعذّر وجود ما أصف ... من المياه فخذ الماء النظِف
لا سيما إن كان من عين جرت ... فخذه من حيث المكان انفجرت
وتلق فيه جزء لو بان ذكر ... وزن ثلاثة مثاقيل ذكر
ووزن عشرةٍ من المثاقل ... من عسلٍ صافٍ يروق العاقلِ
بغير نارٍ قد تكون قطعت ... واحفظها إن قطعتها ووضعت
ومثل هذا الوزن سكر عجيب ... ولتعتن بشأنه يا ذا اللبيب
تشربه بعد السحور دون مين ... وبعد شربه تصلي ركعتين
في الركعة الأولى بأم القرآن ... تقريرها عشرةً بلا توان
وسورة الإخلاص خمسين تزيد ... في كل ركعةٍ فمن ذا يستفيد
وبعد فعلك تمامِ الركعتين ... تصبح صائماً غداً من دون مين

فإن تكن أميّاً ارتقيت بالحفظ قد تعبت من لقيت
وكل ما يطرق عمعك تعيه بعد بلادتك قد صرت نبيه
فلتحمد اللّه على الفطانة ولتطلبن مولاك في الديانه
فإنه يجيب من دعاه إذ ليس للعبد سوى مولاه
ذكرتها محذوفة الرواية إذ لا يؤول نظمها للغايه
عدتها إذا أردت عدها كو تجده حين تتلو سردها

* * *

وذكر الشيخ سيدي أحمد الأسقاطي[1]: أن من كانت له إلى الله حاجة، أو كان في كرب أو شدة فليُصَلِّ على النبي ﷺ ما تيسر ويكرر هذين البيتين مراراً، فإن حاجته تقضى كائنة ما كانت ببركة رسول الله ﷺ، وهما:

يا رسول الإلٰه أنت المرجى والوجيه المشفع المقبول
قد أتيناك في حوائجٍ فاسأل ربك اليسر فهو نعم الوكيل

وكذلك هذان البيتان:

إليك رسول اللّه أشكو نوائباً مدى الدهر لا يقوى لها متحمل
وإني لأرجو أنها بك تنجلي لأنك لي جاه وحصنٍ ومعقل

وكذلك أيضاً هذان البيتان:

نبيَّ الهدى ضاقت بي الحال في الور ى وأنت بما أمَّلْت فيك جدير
فسل خالقي تفريج كربي فإنه على فَرَجِي دون الأنام قدير

وكذلك أيضاً هذان البيتان يُذكران ثلاث مرات:

كم حاصرتني شدةً بجيشها وضاق صدري في لقاها وانزعج
حتى إذا أيست من زوالها جاءتني الألطاف تسعَ بالفرج

وكذلك أيضاً هذان البيتان:

بتدبير مولاك كن راضياً ولا تنزعج أبداً من حرج

(١) أحمد الأسقاطي: هو أحمد بن عمر الأسقاطي، أبو السعود المصري الحنفي، توفي سنة ١١٥٩هـ، صنف: «الأسئلة في علم القراءات»، «تنوير الحالك على منهج السالك إلى ألفية ابن مالك» في النحو، «منهج السالكين» في الفروع، وغير ذلك (كشف الظنون ٥/ ١٧٤).

جـرت عـادة الـلَّـه فـي خـلـقـه إذا ضـاق أمـرٌ أتـى بـالـفـرج

وكذلك بيتا الإمام علي كرّم الله وجهه:

رضـيـت بـمـا قـسـم الـلَّـه لـي وفـوّضـت أمـري إلـى خـالـقـي

كـمـا أحـسـن الـلَّـه فـيـمـا مـضـى كـذلـك يُـحـسـن فـيـمـا بـقـي

* * *

وقال الشيخ العارف أبو عبد الله محمد السكاك تلميذ ابن عباد شارح الحكم ما نصه: ومما جرب أيضاً لدفع الشدائد والأزمات قراءة قصيدة البردة وذلك أن ناظمها كان له قصد صالح ودعا له قطب زمانه بالتأييد، ففتح الله عليه في أبيات منها فمن الحزم تعاهدها بالقراءة، وقد كانت الشدائد تنزل بأهل القطر فأتوضأ وأقرؤها فما أُتم آخرها إلا والأمان قد نزل ببركة حبيب الله ﷺ وربما قرأتها في الساعة الواحدة مراراً فأجد لذلك بركة ومن عجز عن قراءتها كلها فليقرأ أبياتاً منها وهي:

مـحـمـد سـيـد الـكـونـيـن والـثـقـلـيـن والـفـريـقـيـن مـن عُـربٍ ومـن عـجـمِ

هـو الـحـبـيـب الـذي تـرجـى شـفـاعـتـه لـكـل هـول مـن الأهـوال مـقـتـحـمِ

دع مـا ادعـتـه الـنـصـارى فـي نـبـيّـهـمِ واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكمِ

فـإن فـضـل رسـول الـلَّـه لـيـس لـه حـدٌّ فـيـعـرب عـنـه نـاطـقٌ بـفـمِ

فـمـبـلـغ الـعـلـم فـيـه أنـه بـشـرٌ وأنـه خـيـر خـلـق الـلَّـه كـلـهـمِ

وقـايـة الـلَّـه أغـنـت عـن مـضـاعـفـةٍ مـن الـدروع وعـن عـال مـن الأطـمِ

ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به إلا ونـلـت جـواراً مـنـه لـم يـضـمِ

يـا خـيـر مـن يـمـم الـعـافـون سـاحـتـه سـعـيـاً وفـوق مـتـون الأيـنـق الـرسـمِ

ومـن تـكـن بـرسـول الـلَّـه نـصـرتـه إن تـلـقـه الأسـد فـي آجـامـهـا تـجـمِ

حـاشـاه أن يـحـرم الـراجـي مـكـارمـه أو يـرجـع الـجـار مـنـه غـيـر مـحـتـرمِ

يـا أكـرم الـخـلـق مـا لـي مـن ألـوذ بـه سـواك عـنـد حـلـول الـحـادث الـعـمـمِ

ومما قيل في فضل البردة أنها ما كانت في دار فحرقت، ولا في سفينة فغرقت، ولا في قافلة فنهبت، وهذه القصيدة بركاتها كثيرةً، وهي بذلك شهيرة فلتقرأ في طلب الحاجات، ونزول المهمات فهي كبيرة البركات عظيمة الخيرات، وقد رأى بعضهم النبي ﷺ في المنام وهذه القصيدة المباركة تُنشد بين يديه، وقد

تواجد عند ستة أبيات الأول فكيف تنكر حباً. . . الخ الثاني فاق النبيين الخ الثالث وكلهم من رسول الله الخ، أكرم بخلق نبي الخ الخامس كالزهر في ترفٍ الخ، السادس فحزت كل فخارٍ. . . الخ، من بعض شروحها. وقال الشيخ عبد السلام[١] في آخر كلامه على خواص البردة: وبالجملة فإنها تقرأ عند نزول الشدائد ولذلك سميت قصيدة الشدائد المحتوية على جميع الفوائد ما قرأها أحد عند نزول الشدائد إلاّ فرَّج الله عنه، وما قرئت في سفينة هال عليها البحر إلا سلمت وكذلك المريض إذا قرئت عنده شفاه الله، أو عند المسجون أخرجه الله سالماً، وما حملها مسافرٌ في برٍ ولا بحرٍ إلا سلِمَ من غوائِل السفر وربح في سفره وبالله سبحانه وتعالى التوفيق. وقال الشيخ السكاك تلميذ ابن عباد: ومما جرب أيضاً ـ يعني لدفع الشدائد والأزمات ـ القصيدة الأربعشرية لقطب وقته أبي الحسن علي بن وفا[٢] رضي الله عنه ولي عليها شرح شهير البركة والبرهان وهي هذه:

سكن الفؤاد فَعش هنيئاً يا جسد ... هذا النعيم هو المقيم إلى الأبدِ
أصبحت في كنف الحبيب ومن يكن ... جار الكريم فعيشه العيش الرغد
عش في أمان اللّه تحت لوائه ... لا خوف في هذا الجناب ولا نكد
لا تخشى فقراً فعندك بيت من ... كل المنى لك من أياديه مدد
رب الجمال ومرسل الجدوى ومن ... هو في المحاسن كلها فردٌ أحد
قطب النهى غوث العوالم كلها ... أعلى علي سار أحمد من حمد
روح الوجود حباه من هو واحد ... لولاه ما تمّ الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم ... هم أعين هو نورها لمَّا ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره ... في وجه آدم كان أول من سجد

---

(١) الشيخ عبد السلام: لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٢) أبو الحسن علي بن وفا: هو علي ابن الشيخ محمد بن محمد أبو الحسن السكندري المصري المالكي الشاذلي المعروف بابن الوفا، ولد بالقاهرة سنة ٧٥٩هـ، وتوفي بالروضة المدينة في ذي الحجة سنة ٨٠٧هـ، له من المصنفات: «الباعث على الإخلاص في أحوال الخواص» في التصوف، «بغية الرائد في الدرر الفرائد»، «خزينة الفضائل وسفينة الأفاضل»، «ديوان شعره»، «كتاب الوصايا» في التصوف، «الكوثر المترع في الأبحر الأربع»، «المسامع الربانية»، «مرتضع ثدي الشفا من منح الله تعالى على ابن الوفا»، «مفاتيح الخزائن العالية» في التصوف، وغير ذلك (كشف الظنون ٥/ ٧٢٧).

أو لـو رأى الـنـمـروذ نـور جـمـالـه عـبـد الـجـلـيـل مـع خـلـيـل ومـا عـنـد
لـكـن جـمـال الـلّـه جـلَّ فـلا يُـرى إلا بـتـخـصـيـصٍ مـن الـلّـه الـصـمـد
فأبشر بمن سكن الجوانح منك يا من قد ملأت من المنى عيناً ويد
عين الوفا معنى الصفا سر الندى نور الهدى روح النُهى جسد الرشد
هـو لـلـصـلاة مـع الـسـلام الـمـرتـضـى الـجـامـع الـمـخـصـوص مـا دام الأبـد

* * *

ومن ذلك أيضاً: حسبي الله من كل شيء، الله يغلب كل شيءٍ، ولا يقوم لأمر الله شيء. وقال أيضاً الشيخ السكاك المذكور: وأخبرني بعض أهل البيت قال: وجدت بمراكش في بعض كتب المؤرخين هذا الحصن الحصين وعد له فضائل، وهو جعلت نفسي في حمى الله الذي لا يرام، وفي جوار الله الذي لا يضام، وفي منعة الله التي لا تدرك، وفي ستر الله الذي لا يهتك، وفي جند الله المنيع، وفي ودائع الله التي لا تضيع، وجوار الله محفوظ، ومن اعتصم بالله معصوم وجل جلال الله، ولا يخلو مكان من الله، وذلت عين نظرتني بإذن الله، وسبحان الله والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، أشرق نور الله، وظهر كلام الله، ونفذ حكم الله، وثبت عز الله، ودفعت البلاء والأعداء بلا حول ولا قوة إلا بالله، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. قال: وقد جربت هذا الحصن وكتبته لجمع وأمرتهم بقراءته صباحاً ومساءً، فما منهم من أصابه مكروه، لا في نفسه ولا في ماله ولا في منزله، وكان ذلك في وقت امتحان وابتلاء، قل من سلم فيه ولي زيادة في استفتاحه فإني أقول: جعلت نفسي وإيماني ومالي وجميع ما لله عليّ من النعم في حمى الله الخ. قال: ومما جُرب أيضاً في باب الحفظ ذكر فتح به على بعض الأولياء، وقال: إنه أمان للاقليم الذي يذكر فيه، وهو مؤلفٌ من كلماتٍ جامعةٍ لحمد الله وشكره، وهو: اللهم لك الشكر بكل شيءٍ تحب أن تشكر به، على كل شيءٍ تحب أن تشكر عليه حمداً وشكراً دائمين بدوامك عدد ما علمت، وزِنة ما علمت، وملء ما علمت، ومداد كلماتك، وأضعاف أضعاف ذلك، اللهم لك الحمد ولك الشكر بذلك على ذلك كذلك. يكرر هذا الذكر الأخير هو: اللهم لك الحمد ولك الشكر الخ، مائة مرة. قال: وهذا مما يتأكد على الملوك ملازمته لأن النظر في المصالح الشاملة التي تعم

الإقليم إنما يتعين عليهم فوجب إذاً ملازمتهم لهذا الذكر كل يوم ليحصل بذلك أمانٌ تام عام لإقليمهم.

وقال خاتمة الحفاظ جلال الملة والدين السيوطي[١] في الجامع الكبير: دعاء أول السنة عن رسول الله ﷺ أنه قال: ما من عبد يصلي أول يوم من المحرَّم ركعتين يقرأ فيهما ما شاء فإذا فرغ من صلاته رفع يده، ثم يقول ثلاث مرات: اللهم أنت الأبدي القديم، وهذه سنة جديدة أسألك العصمة فيها من الشيطان وأوليائه، والعون على هذه النفس الأمارة بالسوء، والاشتغال بما يقربني إليك وإلى رضاك يا كريم يا ذا الجلال والإكرام، إلا وكَّل الله به ملكاً يذهب عنه الشيطان، وأعانه على نفسه، ويرى اليسر في جميع أموره، وإن عاش إلى تمام السنة يقول الشيطان قد أيسنا منه جميع السنة. ومن الجامع الكبير أيضاً دعاء آخر السنة: اللهم ما عملت في هذه السنة مما نهيتني عنه ولم ترضه، وحلمت عليّ مع قدرتك على عقوبتي، ودعوتني إلى الطاعة بعد جرأتي على معصيتك فإني أستغفرك منه وما عملت فيها من عمل ترضاه، ووعدتني عليه الثواب فإني أسألك أن تقبله مني ولا تقطع رجائي منك يا كريم، وقال ابن فرحون: من قرأ هذا الدعاء يوم عاشوراء أمِن في عامه من كل شيءٍ حتى الموت، فإذا أراد الله أن يميته لم ييسر له ذلك الدعاء وهو هذا: سبحان الله ملء الميزان، ومنتهى العلم، ومبلغ الرضا، وزِنة العرش لا منجا ولا ملجأ من الله إلا إليه، سبحان الله عدد الشفع والوتر، وعدد كلمات الله التامات كلها أسألك السلامة كلها برحمتك يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، يقرأ في اليوم المذكور عشر مرات. وهذه فائدة أجازني فيها بعض من يعتقد فيهم وهي أن تكتب البسملة والفاتحة، وبعدها: يا حميد اثنتين وستين مرة في صحن وتمحوه ويشرب منه المريض، ويدَّهن به فإنه يشفى بإذن الله تعالى. وعن بعضهم: أن من قرأ الفاتحة على عين موجوعة إحدى وأربعين مرة فإنها تشفى بإذن الله. وورد في الحديث: «أن من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة دفع الله عنه وجع السن فلا يوجعه أبداً»، قالوا: ولا بد من البسملة في ذلك. وقال الشيخ الجزولي: من حفظ هذه الأبيات دخل الجنة وهي:

---

(١) جلال الدين السيوطي: تقدمت ترجمته.

هذا الوجيه الذي بدت محاسنه مصدقٌ صادقٌ بالصدقِ مرسولُ
من رُفِعَ المسخ من أجل نبوءته والشركَ من حينه للآن مخذولُ
إن الرسول لسيفٌ يُستضاءُ به مهندٌ من سيوفِ اللّه مسلولُ

وذكر الشيخ الإمام العارف بالله أبو نعيم في الحلية: أن من قرأ هذين البيتين رزقه الله الحج ولو بعد حين وهما:

يا قاصدين إلى المختار من مضر سرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على عذرٍ ومن عدم ومن أقام على عذرٍ كمن راحا

ونقل عن الشيخ أحمد زروق قدس الله سره: أن من صلى ركعتين بأم القرآن، وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة في كل ركعة، ثم يسلم ويقرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ويصلي على النبي ﷺ إحدى عشرة مرة، ثم وقف واكتال بقدميه إحدى عشرة مما يلي المشرق ويبدىء بالقدم الأيمن ويختم بها ثم يَصل القدمَ الأيسرَ إليها ويقول: يا سيدي عبد القادر إني جعلت الوسيلة إلى الله، أنت في قضاء حاجتي كذا وكذا فإنها تقضى إن شاء الله تعالى.

وقال الشيخ أبو مهدي عيسى بن موسى التجاني في شرح استغاثته، قيل: من كانت له حاجة عند الله من أمر دينه ودنياه فليقرأ آية الكرسي وألم نشرح، ويهدي ثوابهما للشيخ سيدي عبد القادر، ويمشي لجهة المشرق عشر خطوات وينادي للشيخ سيدي عبد القادر ثلاث مرات، فإن حاجته تقضى إن شاء الله تعالى. وفي طريق آخر يصلي ركعتين بفاتحة الكتاب وسورة الإخلاص إحدى عشرة مرة ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يخطو إلى جهة العراق إحدى عشرة خطوة ويذكر اسم الشيخ تقضى حاجته إن شاء الله تعالى. منه. وفي رياض الأنس: كان محمد بن واسع[1] يقول في كل يوم بعد صلاة الصبح: اللهم إنك سلّطت علينا عدواً لنا بصيراً بعيوبنا مطلعاً على عوراتنا، إنه يرانا هو وقبيله من حيث لا نراه، اللهم أيّسه منا كما أيسته من رحمتك، وقنطه منا كما قنطته من عفوك، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين الجنة، إنك على كل شيء قدير، قال: فتمثل له إبليس

(١) هو محمد بن واسع بن جابر الأزدي، أبو بكر، من أهل البصرة، كان من العباد المتقشفة والزهاد المتجردين للعبادة، وكان قد خرج إلى خراسان غازياً، وكان في فتح ما وراء النهر مع قتيبة بن مسلم، توفي سنة ١٢٣هـ، وقيل سنة ١٢٧هـ. (كتاب الثقات لابن حبان ٧/ ٣٦٦، الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٧٩).

يوماً في طريق المسجد فقال له: يا ابن واسع هل تعرفني؟ قال: ومن أنت؟ قال له: إبليس، قال له: وما تريد؟ قال له: لا تُعلِّم الاستعاذة لأحد ولا أظهر لك أبداً، قال ابن واسع: والله لا منعتها من أحد فاصنع ما شئت.

وعن مكحول الدمشقي[١]: أنه كان يقول كلما أصبح وأمسى وبعد صلاة العصر: السلام على الملكين الكريمين الكاتبين الحافظين اكتبا بسم الله الرحمٰن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده رسوله وأشهد أن الذي جاء به محمد ﷺ حق وأن الجنة حق والنار حق وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، اللهم إن هذا اليوم خلق من خلقك فلا تميتني فيه إلاَّ بالتي أحسن ولا ترني فيه جرأةً على محارمك ولا ركوباً لمعصيتك ولا استخفافاً بحق ما فرضته عليَّ، وأعوذ بك في هذا اليوم من الزيغ، والزلل، والبلاء، والبلوى، ومن الظلم، ومن شر كتاب سبق، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي، ولا مصيبة في ديني، ولا تسلط عليَّ من لا يخافك ولا يرحمني، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قيل: فما مات حتى كلمه الملكان.

وقال الشيخ سيدي مصطفى البكري قدس سره في شرح حزب النووي ما نصه: ومن أدعية الجد الأعلى الصديق الأكبر والرفيق الأفخر رضي الله عنه على ما رواه ابن أبي الدنيا[٢] بسنده إلى يزيد الرقاشي عن سعيد بن المسيب قال: لما احتضر أبو بكر الصديق رضي الله عنه حضره ناس من أصحاب النبي ﷺ فقالوا له: يا خليفة رسول الله زودنا فإنا نراك لحمامك، قال: كلمات من قالهن حين يمسي ويصبح جعل الله روحه في الأفق المبين، قالوا: وما الأفق المبين؟ قال: قاع تحت العرش فيه رياض وأنهار وأشجار تغشاه كل يوم مائة ألف رحمة، وقال: فمن مات على ذلك القول جعل الله روحه في ذلك المكان، اللهم إنك

---

(١) مكحول الدمشقي: هو الحافظ أبو عبد الله مكحول بن عبد الله الشامي الفقيه، عالم دمشق، أصله من سبي كابل، توفي سنة ١١٦هـ، صنف: «كتاب السنن في الحديث»، «كتاب المسائل في الفقه». (كشف الظنون ٦/ ٤٧٠، وانظر ترجمته أيضاً في: تذكرة الحفاظ ١/ ١٠١، حلية الأولياء ٥/ ١٧٧، المعارف لابن قتيبة ص ٤٥٢، الكواكب الدرية ١/ ٣٠٣، البداية والنهاية ٩/ ٣٠٥).

(٢) ابن أبي الدنيا: تقدمت ترجمته.

خلقت الخلق فرقاً وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقياً، وسعيداً، وغوياً، ورشيداً، فلا تشقني بمعصيتك، اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لها مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك، اللهم إن أحد لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك لي أن أشاء ما يقربني إليك، اللهم إنك قدَّرت حركات العباد فلا يتحرك شيء إلا بإرادتك فاجعل حركاتي في تقواك، اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عمالاً تعمل به فاجعلني من خير القسمين، اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدٍ منهما أهلاً فاجعلني من سكان جنتك، اللهم إنك أردت بقوم الهدى وشرحت صدورهم وأردت بقوم الضلالة وضيّقت صدورهم فاشرح صدري للإيمان وزينه في قلبي، اللهم إنك دبّرت الأمور فجعلت مصيرها إليك فأحيني بعد الموت وقبله حياةً طيبةً وقرّبني إليك زلفى، اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فأنت ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قال أبو بكر: هذا كله في كتاب الله عز وجل، كذا في الجامع الكبير.

وفي شرح الصدور للجلال السيوطي رضي الله عنه: أخرج الأصبهاني في الترغيب عن ابن العباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى بعد المغرب ركعتين في ليلة الجمعة يقرأ في كل ركعة منهما بفاتحة الكتاب مرة وإذا زلزلت خمسة عشرة مرة هوَّن الله عليه سكرات الموت وأعاذه من عذاب القبر، ويسّر له الجواز على الصراط يوم القيامة»[1]. وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي[2] رضي الله عنه: من أراد أن يسلَم من أهوال الدنيا والآخرة فيقرأ إذا الشمس

---

(١) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٢) أبو الحسن الشاذلي: هو علي ابن الشريف عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز، المغربي، الشاذلي، أبو الحسن المالكي، رئيس الطريقة الشاذلية، ولد سنة ٥٩١هـ، وتوفي سنة ٦٥٦هـ، من تصانيفه: «الاختصاص من الفوائد القرآنية والخواص»، «التسلي والتعبر على قضاء الإله من أحكام أهل التجبر والتكبر»، «حزب البحر»، «حزب البر»، «حزب الحفظ والصون وسر تسخير عالم الكون»، «حزب الحمد»، «دائرة الأقطاب»، «الرسالة الأمين لينجذب لربّ العالمين» مرتب على الأبواب، «السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل»، «العذب السلسبيل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل» وغير ذلك.

انظر ترجمته في: كشف الظنون ٥/ ٧٠٩ـ ٧١٠، معجم المؤلفين ٧/ ١٣٧، الطبقات الكبرى للشعراني ٢/ ٥، نكت الهميان ٢١٣، الأعلام للزركلي ٤/ ٣٠٥، الكواكب الدرية ٢/ ١٢٦، هدية العارفين ١/ ٧٠٩، كتاب الوفيات ٣٢٣، شذرات الذهب ٥/ ٢٧٨).

كورت. وعن أنس بن مالك[١] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ قل هو الله أحد مائة ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله تعالى، وناد مناد من قبل الله تعالى في سمواته وفي أرضه ألا إن فلان عتيق الله من النار فمن له قبله تباعه فليأخذ من الله عز وجل»[٢]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ قل هو الله أحد مائة ألف مرة من يوم جرى عليه القلم إلى يموت يموت وجبت له الجنة بلغت ذنوبه ما بلغت ولو كانت ذنوبه مثل رمل عالج ومثل زبد البحر ولو من الأرض إلى عنان السماء، وبنى الله له مائة ألف مدينة من النور، وقال: إن الملائكة لتسمي قارىء قل هو الله أحد المخلص في المخلصين الآمن في الآمنين الناجي من عذاب يوم الدين»[٣]. وعن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة»[٤]. رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ قل هو الله أحد إحدى وعشرين ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله تعالى وهو من خواص الله عز وجل»[٥]. وروى البيهقي[٦] في شعب

---

(١) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام، الأنصاري البخاري صاحب رسول الله ﷺ وخادمه. روى عن النبي ﷺ وعن أبي بن كعب، وأسيد بن حضير، توفي سنة ٩٣هـ. (انظر ترجمته في: البداية والنهاية ٩/ ٩٧ـ١٠١، الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٢، كتاب الثقات لابن حبان ٣/ ٤، الأعلام للزركلي ٢/ ٢٤، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣/ ١٣٩، صفة الصفوة ١/ ٢٩٨، تهذيب الكمال ٢/ ٣٣٠ـ ٣٤٥، كتاب الوفيات لابن قنفذ ص ٨٥).

(٢) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٢٦٦٤.

(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ١٤٥، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤١٢، والقرطبي في تفسيره ٢٠/ ٢٤٩.

(٥) الحديث لم أجده.

(٦) البيهقي: هو أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي، أبو بكر الخسروجردي الشافعي الفقيه، ولد سنة ٣٨٤هـ، وتوفي سنة ٤٥٨هـ، من تصانيفه: «إثبات عذاب القبر»، «أربعين في الحديث»، «بيان خطأ من أخطأ على الشافعي»، «ترغيب الصلاة»، «جامع التواريخ» فارسي، «الجامع المصنف في شعب الإيمان»، «الخلافيات بين الحنفية والشافعية»، «السنن الصغيرة» في الحديث، «السنن الكبيرة» في الحديث، «كتاب الأسرار»، «كتاب الأسماء والصفات»، «كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد»، «كتاب البعث والنشور»، «كتاب =

الإيمان عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ قل هو الله أحد على طهارة مائة مرة كتب الله له بكل حرف عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وبنى له مائة قصر في الجنة، ورفع له من العمل في يومه ذلك مثل عمل بني آدم وكأنما قرأ القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة، وهي براءةٌ من الشركِ، ومحضرة للملائكة، ومنفرةٌ للشيطان، ولها دوي حول العرش تذكر بصاحبها حتى ينظر الله إليه وإذا نظر الله إليه لم يعذبه أبداً»(١).

ونقل الشيخ الحريفيشي(٢) عن العلامة المنجور(٣): أن من صلى على النبي ﷺ بهذه الصلاة ولو مرة واحدة في عمره مات على حسن الخاتمة وهي: اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا ومولانا محمد الذي ما وجد قط مثله في الوجود، اللهم صل على سيدنا ونبينا ومولانا محمد الذي ما ولد قط مثله مولود وعلى آله وصحبه. وذكر الشيخ سيدي عبد الوهاب الشعراني(٤) في كتابه المسمى بالدلالة على الله قال: نقل عن أبي العباس أحمد الخضر عليه السلام أنه قال:

= الدعوات»، «كتاب الرؤية»، «كتاب الزهد»، «كتاب ما ورد في حياة الأنبياء بعد وفاتهم»، «كتاب المعرفة»، «المبسوط» في الفروع، «المصنف في فضائل الصحابة»، «معالم السنن» في الحديث، «معرفة السنن والآثار»، «مناقب الإمام أحمد بن حنبل»، «مناقب الإمام الشافعي»، «نصوص الشافعي»، «ينابيع الأصول»، «جماع أبواب وجوه قراءة القرآن» وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ٧٨).

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٢٧٣٥.

(٢) هناك اثنان يلقبان بالحريفيش: الأول: شعيب بن عبد العزيز بن يوسف العمراوي القفصي المغربي، أبو مدين، المعروف بحريفيش، توفي سنة ٥٩٧هـ، له من المصنفات: «بهجة الأنوار في مدح النبي المختار»، «الروض الفائق في المواعظ والرقائق» (كشف الظنون ٥/ ٤١٨). والثاني: عبد الله بن سعد بن عبد الكافي بن عبد المجيد العبيدي المصري، ثم المكي الحنفي المعروف بحريفيش، توفي سنة ٨٠١هـ، من تصانيفه: «الكافي في علمي العروض والقوافي» (كشف الظنون ٥/ ٤٦٨). ولعل المقصود هو الأول.

(٣) المنجور: هو أحمد بن علي بن عبد الرحمان، أبو العباس المنجور، فقيه مغربي له علم بالأدب، أصله من مكناسة وسكناه ورفاته بفاس، من مصنفاته: «حاشية على السنوسية الكبرى».

(٤) عبد الوهاب الشعراني: هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن زرق ابن موسى بن السلطان أحمد التلمساني الفقيه المحدث الشعراني المصري الصوفي، توفي في جمادى الأولى سنة ٩٧٣هـ. له العشرات من المصنفات. (انظر كشف الظنون ٥/ ٦٤١-٦٤٢).

اجتمعت بأربعة وعشرين ألف نبي ومائة ألف نبي وكلهم أسألهم عن استعمال شيء يأمن به العبد من سلب الإيمان عند الموت فلم يجبني منهم أحد حتى اجتمعت بمحمد ﷺ فسألته فقال: لا أدري حتى أسأل جبريل عليه السلام، فسأله فقال: لا أدري حتى أسأل ميكائيل عليه السلام، فسأله فقال: لا أدري حتى أسأل عزرائيل عليه السلام، فسأله فقال: لا أدري حتى أسأل إسرافيل عليه السلام، فسأله فقال: لا أدري حتى أسأل رب العزة جل جلاله وتقدست أسماؤه، فسأله فقال تعالى: من قرأ آية الكرسي وآمن الرسول إلى آخر السورة، وشهد الله أنه لا إلٰه إلا هو إلى الإسلام، وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، والفاتحة دبر كل صلاة، أمن من سلب الإيمان.

وفي تأليف الشيخ أبي عبد الله محمد العياشي رضي الله عنه ما نصه فصل وجه بخط أبي الحسن سيدي علي البطري رحمه الله ما نصه: وجدت في بعض التقاييد قال القاضي عبد الله القائم ببغداد: رأيت النبي ﷺ في المنام وهو أصفر اللون فقلت: ما لي أراك أصفر اللون؟ فقال لي: مات من أمتي مائة ألف وسبعمائة، اثنان على الإيمان، والباقي على غير الإيمان. فقلت: ما يصنع العصاة من أمتك حتى يموتوا على الإيمان؟ فقال: خذ هذه الصحيفة فمن قرأها ونقلها من بلدٍ إلى بلدٍ ومن دارٍ إلى دارٍ يموت على الإيمان، ومن سمعها ولم ينقلها فإني بريء منه. فانتبهت فإذا بالصحيفة مكتوب فيها: لا إلٰه إلا الله الموجود في كل زمان لا إلٰه إلا الله المعبود في كل مكان لا إلٰه إلا الله المعروف بالإحسان لا إلٰه إلا الله كل يوم هو في شأن لا إلٰه إلا الله نسألك الإيمان والأمان ونعوذ بك من زوال نعمتك ومن شر الشيطان الرجيم يا قديم الإحسان يا غفور يا غفار يا رحمان يا رحيم ارحمنا رحمتك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً. وفي المواهب القدسية في المناقب السنوسية للملالي رحمه الله ذكر هذه الرؤيا آخر الكتاب حين تعرض لأوراد الشيخ نفعنا الله به وأسندها للقاضي عبد الله المذكور إلا أنه خالف العدد المذكور فذكر بدله مائة ألف وسبعين، ولفظ الذكر فيه بعض مخالفة ونصه: لا إلٰه إلا الله الموجود في كل زمان لا إلٰه إلا الله المعبود في كل مكان لا إلٰه إلا الله المعروف بالإحسان لا إلٰه إلا الله كل يوم هو في شأن لا إلٰه إلا الله الأمان الأمان وأعوذ بك من زوال الإيمان ومن تمرد الشيطان يا غفور يا غفار يا رحمان يا رحيم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

وفي النفحات القدسية وهذه فائدة جليلة لم توجد إلا في كتب قليلة عن سيدي عبد الوهاب الشعراني عن سيدي علي الخواص عن سيدنا داود على نبينا وعليه السلام أنه قال: من قال كل يوم ثلاث مراتٍ صباحاً ومساء: سبحان الدائم القائم، سبحان القائم الدائم، سبحان الحي القيوم، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم وبحمده، سبحان الملك القدوس، سبحان رب الملائكة والروح، فإنه يموت على الإسلام من غير شك ولا تردد ولا توقف. ومن تقييد ابن القاضي[1]: من داوم على هذا الدعاء يموت على حسن الخاتمة وهو: اللهم ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيني وبين التوفيق والإخلاص والممات على حسن الختام إن الله لا يخلف الميعاد. ووجد بخط بعضهم ما نصه: روي أن من داوم على هذه الكلمات لا يموت إلا على حسن الخاتمة وهي هذه: اللهم إني أسألك بعزتك يا عزيز، وبقدرتك يا قدير، وبعظمتك يا عظيم، وبرحمتك يا رحمان، وبمنتك يا منان، احفظني بالإيمان قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً وحياً وميتاً وعلى كل حال، وهو عن النبي ﷺ.

وفي كتاب النورين في إصلاح الدارين للشيخ جمال الدين محمد بن عبد الرحمان الجيشي الوصابي[2] رحمه الله ما نصه: وللأمان من نزع الإيمان عند الموت أن يصلي ركعتين فيما بين المغرب والعشاء يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة القدر والإخلاص ست مرات والمعوذتين مرة، ثم يقول إذا سلم ثلاث مرات: اللهم إني استودعتك ديني وإيماني فاحفظهما عليّ في حياتي وعند مماتي وبعد وفاتي. وأكثر ما ينزع الإيمان من العبد عند الموت أربعة أشياء: ترك الشكر على الإيمان، وترك الخوف على ذهاب الإسلام، وظلم أهل الإسلام، وعقوق

---

(١) ابن القاضي: هو أحمد بن محمد المكناسي، شهاب الدين أبو العباس الشهير بابن القاضي، الفقيه المالكي من نسل موسى بن أبي العافية، كان أديباً مؤرخاً ولد سنة ٩٦٠هـ، وتوفي سنة ١٠٢٥هـ، له من التصانيف: «جذوة الاقتباس فيمن حمل من الأعلام مدينة فاس»، «درة الحجال في أسماء الرجال»، «غنية الرائض في طبقات أهل الحساب والفرائض»، «لفظ الفرائد من لقاطه حلو الفوائد»، «المدخل في الهندسة»، «منتقى المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور»، «نظم تلخيص ابن البناء» (كشف الظنون ٥/ ١٥٤).

(٢) جمال الدين محمد بن عبد الرحمان الجيشي الوصابي: كذا في الأصل، وفي كشف الظنون ٥/ ١١٢: أحمد بن عبد الرحمان بن عمر بن سلمة الجيشي الوصابي اليمني الشافعي، ولد سنة ٧٠٢هـ، وتوفي سنة ٧٦٧هـ، له من المصنفات: «الإرشاد إلى معرفة سباعيات الأعداد»، «ديوان شعره».

الوالدين. بلفظه. وعن الشيخ أبي عبد الله محمد العياشي رحمه الله تعالى أنه قال: صلاة حفظ الإيمان أن تصلي بعد المغرب ركعتين الأولى بالفاتحة وإنّا أنزلناه مرة وقل هو الله أحد سبع مرات، وفي الثانية كذلك، وفي السجود تقول هذا الدعاء: اللهم إني استودعتك ديني وإيماني فاحفظهما عليّ في حياتي وعند وفاتي وبعد مماتي، وكذلك بعد السلام.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من جلس مجلساً كثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إلٰه أنت أستغفرك وأتوب إليك غفر الله ما كان في مجلسه»[(١)]. واللغط كثرة الأصوات واختلافها. وذكر صاحب القاموس في كتاب الصلاة والبشر حديثاً مسنداً إلى الخضر وإلياس عليهما السلام قالا: سمعنا النبي ﷺ يقول: إذا جلستم مجلساً فقولوا: بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين يوكل الله بكم ملكاً يمنعكم من الغيبة حتى لا تغتابوا أحداً، فإذا قمتم فقولوا بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، فإن الناس لا يغتابونكم، وينهاهم الملك عن ذلك.

وعن عليّ كرم الله وجهه قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، وليكن هذا آخر ما أردنا إيراده من هذا التعليق، وخاتمة ما نظمنا من جواهر المسائل في عقود السطور بالتنميق، وقد ختمناه بفضائل أذكار ترغيباً لأمثالنا الضعفاء وتأنيساً لمن كان من الأقوياء. فإن من لم يعرف قدر ثواب الأعمال، ثقلت عليه في جميع الأحوال ولا يحمل النفوس على الأعمال ملازمة قرع الباب، إلا معرفة ما لها من الثواب، ولا ينشط القلب من الكسل إلا الاطلاع على ثواب العمل، نسأل المولى سبحانه وتعالى توفيقنا إلى أقوم السبل، وفوزاً بنيل الأماني والأمل، وحسن ختامه عند حضور الأجل، ونوراً مشرقاً في القبر كبدر تم كمل، وأمناً في الحشر من كل كرب ووجل، ونجاةً من نيرانٍ حرها قد اشتعل، وشرباً من كوثر أذكى من المسك وأشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وسكنى قصور قد غدت في أعلى محل، في جوار أفضل الأنبياء وأشرف الرسل، عليه أزكى صلاة ما لها من مثل، وأفضل سلامٍ دائم بها اتصل.

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٢٥٤١٨.

(وأذيل) هذا التعليق بمناجاة الخضر عليه السلام التي قيل من دعا بها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهي: إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فأشهدني بها يا رجائي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فاغفر بها خطاءي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فاغفر لي بها ما قدمت يداي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فاغفر لي بها ما خطت رجلاي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فاغفر لي بها ما نظرت عيناي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فاغفر لي بها ما طويت عليه أحشائي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فاجعل عليها مماتي ومحياي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فاجعلها من قروح الذنوب دوائي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فاصلح لي بها سري ونجواي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فأعظم بها عند الموت مثواي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فثبتني بها عند منازعة خصماي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فارحمني بها يا من إليها منتهاي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فاجعلها من قرحة المعاشي شفائي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فاعطني بها سؤالي ومناي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فاصرف عني بها أعدائي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فلا تجعل إلٰهي النار مثواي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت هي كنزي وذخري ومناي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فاجعلها في المحشر ضيائي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فثبت بها على الصراط قدماي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فاغفر لي وتجاوز عما قدمت من خطائي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فاغفر لي وارحمني يا مولاي، إلٰهي شهدت أن لا إلٰه إلا أنت فاغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت العزيز الحكيم.

(وأختم) بما ختم به ابن عطاء الله[1] القطب الشهير كتابه المسمى بالتنوير

---

(١) ابن عطاء الله: هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم، المعروف بابن عطاء الله الإسكندراني، تاج الدين الشاذلي، الصوفي، توفي بمصر سنة ٧٠٩هـ، من تصانيفه: «أصول مقدمات الوصول»، «تاج العروس الحاوي إلى تهذيب النفوس»، «التنوير في إسقاط التدبير»، «الحكم العطائية على لسان أهل الطريقة»، «الطريق الجادة في نيل السعادة»، «لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن»، «مختصر تهذيب المدونة للبرادعي» في الفقه، «المرقى إلى القدير الأبقى»، «مفتاح الفلاح في ذكر الله الكريم الفتاح». (انظر ترجمته في: كشف الظنون ٥/ ١٠٣، معجم المؤلفين ٢/ ١٢١، هدية العارفين ٢/ ١٠٣، الكواكب الدرية ٣/ ٥، الطبقات الكبرى للشعراني ٢/ ١٩).

في إسقاط التدبير، تبركاً بلفظه العطير، وتيمناً بكلامه المشرق المنير، فأقول معطراً بذلك اللسان، ومنعماً السمع بتلك الجواهر الحسان، وسائلاً من المولى الفضل والامتنان: اللهم إنا نسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، اللهم اجعلنا من المستسلمين إليك، ومن الدائمين بين يديك، وأخرجنا من التدبير معك أو عليك، واجعلنا من المفوضين إليك، اللهم إنك قد كنت لنا من قبل أن نكون لأنفسنا فكن لنا بعد وجودنا كما كنت لنا قبل وجودنا وألبسنا ملابس لطفك، واقبل علينا بحنانك وعطفك، وأخرج ظلمات التدبير من قلوبنا، وأشرق علينا نور التفويض في أسرارنا، وأشهدنا حسن اختيارك لنا حتى يكون ما تقتضيه فينا وتختاره لنا أحب إلينا من مختارنا لأنفسنا. اللهم لا تشغلنا بما ضمنت لنا عمّا أمرتنا ولا بشيء أنت طالبتنا به عن شيء أنت طالبه منا، اللهم إنك دعوتنا إلى الانتقاد إليك والدوام بين يديك، وإنا على ذلك عاجزون إلا أن تقدرنا، وضعفاء إلا أن تقوينا ومن أين لنا أن نكون في شيء إلاَّ إن كونتنا وكيف لنا أن نصل لشيءٍ إلا إن وصلتنا، وأنى لنا أن نقوى على شيء إلا أن أعنتنا، فوفقنا لما به أمرتنا، وأعنا على الانكفاف عما عنه زجرتنا، اللهم أدخلنا رياض التفويض وجنات التسليم ونعّمنا بها وفيها، واجعل أسرارنا معك لا مع نعيمها ولذّتها، وبك لا بزينتها وبهجتها، اللهم أشرق علينا من نور الاستسلام إليك، والإقبال عليك، ما تبتهج به أسرارنا، وتتكمل به أنوارنا، اللهم إنك قد دبرت كل شيء قبل وجود كل شيء، وقد علمنا أنه لا يكون إلا ما تريد، وليس هذا العلم نافعاً لنا إلاَّ أن تريد، فردنا بخيرك، وسلمنا بفضلك، واقصدنا بعنايتك، وخصنا برعايتك، واكسنا من ملابس أهل ولايتك، وأدخلنا في وجود أهل حمايتك، إنك على كل شيء قدير. اللهم إنَّا قد علمنا أن حكمك لا يعاند، وقضاءك لا يضادد، وقد عجزنا عن رد ما قضيت ودفع ما أمضيت، فنسألك لطفاً فيما قضيت وتأييداً فيما أمضيت، واجعلنا في ذلك مما رعيت يا رب العالمين. اللهم إنك قد قسمت لنا قسمة إنك موصلها لنا، فوصّلها إلينا بالهناء والسلامة من العناء، مصانين فيها من الحجبة، محفوظين فيها بأنوار الوصلة، نشهدها منك فنكون لك من الشاكرين، ونضيفها لك ولا نضيفها لأحد من العالمين، اللهم إن الرزق بيدك رزق الدنيا ورزق الآخرة فارزقنا منهما ما علمت فيه المصلحة لنا، والعود بالجدوى علينا، اللهم اجعلنا من المختارين لك ولا تجعلنا من المختارين عليك، ومن المفوضين لك لا من

المعترضين عليك، اللهم إنا إليك محتاجون فاعطينا، وعن الطاعة عاجزون فاقدرنا، وهب لنا قدرة على طاعتك وعجزاً عن معصيتك، واستسلاماً لربوبيتك، وصبراً على أحكام ألوهيتك، وعزاً بالانتساب إليك، وراحةً في قلوبنا بالتوكل عليك، واجعلنا من دخل ميادين الرضا، وكرع من تسنيم التسليم، وجني من ثمار المعارف وألبس خلع التخصيص، وأتحف بتحف القرب، وفوتح من حضرة الحب الدائمين على خدمتك، متحققين بمعرفتك، متبعين لرسولك ﷺ وارثين عنه وآخذين منه ومحققين به وقائمين بالنيابة عنه واختم لنا منك بخير يا رب العالمين، لنا ولجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين، وحبيب رب العالمين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، والحمد لله رب العالمين.

ووقع الفراغ من نظم الدر المنثور في عقود هذه السطور ليلة الثاني والعشرين من جمادى الأولى من شهور سنة ١٢٠٤ أربع ومائتين وألف من هجرة من يرى من الإمام والخلف، والمسؤول من المولى الكريم أن ينفعني والناظرين بما فيه، وأن يوفقني وإياهم لما يحبه ويرتضيه، وأن يجود لكل سائل بما يرتجيه، بجاه المصطفى الطاهر النزيه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه، وجيشه وجنده وناصريه. وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

انتهى بعون الله شرح الصلاة الصغرى وبقية الصلوات،

ويليه شرح حزب الوسيلة

المواهب الجليلة
في شرح
حزب الوسيلة

تأليف
سيدي محمد الأمين الكيلاني
رحمه الله تعالى

علق عليه ووضع حواشيه
عبد الجليل عبد السلام



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاتح أبواب الصلاة، بدوام الذكر والصلاة، ومانح الخير ومزيد البركات بالالتجاء إليه والتضرّع بالدعوات، وجاعل الذكر مفتاح الواصلين، ومنشور لواء الأولياء والصالحين، والصلاة والسلام على إمام جامع قدسه، وخطيب حضرة أنسه، مبدأ الكون وسر ختامه وسيده وواسطة عقد نظامه، سر أسرار الوجود، ومعدن الكرم والجود، سيدنا محمد الذي شرَّفه بصلاته، وأيّده بمعجزاته، وجعله لنيل المقاصد وسيلة، وخصّه بالشفاعة والفضيلة، وأمر بالصلاة عليه مؤمن الإنس والجان على ممر الدهور والأزمان، فسبحان من أجلَّه بأنواع الجلال، وأمدّه بأنواع الكمال، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار.

وبعد، فيقول راجي نيل الغفران محمد الأمين الكيلاني غفر الله ذنوبه وستر بمنّه عيوبه: إن بعض الأعزة عليَّ المتردد جُلَّ أوقاته إليّ ممن له اعتناء بالدعوات المأثورة عن السادات، سألني أن أشرح له حزب الوسيلة المطرز بكل فضيلة لسيد البدلاء والأقطاب، ورئيس النقباء والأنجاب، العالم العلامة والبحر الزاخر الفهامة صاحب الكرامات التي بانت مبلغ القطع لثبوتها بالمشاهدة والنقل والسمع، الهيكل الصمداني أستاذنا سيدي عبد القادر الجيلاني جعلنا الله من أهل لوائه بجاه رسوله وأنبيائه لاعتناء الأجلة بقراءته والمواظبة على تلاوته لأنه كاف عن غيره من الدعوات دافع للفقر وجميع المضرّات، ولذلك واظب على قراءته الولي الصالح، والزناد القادح ذو الكرامات الباهرة، والمناقب الزاهرة سيد أهل زمانه في عصره وأوانه، من أعطي منشور الولاية، وصحبته من الله العناية، فطار ذكره في الديار الفاسية، وخفقت رأيته بالديار التونسية، صاحب العلم الرباني سيدي أحمد التجاني[1]، أمدّ الله من أنواره ونفعنا بعلومه وأسراره، فقد جعله

---

(١) أحمد التجاني: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد التجاني المغربي، شيخ طائفة التجانية، ولد سنة ١١٥١هـ، وتوفي سنة ١٢٣٠هـ، له من المصنفات: «جوهرة الحقائق في الصلاة على خير الخلائق»، «جوهرة الكمال في الصلاة على سيد الأرسال» في الأدعية، «حزب التضرع والابتهال»، «حزب المغني». (كشف الظنون ٥/ ١٨٣).

رضي الله عنه من أجَّل دعواته، وواظب عليه في خلواته وجلواته، وناهيك به من سيد فاضل جامع لأشتات الفواضل، واقتفى أثره في ذلك المريدون، فهم بقراءته والعون، ويسمونه دعاء المغني ولعمري إنها تسمية جليلة مفصحة بسر الوسيلة، بيد أنهم مقتصرون في قراءته من مبدأ الدعوات، مع أنه مبدو بآية الصلاة، ولعل رواية الشيخ التجاني، هكذا بسنده إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني أو لسر رآه وتبين له معناه، وعلى كل فنفع هذا الحزب شهير، وخيره كثير، فأجبت سؤاله وقبلت مقاله، وألقيتُ عليّ جلباب المهل، وأمطت عني رداء الكل بعد أن كنت أذوده عن مورد هذا الرسل، وأضرب لإسعافه أجلاً بعد أجل، فلم يزده اعتذاري إلا شغفاً وغراماً وإلحاحاً في الطلب، وهياماً لصدق نيته، وحسن طويته، واستخرّت الله ذا الجلال واستعنت به في جميع الأحوال.

وسميته «المواهب الجليلة في شرح حزب الوسيلة» والله المسؤول في بلوغ المأمول، ولنقدم قبل المقصود في هذا الأرب شيئاً من التعريف بصاحب الحزب تبرّكاً بذلك ومقدمة لهاته المسالك، وإن كان رضي الله عنه لا يحتاج لتعريف لشهرته واختصاص ترجمته بالتأليف إذ ذكره قد ذاع في الأمصار وعَمَّ البسيطة في سائر الأقطار. فأقول هو أبو محمد عبد القادر الكيلاني بن أبي صالح موسى بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله أبي المكارم بن موسى الجون بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما فبينه وبين بضعة رسول الله ﷺ أحد عشر أباً، قال المسناوي في نتيجة التحقيق: اتفق الناقلون من المؤرخين وغيرهم أن هذا النسب كيف ذكر، وطبق ما بين وسطر كالحافظ شمس الدين الذهبي[١] في تاريخه الكبير

---

(١) الذهبي: هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني المصري، الإمام الحافظ شمس الدين، أبو عبد الله الذهبي، المحدث المؤرخ، ولد سنة ٦٧٣هـ، وتوفي سنة ٧٤٨هـ. من مصنفاته: «أخبار أبي مسلم الخراساني»، «أخبار قضاة دمشق»، «الإعلام بالوفيات»، «تاريخ الإسلام»، «التبيان في مناقب عثمان بن عفان»، «التجريد في أسماء الصحابة»، «تذكرة الحفاظ»، «تشبيه الخسيس بأهل الخميس»، «تقويم البلدان»، «توقيف أهل التوفيق في مناقب أبي بكر الصديق»، «تهذيب التهذيب» في أسماء الرجال «الدرة اليتيمية في سيرة ابن تيمية»، «دول الإسلام» في التاريخ، «الروح والأوجال في نبأ المسيح والدجال»، «سيرة الحلاج»، «سير أعلام النبلاء»، «العبر في خبر من غبر»، «فتح المطالب في مناقب علي بن أبي طالب»، «الكاشف في أسماء الرجال»، «كتاب الكبائر»، «المغني في الضعفاء وبعض الثقات»، «ميزان الاعتدال في نقد الرجال»، «نعم السمر في مناقب عمر» وغير ذلك. (كشف الظنون ٦/ ١٥٤ـ ١٥٥).

الجامع للأعيان، وسبط ابن الجوزي[١] في مرآة الزمان، ونور الدين الشنطوبي[٢] في بهجته، والعسقلاني في غبطته[٣]. وغيرهم من الأعيان المرجوع إليهم في هذا الشأن، حملت به أمه وهي ابنة ستين سنة، ويقال: لا تحمل في هذا السن إلا قرشية، كما لا تحمل في الخمسين إلا عربية، ولد رضي الله عنه بقرية نيف من إقليم جيلان سنة سبعين أو إحدى وسبعين وأربعمائة اقتصر على الأول الشيخ عبد الوهاب الشعراني في الطبقات وعلى الثاني صاحب البهجة وهو الصحيح، وجَدُّ الشيخ عبد القادر موسى الجون أحد سبعة من أولاد سيدي عبد الله الكامل، وقد جمعهم بعضهم في بيتين كما في شجرة القادريين فقال:

محمد إبراهيم وموسى ... سليمان إدريس وعيسى
كل ثلاثة أشقا فريق ... أخوهم يحيى وماله شقيق

فأما محمد فهو معروف بالنفس الزكية بويع له بالمدينة المنورة، وهو جد أولاد علي المقيمين بتفلالت بالمغرب، ومنهم السلطان عبد الرحمان صاحب سلطنة المغرب في التاريخ، وأما إبراهيم لم يخلف نسلاً، وبويع له بالبصرة، وأما موسى الجون فهو جد القادريين القاطنين ببغداد وغيرها، وأما سليمان فهو جد الأشراف المعروفين بالسليمانيين بأرض تلمسان أعادها الله دار إسلام، وأما إدريس فهو السيد إدريس الأكبر جد الأدارسة بالمغرب وغيرها، وأما عيسى فلم يخلف نسلاً، وأما يحيى فهو ابن أمة ومنفرد، وقد انفرد هو وذريته بالسلطنة

---

(١) سبط ابن الجوزي: هو شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله التركي البغدادي الحنفي، نزيل دمشق، ولد سنة ٥٨١هـ، وتوفي بدمشق سنة ٦٥٤هـ، من تصانيفه: «الانتصار لإمام أئمة الأمصار»، «إيثار الإنصاف»، «الإيضاح لقوانين الإصلاح»، «تذكرة الخواص من الأمة في ذكر مناقب الأئمة»، «تفسير القرآن»، «تلخيص الجامع الكبير للشيباني» في الفروع، «جوهرة الزمان»، «شرح الجامع الصحيح لمسلم بن الحجاج»، «كنز الملوك في كيفية السلوك»، «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان»، «معادن الإبريز» في التاريخ «منتهى السول في سيرة الرسول ﷺ» (كشف الظنون ٦/ ٥٥٤ـ ٥٥٥).

(٢) نور الدين الشنطوبي: كذا بالأصل، والصحيح: نو الدين الشطنوفي: وهو علي بن يوسف بن حريز بن الفضل بن معضاد اللخمي، نور الدين أبو الحسن الشطنوفي الصوفي، توفي مجاوراً بمكة سنة ٧١٣هـ، له من المصنفات: «بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب السادة الأخيار من المشايخ الأبرار» (كشف الظنون ٥/ ٧١٦).

(٣) هو كتاب «غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر» لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. انظر نصه في أول الكتاب.

الكبرى ببلد برنو وأحوازها إلى تاريخ الآن حسبما ذلك مبين بالشجرة المذكورة، ونقل المسناوي عن الشمسي أن موسى الجون لم يبايع له، وإن الله تعالى جعل البركة في عقبه فملك منهم ثلاث طوائف بنو الأخضر ملوك اليمامة، وهو ولد إبراهيم بن موسى الجون، والهواشم، وبنو عزيز ملوك مكة المشرفة، ثم قال بعد هذا: قال القصار رحمه الله: البركة الكاملة والنعمة الشاملة مولاي عبد القادر الجيلاني صاحب الملك الحقيقي، والخلافة القطبانية، وكم في ذريته من الأخيار.

ولعلو مرتبة الشيخ رضي الله عنه أظهر الله مقامه للعارفين قبل أن يولد بسنين، روى صاحب البهجة بسنده إلى الولي الصالح أبي بكر بن هوار البطايحي رضي الله عنه أنه قال: سوف يظهر بالعراق رجل من العجم عالي المنزلة عند الله وعند الناس اسمه عبد القادر مسكنه بغداد يقول: قدمي هذا على رقبة كل وليّ لله، وتدين له أولياء عصره ذلك الفرد في وقته، وروى أيضاً بسنده إلى أبي بكر بن صخر الأموي أنه قال الشيخ عبد القادر: أخذ العهد على كل ولي في زمانه أن لا يعترف بحاله في ظاهر أو باطن إلا بإذنه. وهو ممن له الكلام في حضرة القدس المطهرة بإذن الله، وممن أعطي التصريف في الأكوان بعد موته كما كان قبل ذلك. وروى أيضاً بسنده إلى ابن حامد البغدادي أنه قال: كان الشيخ محيي الدين سريع الدمعة شديد الخشية، كثير الهيبة، مجاب الدعوة، كريم الأخلاق، طيب الأعراق، أبعد الناس عن الفحش، أقرب الناس إلى الحق، شديد البأس إذا انتهكت محارم الله، وكان التوفيق رأيه، والتأييد يعاضده، والأنس نديمه، والبسط نسيمه، والصدق رايته، والفتح بضاعته، والحلم صناعته، والذكر وزيره، والفكر سميره، وآداب الشريعة ظاهره، وأوصاف الحقيقة سرائره، وإنه أنشد عقب ذلك:

لله أنت لقد رحبت جنابا	وشرفت أصلاً طاهراً ونصابا
وعظمت قدراً شامخاً حتى غدا	قوس الغمام لأخمصيك ركابا
وبنيت بيتاً في المعالي أصبحت	زهر الكواكب حوله أطنابا
يا ملبس الدنيا برونق مجده	بعد المشيب نضارةً وشبابا
طلبتك أبكار العلا نجم الهدى	وهي التي قد أعيت الطلابا
لما رأتك حِسانها كفؤاً لها	خطبت إليك وردت الخطابا
وأتتك مسمحة القياد مناقب	كانت على من رامهن صعابا

رجل يروقك منظراً وجلالةً ومكارماً وخلائقاً وخطابا
وترى عليه من المحاسن ملبساً ومن المهابة والعلا جلبابا

ونقل ابن عطاء الله في لطائف المنن عن الشيخ محيي الدين بن عربي[١] الخاتمي أن أبا السعود الشبلي كان يوماً في مدرسة الشيخ عبد القادر يكنس فيها فوقف عليه الخضر عليه السلام وقال له: السلام عليكم، فرد أبو السعود عليه السلام وعاد إلى شغله بالكنس فقال له الخضر: ما لك لا تبتهل بي وكأنك لم تعرفني؟ فقال له أبو السعود: بلى قد عرفتك إنك الخضر فقال له: لِمَ لَمْ تبتهل بي فقال له أبو السعود والتفت إلى الشيخ عبد القادر: لم يترك لي هذا الشيخ فضله لغيره. وروي عن أبي محمد صالح الدكالي عن شيخه أبي مدين الغوث[٢] رضي الله عنه أنه قال: لقيت الخضر عليه السلام فسألته عن مشائخ المغرب والمشرق في عصرنا وسألته عن الشيخ عبد القادر فقال: هو إمام الصدّيقين وحجة العارفين وهو روح في المعرفة، وشأنه الغربة بين الأولياء، وأنا أصرف مراتب الأولياء من وراء إشارته. دخل رضي الله عنه بغداد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بقصد قراءة العلم وفي يوم دخوله سمي محيي الدين في قصة ذكرناها في اختصار، وفي دخوله قيل: انهلّ السحاب وأعشب العراق وزال الغي واتضح الرشد.

---

(١) الشيخ محيي الدين: هو ابن عربي محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن العربي الطائي الحاتمي، محيي الدين أبو عبد الله الأندلسي، المعروف بابن عربي، الشهير بالشيخ الأكبر، ولد بالأندلس سنة ٥٦٠هـ. وتوفي بدمشق سنة ٦٣٨هـ له أكثر من ستمائة مصنف. منها: «الفتوحات المكية»، «فصوص الحكم»، «كتاب العبادلة»، «ديوان شعره»، «الآباء العلويات والأمهات السفليات»، «اتحاد الكوني في حضرة الإشهاد العيني»، «أحاديث العوالي»، «الأسرا إلى مقام الأسرا»، «اصطلاحات الصوفية»، «الإمام المبين»، «البيان في حقيقة الإنسان»، «تاج التراجم»، «التجليات الإلٰهية في الصورة الإنسانية»، «تحقيق الباء وأسرارها»، «ترجمان الأشواق»، «تفسير القرآن»، «جامع الوصايا»، «الحج الأكبر» قصيدة، «الحكم الإلٰهية» وغيرها الكثير الكثير. (انظر ترجمته في: كشف الظنون ٦/ ١١٤ـ ١٢١، البداية والنهاية ١٣/ ١٥٨ـ ١٥٩، الكواكب الدرية ٢/ ١٥٩، نفح الطيب للمقري التلمساني ٢/ ١٦١، ميزان الاعتدال ٣/ ١٥٨، شذرات الذهب ٥/ ١٩٠، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٦٣، النجوم الزاهرة ٦/ ٣٣٩، هدية العارفين ٢/ ١١٤، معجم المؤلفين لمحمد رضا كحالة ١١/ ٤٠).

(٢) أبو مدين الغوث: هو شعيب بن الحسن العارف بالله أبو مدين المغربي المالكي الصوفي توفي بتلمسان سنة ٥٩٤هـ، له من المصنفات: «أنس الوحيد ونزهة المريد» في التوحيد. (كشف الظنون ٥/ ٤١٧).

فعيدانه خضر وصحراؤه حمى وحصباؤه در وأمياهه شَهْدُ
يجيش به صدر العراق صبابةً وفي قلب نجد من محاسنه وَجْدُ
وفي الشرق نور من مقابس نوره وفي الغرب من ذكرى جلالته رَعْدُ

فأخذ رضي الله عنه علم الظاهر بسائر فنونه على جماعة من الأعيان، وبرع في جميع العلوم حتى كاد يعد للمناظرة في ثلاثة عشر فناً، ثم صحب بعد ذلك جماعة من أرباب القلوب وأكابر أهل الحقيقة فأخذ عنهم علم الطريقة، وكان عمدته الشيخ أبا حماد الدباس[1]، لازمه نيفاً وعشرين سنة، وتربى به وتأدّب إلى أن صار من المحبوبين، ويتكلم ولا يبالي، ولما تمكن وتهذب في العرفان ووصل إلى ما منحه الملك الديان، تصدّر للتدريس، والفتوى والتربية والوعظ. وسلم إليه قلم الفتوى في زمانه. وبسند صاحب البهجة إلى أبي قاسم البزار أنه قال: كانت الفتوى تأتي الشيخ عبد القادر، وما رأيته تبيت عنده فتوى ليطالع عليها بل يكتب عليها عقب قراءتها، وكان يفتي على مذهب الإمام أحمد[2] والشافعي رضي الله عنهما، وتعرض فتواه على علماء العراق فما كان تعجبهم من صوابه أشد من

---

(١) حماد بن مسلم الدباس ـ وهو الشيخ العارف ـ من أعظم مشايخ بغداد، روى عن الشيخ نجيب السهروردي قال: كان الشيخ من حماد من أجلّ من لقيت من مشايخ بغداد. وهو أحد الراسخين في علوم الحقائق، انتهت إليه رياسة المريدين وانتمى إليه معظم مشايخ بغداد وصوفيتهم، وهو أحد من صحب الشيخ عبد القادر رضي الله عنهما، وأثنى عليه وروى كراماته. وأصله من رحبة الشام. رحل إلى بغداد وسكن بها. وقيل إنه مات بها سنة ٥٢٥ ودفن بمقبرة الشونيزي.

(٢) أحمد بن حنبل: هو الإمام أحمد بن حنبل محمد بن حنبل بن هلال بن إدريس، أبو عبد الله الشيباني، المروزي الأصل، بغدادي المولد والوفاة، إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد سنة ١٦٤هـ، وتوفي سنة ٢٤١هـ، له من التصانيف: «تفسير القرآن»، «طاعة الرسول»، «كتاب الأشربة الصغير»، «كتاب الإيمان»، «كتاب الرد على الجهمية»، «كتاب الزهد»، «كتاب العلل في الحديث»، «كتاب الفرائض»، «كتاب الفضائل»، «كتاب المسائل»، «كتاب المسند» يحتوي على أربعين ألف حديث، «كتاب المناسك»، «كتاب مناقب الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه»، «كتاب الناسخ والمنسوخ من القرآن». (كشف الظنون ٥/ ٤٨، وانظر ترجمته أيضاً في: كتاب الوفيات ١٧٦، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، حلية الأولياء ٩/ ١٦١، شذرات الذهب ٢/ ٩٦، معجم المؤلفين ٢/ ٩٦، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٧، البداية والنهاية ١٠/ ٣٢٥، تاريخ بغداد ٤/ ٤١٢، الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٢٥٣، كتاب الثقات لابن حبان ٨/ ١٨).

تعجبهم من سرعة جوابه. وروي عن الشيخ البنوتي أنه قال: كان الشيخ محيي الدين عبد القادر كريم السجايا، محباً في المنتسبين إليه، وكان يوماً يتكلم على الناس فدخل الناس فترةً فنظر الشيخ إلى السماء وقال:

لا تسقني وحدي كما عودتني إني أشح بها على جلاسي
أنت الكريم ولا يليق تكرماً أن يمنع الجلاس دور الكاس

فاضطرب الناس اضطراباً شديداً ومات واحد في المجلس أو اثنان، الشك من الراوي. وبالجملة فمقام الشيخ رضي الله عنه لا يحتاج إلى بيان، إذ قد عم البسيطة، واتصل بكل إنسان، وما هو إلا كما قال القائل فيمن سلف من الأفاضل:

كأنه الشمس في البرج المنيف به على البرية لا نار على علم

ومناقبه رضي الله عنه أعظم من أن تحصى، وأجل من أن تستقصى في الحياة وبعد الممات، وكراماته بلغت مبلغ القطع والتواتر، ولذلك قال شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام: ما بلغت كرامات وليّ مبلغ القطع والتواتر إلا كرامات الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه. وعن ابن المقرفل رحمه الله أنه قال: كان شيخنا الرديني ينتمي إلى الشيخ عبد القادر وينشد إذا ذكرت مناقبه:

حسنك لا تنقضي عجائبه كالبحر حدث عنه ولا حرج

ومتع الله الشيخ بسمعه وبصره وقوله إلى حين وفاته ليلة السبت الثامن ربيع الثاني سنة إحدى وستين وخمسمائة هذا هو الصحيح خلافاً لما في طبقات الشعراني من أنه في سنة إحدى وثلاثين، ولعله سبق قلم أو تحريف، ودفن في يومه بمدرسته ببغداد، هذا ويتصل سندنا إليه في هذا الحزب وأحزابه المتعارفة، وأوراده ودعواته وأذكاره من طرق عديدة موصلة إلى الشيخ حسبما ذلك مبين في ثبتنا، ونذكر منها هنا طريقة واحدة متصلة به مسلسلة بعقبة السادة الأشراف نفعنا الله بجميعهم، كما أجازني بذلك المقدم الشيخ العفيف السيد الشريف عبد العزيز ابن السيد رمضان القادري من أحفاد الشيخ عبد القادر الجيلي عن ابن عمه السيد مراد عن أخيه السيد عبد الفتاح عن أبيه السيد عثمان عن جده السيد عثمان عن جده السيد عبد الرحيم عن ابن عمه السيد أبي بكر عن أبيه السيد يحيى عن أبيه السيد حسام الدين عن أبيه السيد شرف الدين عن أبيه السيد عبد العزيز عن أبيه سيد الأولياء ملحق الأصاغر بالأكابر محيي الدين عبد القادر الجيلي القائل: أخذت العهد على ربي أن لا يدخل النار أحد من أتباعي إلى يوم القيامة، وإن لم

يكن صاحبي جيداً فأنا جيد، وعزّة ربي لا برحت قدماي من بين يدي ربي حتى ينطلق بي وبكم إلى الجنة. وهو القائل: أعوذ الخ. . .

أقول: هكذا جميع النسخ التي رأيتها كلها مبدؤوة بكتابة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وهو وإن كان الحزب مبدؤواً بآية الصلاة لكن القارىء إنما يؤمر بالاستعاذة عند القراءة ولا يؤمر بكتابتها إلا أن الشيخ رسمها بالكتابة اعتناء بشأنها، تنبيهاً للغافلين، وطرداً للشياطين، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النّحل: الآية ٩٨]، وإنما اقترنت بخصوص القرآن مع أنها في كل شيء وفي كل وقت، لأن التلاوة أعظم عبادة، وفي القرآن من أحوال الغيب ما لا يحصى، والشيطان لا يتسلّط في الغالب إلا في مثل ذلك، فالاقتران بخصوص القرآن لا ينفي الأمر بالاستعاذة في غيره، كيف وهي سنّة الأنبياء والمرسلين كما اقتضته آيات وأخبار واختلف في حكم الأمر بها، فمنهم من حمله على الوجوب، ومنهم من حمله على الندب، ومنهم من قال: الاستعاذة واجبة في حق الرسول عليه الصلاة والسلام ومستحبة في حق غيره، وقال عطاء: بالوجوب مطلقاً كانت القراءة في صلاة أم لا، ومذهب الإمام مالك[1] رضي الله عنه وأصحابه: أنه لا يتعوّذ في المكتوبة كما لا يبسمل فيها وإن شاء المصلي فعل في قيام رمضان، وعلى التعوّذ مطلقاً الإمام أبو حنيفة[2] والإمام الشافعي رضي الله

---

(١) مالك بن أنس: هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري، المدني، إمام دار الهجرة، وأحد أئمة أهل السنة الأربعة، ولد سنة ٩٥هـ، وتوفي سنة ١٧٩هـ، له من التصانيف: «الموطأ» في الحديث، «رسالة إلى هارون الرشيد» (كشف الظنون ٦/ ١، وانظر ترجمته أيضاً في: حلية الأولياء ٦/ ٣١٦، كتاب الوفيات ١٤١، المعارف لابن قتيبة ٢٥٠، تاريخ الخميس ٢/ ٣٣٢، صفة الصفوة ٢/ ٩٩، شذرات الذهب ١/ ٢٨٩، البداية والنهاية ١٠/ ١٨٢ـ ١٨٣، الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٤٦٥، ٧/ ١٤٣، كتاب الثقات ٧/ ٤٥٩).

(٢) أبو حنيفة: هو النعمان بن ثابت بن طاوس بن هرمز مرزبان بن بهرام، الإمام الأعظم المجتهد، أبو حنيفة الكوفي البغدادي، ولد بالكوفة سنة ٨٠هـ، وتوفي ببغداد سنة ١٥٠هـ، من تصانيفه: «رسالته إلى عثمان البتي قاضي البصرة»، «الفقه الأكبر»، «كتاب الرد على القدرية»، «كتاب العالم والمتعلم»، «المسند» في الحديث. (كشف الظنون ٦/ ٤٩٥، وانظر ترجمته أيضاً في: كتاب الوفيات ١٢٩، تاريخ بغداد ١٣/ ٣٢٣، شذرات الذهب ١/ ٢٢٧، البداية والنهاية ١٠/ ١٠٧، الكواكب الدرية ١/ ٣١٢، تاريخ الخميس ٢/ ٣٢٦، النجوم الزاهرة ٢/ ١٢، تهذيب الكمال ترجمة رقم ٧٠٣٣.

عنهما، ثم اختلف العلماء في لفظها فقيل: المطلوب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وقيل: أعوذ من الشيطان وهمزه، وقيل: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وعليه القاضي إسماعيل[١]، وعلى القول الأول الجمهور وهو المختار، واعتمده صاحب الحزب رحمه الله، إذا تقرر هذا فاعلم أن الاستعاذة مشتقة من العود، والعوذ له معنيان أحدهما: الالتجاء والاحتراز، وثانيهما: الالتصاق، يقال: أطيب اللحم عوذه وهو ما التصق بالعظم. فعلى الأول معنى أعوذ: أحترز بالله وألتجىء إليه، وعلى الثاني معناه: ألصق نفسي بفضل الله ورحمته اتقاءً من الشيطان. وقوله (بالله) جار ومجرور متعلق بأعوذ والباء فيه للاستعانة، وهذا هو الركن الثاني من أركان الاستعاذة الثلاثة لأنها تستلزم مستعيذاً وهو المتكلم الناطق بالاستعاذة ومستعاذاً به ومستعاذاً منه، ولفظ الجلالة علم على ذات واجب الوجود، وأول من نطق به كما في الإبريز أبونا آدم عليه السلام، قال رضي الله عنه: لأنه لما نفخت فيه الروح قام مستوفزاً على رجل واتكأ على ركبة الرجل الأخرى فحصلت له في تلك الحالة مشاهدة عظيمة، فأطلق الله عز وجل على لسانه لفظاً يؤدي الأسرار التي شاهدها من الذات العلية وهو لفظ الله؛ فقال: الله، وقد خرج في علمه سبحانه وتعالى أن يسمى بهذا الاسم، وكذلك سائر أسمائه الحسنى فلهذا أجملها على لسان أنبيائه وأصفيائه. ولو وضع سيد الوجود ﷺ لأسرار المعاني التي حصلت له بالمشاهدة أسماء لذاب كل من سمعها ولكنه تعالى لطيف بعباده.

وهذا الكلام منه رحمه الله ليس فيه مخالفة للعقيدة من جهة قدم الأسماء، لأن المراد بقدمها قدم معانيها لا ألفاظها المحدثة لأن كل لفظ عرض والعرض حادث لا سيما إذا كان سبباً له مثل الألفاظ والأصوات وذلك واضح، والاسم الشريف مما اختص بالتسمية به مثل الإلٰه المعرّف بأل ووقع خلاف بين أهل السنّة وغيرهم هل الاسم عين المسمى أو لا، وأطالوا الكلام في ذلك وليس فيه كبير جدوى، فالكلام فيه من أشغال العقل وأعمال الفكر فيما لا منفعة فيه، ونقل شارح النصيحة الزروقية عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: إذا سمعت الرجل

---

(١) القاضي إسماعيل: الإمام شيخ الإسلام أبو إسحاق ابن محدث البصرة حماد الأزدي مولاهم البصري الحافظ صاحب التصانيف وشيخ مالكية العراق وعالمهم، ولد سنة تسع وسبعين ومائة. شرح مذهب مالك واحتج له وصنف المسند وصنف في علوم القرآن وصنف موطأ... مات فجاءة سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

يقوم الاسم هو المسمى أو غيره فاشهد أنه من أهل الكلام ولا دين له، وقال الشيخ زروق في شرح الرسالة: عدَّ السبكي الكلام في الاسم والمسمى مما ينفع علمه ولا يضرّ جهله، وأنكر الكلام فيه جماعة ورأوه بدعة منهم الشافعي وغيره.

قال شارح النصيحة: على أنه لا يظهر عند التحقيق موضع للنزاع لأنه إن أُريد بالاسم اللفظ فغيره قطعاً، وإن أريد المعنى فنفسه قطعاً، وتخصيص المسمى بما وضع له اللفظ وضعاً حقيقياً اصطلاح، ومن تصفح التراكيب وتأمل الاستعمالات علم أن الاسم قد يراد به نفس اللفظ كزيد ثلاثي، وقد يراد به ماهية المسمى كالحيوان جنس، وقد يراد جميع أفرادها كالإنسان مدرك، وقد يراد بعضها كأتاني إنسان. واعتذر عنهم في شرح المقاصد فراجعه.

وقوله: من الشيطان، متعلق بأعوذ أيضاً، وهو الركن الثالث من أركان الاستعاذة، ومن تعليلية، والشيطان من مردة الجن، وقيل: هو ابن الجن، وكان اتصف بصفة الملائكة، ولم يكن منهم، ولا عبرة بقول من قال: إنه منهم، وهو مشتق من شَطَنَ بمعنى بعد لأنه بعيد من رحمة الله، ونونه أصلية، وألفه زائدة، وقيل هو مشتق من شاط إذا هاج واحترق، ولا شك إن هذا المعنى موجود فيه، والسماع يشهد للقول الأول، وعليه الجمهور.

وقوله: الرجيم، نعت للشيطان فهو على وزن فعيل بمعنى مفعول أي مرجوم أخذ من الرجم وهو الرمي بالحجارة. قال الراغب[١]: ومنه سمي الترجمان ترجماناً لأنه يرمي بكلام من يترجم عنه إلى غيره. ومعنى كونه مرجوماً أي ملعوناً من قبل الله، أو مطروداً برجم الشهب والاحتراز منه بالاستعاذة مما يلقيه من الوسوسة في قلب الإنسان أو مسه له، وكيفية وسوسته على ما ورد في الحديث والأثر أنه يغوص في بطن الإنسان ويضع رأسه على حبة قلبه، ويلقي إليه الوسوسة، ولذا قال ﷺ: «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم ألا فضيقوا

---

(١) الراغب الأصبهاني: هو الحسين بن محمد بن مفضل الإمام أبو القاسم المعروف بالراغب الأصبهاني نزيل بغداد. توفي سنة ٥٠٠هـ. له من الكتب: «أخلاق الراغب»، «أفانين البلاغة»، «تحقيق البيان في تأويل القرآن»، «تفسير القرآن»، «تفضيل النشأتين وتحصيل السعادتين»، «درة التأويل في متشابه التنزيل»، «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، «رسالة في فوائد القرآن»، «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء»، «المعاني الأكبر»، «مفردات ألفاظ القرآن» (كشف الظنون ٥/ ٣١١).

مجاريه بالجوع»[١]. وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «لولا الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات»[٢]، وبالجملة هو أعظم القواطع عن الله ثم الدنيا ثم الهوى ثم الخلق، وعلاج الشيطان بالاستعاذة، وعلاج الهوى بمخالفة النفس، وترك الشهوات، وعلاج الدنيا بالزهد فيها، وترك حطامها لأن الرزق مقسوم وقد تكفل به المولى جل جلاله، ففي الحكم العطائية: أرح نفسك فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك، يريد أن الله تعالى تكفل للخلق بالرزق وقام به عنهم وطلب منهم أن يفرغوا قلوبهم منه ويقوموا بحق عبادته ووظائف تكليفاته، وقد جاء في الحديث: «ما قُدِّر لماضغيك أن يمضغه لا بد وأن يمضغه، ويحك كله بعز ولا تأكله بذل»[٣] وعلاج الخلق بالانقباض عنهم والبعد منهم إلا فيما لا بد منه خصوصاً في هذا الزمان فالإعراض عن الخلق عبادة، قال تعالى: ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ [المائدة: الآية ٤٢]، وقد اتفق جميع العلماء على أن الشياطين أشخاص جسمانية تجيء وتذهب مثل الناس، ثم اختلفوا في هيأتهم على قولين، الأول أنهم أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ولها عقول وأفهام وقدرة على أعمال شاقة، الثاني إنها غير متحيزة ولا حالة في متحيز، ونقل صاحب الإبريز عن الشيخ عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه أنه قال: إذا خفي عليك كيف هو الجن فانظر في نار مظلمة جداً لكثرة دخانها مثل ما يكون في الفخارين، وصور فيها صورتها التي خلقوا عليها فإذا جعلت الصورة في ذلك الدخان وألبسته إياها فذلك هو الجن. وهم يأكلون ويشربون لقوله عليه الصلاة والسلام في الروث والعظم: «إنه زاد إخوانكم الجن»[٤] وهم يتوالدون لقوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: الآية ٥٠] وولادتهم البيض عكس ما عليه الإنس، وعذابهم يوم القيامة بالزمهرير لأن النار طبعهم، قال في الإبريز: الجن في الدنيا يخاف من البرد خوفاً شديداً أفتراهم إذا كانوا في زمان الصيف في الهواء يتخوفون من هبوب الريح البارد، فإذا هبّت فروا فرار حمر الوحش، وأما الماء فلا يدخله الجن والشياطين أبداً فإن قدر على أحد أن يدخله طفا وذاب، هذا وإن الشياطين لهم ولوع تام بتتبع الشعراء

---

(١) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ١٩٤، ٧/ ٣٨٩.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٥٣.

(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٤) أخرجه الترمذي في الطهارة باب ١٤، وتفسير سورة ٤٦، باب ٣.

الذين ينظمون الشعر في غير الأمور المطلوبة شرعاً، مثل مدح الخمر، ومجالسه والنسيب والهجاء وسائر المجون يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢٢٤] كما في بعض التفاسير إن الغاوين هم الشياطين.

(لطيفة) ذكر ابن بسام[١] رحمه الله في الذخيرة في ترجمة الوزير الكاتب أبي عامر بن شهيد: أن صاحب الترجمة قال: كان لي أوائل صبوتي هوى اشتد له كلفي، ووقع لي منه ملال فاتفق أن مات من كنت أهواه في أثناء مللي لذلك فرثيته وقلت:

تولى الحمام بظبي الخدور وفار الردى بالغزال الغرير

إلى أن انتهيت إلى الاعتذار من الملل الذي كان مني فقلت:

وكنت مللتك لا عن قلى ولا عن فساد ثوى في ضميرِ

وارتج عليّ القول فإذا أنا بفارس بباب المجلس على فرس أدهم قد اتكأ على رمحه ووجهه كوجه بغل فصاح بي أعجز يا فتى الإنس؛ فقلت: لا وأبيك للكلام أحيان وهذا شأن الإنسان؛ فقال: قل بعده كمثل ملال الفتى للنعيم إذا دام فيه وصال السرور، فأثبت إجازته وقلت له: بأبي من أنت؟ قال: زهير بن نمير من أشجع الجن تصورت لك رغبة في اصطفائك؛ فقلت له: أهلاً بك أيها الوجه الوضاح صدقت قلباً إليك مغلوباً، وهوى نحوك محبوباً، وتحادثنا وتذكرت معه أخبار الخطباء والشعراء، ومن كان يألفهم من التوابع والزوابع، وقلت له: هل حيلة في لقاء من التفق منهم؛ قال: حتى أستأذن شيخنا، وطار عني ثم رجع وقد أذن له قال: فركبت معه على الأدهم وسار بنا كالطائر حتى شارفت جَوّه كجونا، ولمحت أرضه كأرضنا، متفرعة الشجر، عطيرة الزهر، فقال لي: حللت أرض الجن أبا عامر، ثم جمعه بأنفار من الجن أتباع الشعراء المشهورين كامرىء القيس وطرفة وأبي تمام والمتنبي وأبي نواس وغيرهم ووقعت بينه وبينهم مناظرة ومذاكرة في معاني الأشعار وخيارها وأجازوه وسلموا له طول الباع في حكاية طويلة تراجع في محلها. والحاصل أن الشيطان عدو للإنسان يجري منه مجرى الدم يجب على العبد أن يكون دائماً متيقظاً له لأن عداوته أصلية.

---

(١) ابن بسام: هو أبو الحسن علي بن محمد الشنتمري المعروف بابن بسام الشاعر المتوفى في حدود سنة ٥٨٦هـ، له: «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» في تراجم أعيان أهل مصره في عصره، «مقامات» وهي ثلاثون مقامة. (كشف الظنون ٥/ ٧٠٢).

ثم قال الشيخ رضي الله عنه: (بسم الله الرحمان الرحيم) أقول: لا يخفى ما في البسملة من المناسبة لما قبلها ولما بعدها، فقد جاء في الحديث أنه ﷺ قال لمن قال تعس الشيطان: «لا تقل ذلك فإنه يتعاظم ولكن قل بسم الله الرحمان الرحيم فإنه يصغر حتى يصير أقل من الذباب»(١). وجاء في الحديث أيضاً: أن النبي ﷺ قال: «لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمان الرحيم»(٢)، وعنه ﷺ كما في الغنية لصاحب الحزب أنه قال: «أغلقوا أبواب المعاصي بالاستعاذة وافتحوا باب الطاعة بالتسمية»(٣) على أنه جرى العمل بين أهل العلم والمصنفين بتقديم البسملة في مفتتح الكتب والرسائل والدليل على ذلك من الحديث وغيره مشهور والكلام فيما يتعلق بها من جهة الألفاظ والمعاني مذكور في المطولات حتى أنه خص بالتأليف.

والمناسب في هذا المقام ذكر فضائلها وما لها من الاحترام، ولو لم يكن من فضائلها إلاّ كونها جامعة لمعاني القرآن لكان كافياً فقد نقل الشيخ عبد الباقي الزرقاني(٤) في شرح خطبة مختصر سيدي خليل رحمهما الله من تفسير النسفي: أن الكتب المنزّلة من السماء إلى الدنيا مائة صحيفة وأربع صحف منها ستون لشيث، ومنها ثلاثون لإبراهيم، ومنها عشرة لموسى قبل التوراة ثم التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، والكل معناه في القرآن، ومعنى القرآن مجموع في الفاتحة، ومعنى الفاتحة مجموع في البسملة، ومعاني البسملة مجموعة في بائها، ومعناها بي ما كان وبي ما يكون. قال العلقمي(٥) في شرح الجامع الصغير نقلاً عن الجلال السيوطي: أن وجه الجمع في بائها هو أن المقصود من كل العلوم وصول

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب باب ٧٧، وأحمد في المسند ٥/ ٥٩، ٧١، ٣٦٥.

(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(٣) الحديث لم أجده.

(٤) عبد الباقي الزرقاني: هو عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن محمد بن علوان الزرقاني المصري المالكي الوفائي المتوفى سنة ١٠٩٩هـ، له: «شرح مختصر الشيخ خليل» في الفروع، «شرح الموطأ للإمام مالك». (كشف الظنون ٥/ ٤٩٦).

(٥) العلقمي: هو محمد بن عبد الرحمان بن علي بن أبي بكر القاهري الشافعي، شمس الدين المعروف بالعلقمي، تلميذ الجلال السيوطي، ولد سنة ٨٧٩هـ، وتوفي سنة ٩٦١هـ، من تصانيفه: «قبس النيرين على تفسير الجلالين» حاشية، «الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير للسيوطي»، «ملتقى البحرين في الجمع بين كلام الشيخين». (كشف الظنون ٦/ ٢٤٤).

العبد إلى الرب والباء باء الإلصاق فهي تلصق العبد بجانب الرب، وذلك كمال المقصود. ومن فضائلها ما نقله اليافعي[١] عن كتاب مكنون الجواهر: أن النبي ﷺ قال: «من قال حين يصبح بسم الله الرحمان الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم عشر مرات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ورفع الله تعالى عنه اثنين وسبعين باباً من البلاء أدناها الجذام والبرص ويوكل به سبعون ألف ملك يستغفرون له إلى الليل، وكان أعظم ممن حج واعتمر سبعين عمرة متقلبة بعد حجة الإسلام»[٢]، وهي رقية من اثنين وسبعين داء. وهي لقضاء الحوائج ترياق مجرّب. ذكر الشيخ لطف الله في شرح الأسماء: أن من مجربات البسملة الثابتة من ذكرها اثني عشر ألف مرة في مجلس واحد على أي غرض أراده ولو بإنابة غيره على ذلك يحصل له المقصود عاجلاً بفضل الله مجرب صحيح، وجملة البسملة إنشائية لا خبرية، وما أبداه الشيخ عيسى الصفوي[٣] من الإشكال في احتمالها الإنشاء والخبر مردود، انظر ابن زكري على النصيحة الكافية فإنه حرر الكلام في ذلك ورد جواب الغنيمي عن الإشكال المذكور بكلام نفيس أطال فيه وليس هذا محله، ولما كانت الصلاة على النبي ﷺ مطلوبة في أول الرسائل وما يكتب بعد المسألة كما في الشفاء، ومن المعلوم أنها أفضل العبادات. بدأ المصنف حزبه بالصلاة عليه ﷺ وصدر ذلك بآية الصلاة فقال: «إن الله وملائكته الخ...» كل ذلك تيامناً وتبركاً وترتيباً للامتثال على الأمر لتقع صلاته بعدها امتثالاً لأمر الله واسم الجلالة أشهر من أن يشرح، وقد تقدم شيء من الكلام عليه وأدنى علمه ما وفق إليه الطائفة الصوفية بالتصفية والتجريد الشرعي، ولذا تاهت بعض العقول وضلّت وما دنت إلى شيء منه بعد التعب الكثير، والقول المنصور

---

(١) اليافعي: هو عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي، الإمام عفيف الدين أبو السعادات اليمني الشافعي، نزيل الحرمين، ولد سنة ٦٩٨هـ، وتوفي في جمادى الآخرة سنة ٧٦٨هـ، له العشرات من المصنفات. (انظر كشف الظنون ٥/ ٤٦٥ـ ٤٦٦).

(٢) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٣) عيسى الصفوي: هو عيسى بن محمد بن عبد الله بن محمد الصفوي، قطب الدين الإيجي الشافعي، نزيل المدينة المنورة، نسبته إلى جده لأمه صفي الدين الإيجي، ولد سنة ٩٠٠هـ، وتوفي سنة ٩٥٥هـ، من تصانيفه: «حاشية على شرح تفسير الفاتحة للقاضي»، «حاشية على شرح جمع الجوامع للمحلي» في الفروع، «حاشية على شرح الكافية للجامي»، «شرح الغرة للسيد الشريف» في المنطق، «شرح الفوائد الغياثية» في المعاني والبيان، «شرح الكافية لابن الحاجب» في النحو. (كشف الظنون ٥/ ٨١٠).

أنه غير مشتق لما فيه من المناسبة التامة للمسمى وهو الاسم الأعظم عند صاحب الحزب وجم غفير من العلماء الأعلام ومرادهم بذلك أن له تأثيراً في الإجابة كتأثير الاسم الأعظم. ولذا اعتبروا في الدعاء به شروطاً، إذ الاسم الأعظم لا يقدر على النطق به إلاَّ الكُمل من أهل الحقيقة ونطقهم مختلف على حسب صفاء السريرة وقوة الجأش فمنهم من ينطق به مرة، ومنهم من ينطق به أكثر من ذلك حتى إن من أراد أن ينطق به أكثر مما تحمله ذاته انفلق باطنه واحترقت ذاته كذا قال جُل أهل الحقيقة، وفضائل اسم الجلالة لا تحصى ولو لم يكن منها إلا كون الشهادة التي بسببها ينتقل الكافر من كفره إلى الإيمان لا بد أن يكون هذا الاسم فيها دون غيره من الأسماء لكان كافياً، لأنها إذا لم يكن فيها اسم الجلالة بل كان غيره من الأسماء لم يحصل له الإيمان على أحد القولين في شرط النطق بالشهادة. وهو المعتمد كما في عارضة ابن العربي وعليه الإمام ابن عرفة وجم غفير، ومن فضائله ما قال الشيخ لطف الله[١]: أن من ذكره سبعين ألف مرة ودعا الله بما أراد فاز بالمطلوب. وقوله: «وملائكته» قرأ العشر بفتح التاء نسقاً على لفظ الجلالة، وقرىء خارج العشر بضمها نسقاً على محل اسم الجلالة، والملائكة جمع ملك باعتبار أصله الذي هو ملاك، والهمزة فيه مزيدة، وهو مشتق من الألوكة التي هي الرسالة والمراد موضعها لأن الملائكة وسائط بين الله وبين الناس، واختلف في حقيقتهم بعد الاتفاق على أنهم ذوات موجودة قائمة بأنفسها فذهب أكثر المتكلمين إلى أنهم أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، وقالت الحكماء: أنهم جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وإنها أقلّ منها قوة وأكثر علماً. وهم ينقسمون إلى قسمين كما قال بعض أهل الحقيقة: قسم شأنهم الاستغراق في مشاهدة الحق، وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، والمختار أن المأمورين منهم بالسجود لآدم عليه السلام ملائمة الأرض وجميعهم

---

(١) الشيخ لطف الله: هو لطف الله بن حسن التوقادي الرومي، المدرس الحنفي المعروف بلطفي الرومي، توفي مقتولاً سنة ٩٠٠هـ، من تصانيفه: «ترجمة الفرج بعد الشدة»، «تعليقة على أوائل حاشية المواقف لخواجه زاده»، «تعليقة على مقدمات التوضيح» في الأصول، «تلخيص تلخيص المفتاح» في المعاني والبيان، «حاشية على شرح السيد للمفتاح»، «حاشية على العقائد النسفية»، «رسالة في الذبائح»، «السبع الشداد»، «السعادة الفاخرة في سيادة الآخرة»، «شرح جامع الصحيح للبخاري»، «المطالب الإلٰهية في رسالة العلوم». (كشف الظنون ٥/ ٨٣٩ـ ٨٤٠).

مكلفون لعموم البعثة ورجحه تقي الدين السبكي والجلال السيوطي، بل قال البسيلي[1] في تفسيره: ولا مانع من كونهم مكلفين في الدنيا والآخرة، وإن كانت الآخرة ليست بدار تكليف كما يرشد إليه قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الصَّافات: الآية ٢٢] لأن صيغة الفعل صيغة أمر، واتفق العلماء أن الملائكة عليهم السلام لا يأكلون ولا يشربون وإيمانهم لا يزيد ولا ينقص بخلاف الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وكذا الأصفياء، والأولياء، فإن إيمان الجميع يزيد ولا ينقص، والراجح أن عامة الناس إيمانهم يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصانها، والمنافقون وأهل الارتباط إيمانهم ينقص ولا يزيد، وإذا حل بهم الموت ذهب بالكلية.

«يصلون على النبي» اختلف المفسرون في ضمير الجماعة، فقيل: عائد على الله وعلى الملائكة بناء على جواز الاشتراك بين الله وبين غيره في الضمير، وعليه فهو خبر إن، وقيل: هو عائد على الملائكة فقط بناء على عدم جواز الاشتراك في الضمير، وعليه فهو خبر عن الملائكة فقط، ويقدر خبر لأن الله أي أن الله يصلي وملائكته يصلون، واختلف في معنى الصلاة على أقوال المختار منها إنها من الله رحمةً، ومن الملائكة استغفاراً، ومن الآدميين تضرع ودعاءً، والمراد من ذلك الثناء عليه ﷺ مع الدوام إلى يوم القيامة، وعند صاحب المغني: أنها من قبيل المتواطىء والمشكك بحسب الاعتبار لم تختلف في نفسها بل هي موجودة مع كل مسند إليه حقيقة على ما يليق به وإنما زيد في تفسير الصلاة الدوام لأن المقصد المهم طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة، إذ فيه من تحصيل الحاصل ما لا يخفى، وهذا الدعاء إنما كان بلفظ الصلاة لكونه من خصائص الأنبياء والملائكة شُرع تعظيماً لهم ويجوز لغيرهم تبعاً، ويكره لغيرهم استقلالاً لأنه صار في العرف شعار الأولين، وقيل: هو من خصائص الأنبياء فقط وأما الملائكة فالدعاء يكون لهم بالسلام ولا يشاركون الأنبياء في الصلاة.

قال النووي في أذكاره: ويستثنى من التخصيص المذكور السيد لقمان والسيدة مريم على المشهور فإنهما وإن لم يكونا نبيين لكنهما ارتفعا عن مقام من يقال له رضي الله عنه فلا يكره في حقهما لفظ الصلاة. وكذا يقال في حق السيد

---

(١) البسيلي: هو أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي، مفسر من أهل تونس، كان تلميذ ابن عرفة، حضر دروسه وجمع كتاباً مما كان يمليه عليه في التفسير وأضاف إليه زيادات.

الخضر عليه السلام فإنه مختلف في نبوءته وإنما قال يصلون بصيغة المضارع إشارة إلى الدوام والاستمرار، والنبيء يقرأ بالهمز وبغير همز ومعناه المنبأ، واشتقاقه من النبأ وهو الخبر لإنبائه عن الله، وهو إنسان أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بالتبليغ، وهل هو أفضل من الرسول أو الرسول أفضل؟ وعلى الأول العز بن عبد السلام قائلاً: لأن النبوة أخبار عما يستحقه الرب سبحانه من صفات الجمال ونعوت الكمال فهي متعلقة بالله من طرفيها والإرسال دونها لأنه أمر بالإبلاغ إلى العباد فهو متعلق به من أحد طرفيه، وعلى الثاني صاحب كتاب التعاريف قائلاً: إن الرسول أفضل بالوحي الخاص الذي هو فوق النبوة «قلت» وهذا فيما يظهر هو الحق إذ لا يلزم من تعليل العز بن عبد السلام أفضلية النبوة على الرسالة إلاَّ إذا وجدنا رسولاً وليس بنبي مع أنه لا يكون رسولاً إلاَّ إذا كان نبياً إذ كل رسول نبي ولا عكس وحيث كان كذلك فالرسول أفضل بزيادة الرسالة إذ قد اجتمع فيه المقامان اللهم إلا أن يقال: مراد عز الدين رحمه الله أفضلية كل مقام بانفراده بقطع النظر عن اجتماع المقامين في الرسول، وإن كانت النبوة من لوازم كل رسول تأمله وأما الأنبياء فلا تفضيل بينهم لقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٥] ، وقد ورد النهي عن تفضيل بعضهم على بعض بالخصائص والأقيسة إذ التفضيل لا تقتضيه الخصائص بل بأمر الله.

قال ابن عباد في بعض رسائله: إنما وقعت الأفضلية بين الأنبياء بحكم الله وللسيد أن يفضل بعض عبيده على بعض وإن كان كل واحد منهم كاملاً في نفسه بالغاً من ذلك الغاية التي تليق به، والتمثيل بالسيد أمر تقريبي إذ لا يخلو من البواعث والأغراض والله تعالى منزَّه عن ذلك، وقد حقق هاته المسألة شارح النصيحة والذي انفصل عليه نقلاً عن غيره أن ما ورد من تفضيل نبينا محمد عليه الصلاة والسلام على غيره من الأنبياء نقول بموجبه ولا نزيد عليه ولا نبالغ في الأفضلية بما نشاء إذ لم يرد فيها نص لما فيه من سوء الأدب مع أنبياء الله ورسوله إن النبيء عليه الصلاة والسلام قال: «لا تخيروني من بين الأنبياء»[١] والمقصود من هذا الحديث الوارد على عدم تفضيل بعضهم على بعض إنما هو بالمشيئة للقرب إلى الله تعالى، فنبينا ﷺ وإن أسري به إلى فوق السبع الطباق واختراق الحجب، ويونس بن متى وإن نزل به إلى قعر البحار فهما بالنسبة إلى القرب من الله على حد

(١) تقدم الحديث مع تخريجه.

واحد، ولذا قال ﷺ: «لا تفضلوني على يونس بن متى»[(١)]. وأما أفضلية الأنبياء على سائر الأولياء فمما لا خفاء فيه وإن وجد كلام ظاهره يدل على تفضيل الأولياء على الأنبياء فهو إن صدر من عارف من أهل الحقيقة فهو مؤول وإلا فهو كفر، ولذا أوَّل الشيخ أبو العباس المرسي[(٢)] وغيره رضي الله عنهم قول أبي يزيد: خضت بحراً وقف الأنبياء دونه فإن أبا يزيد يشكو بذلك عجزه عن اللحاق بالأنبياء ومراده أن الأنبياء عليهم السلام خاضوا بحر التوحيد ووقفوا من الجانب الآخر يدعون الخلق إلى الخوض فيه، أي فلو كنت كاملاً لوقفت حيث وقفوا، فكلام العارفين لا يفهمه إلاّ من كان مثلهم، وآل في النبيء للعهد الذهني أو الحضوري أي النبيء الذي بين أظهركم، وإنما عدّ الصلاة بعلى مراعاة لأصلها لأن الأصل فيها الحنو والانعطاف فعدي لفظها بعلى، وقيل: إن على بمعنى اللام لأن المحل محلها.

«يا أيها الذين آمنوا» في هذا الخطاب تشريف وتكريم لهذه الأمة بكرامة نبيها عليه الصلاة والسلام من حيث نودوا باسم الإيمان ونسب فعله إليهم وأثبت لهم، وقد نوديت الأمم السالفة في كتبها بيا أيها المساكين، وشتان ما بين الخطابين، ويا حرف نداء، وأي منادى على الضم، وهاء التنبيه مقحمة بين أي وصفتها لتأكيد معنى النداء، وأي اسم مبهم مفتقر إلى ما يزيل إبهامه فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء إذ لا يستقل بنفسه فهو ملازم للوصفية والعامل فيه وفي صفته حرف النداء، وإنما وجه الخطاب للمؤمنين دون غيرهم وإن لم يقل: يا أيها الناس إن الصلاة عليه ﷺ من أجل القربات فلذا وجِّه الخطاب للمؤمنين، ومن المعلوم الخلاف بين الأصوليين في كون الكفار مخاطبين بفروع الشريعة أم لا، وعلى القول بدخولهم تحت الخطاب فالكفار مستثنون من ذلك ولذا استثنى علم الدين البلقيني[(٣)] أشياء لا

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٢) أبو العباس المرسي: تقدمت ترجمته.

(٣) علم الدين البلقيني: هو صالح بن عمر رسلان بن نصير بن صالح الكناني العسقلاني البلقيني القاضي علم الدين المصري الشافعي، توفي سنة ٨٦٨هـ، له من المصنفات: «التجرد والاهتمام بجمع فتاوى الوالد شيخ الإسلام»، «تحفة الأمين فيمن يقبل قوله بلا يمين»، «التذكرة»، «ترجمة الجلال البلقيني» أخيه، «تفسير القرآن»، «الجوهر الفرد فيما يخالف فيه الحر العبد»، «الخطب»، «القول المفيد في اشتراط الترتيب بين كلمتي التوحيد». (كشف الظنون ٥/ ٤٢٢).

تدخل الكفار فيها منها: يا أيها الذين آمنوا مهما كانت، فإنه لا يدخل الكفار في الخطاب بها وإنما قال: آمنوا، ولم يقل: آمنتم ليدخل تحته كل من آمن إلى يوم القيامة ولو قال: آمنتم لا تخص بمن كان في عصره ﷺ وهذا أحد قولين عند الأصوليين؛ والآخر إنه مختص بأهل عصره، والأول عليه السلف والحنابلة والخطاب عندهم في المؤمنين إلى آخر الأبد.

«صلوا عليه وسلموا تسليماً» صيغة الفعل صيغة أمر والأمر إذا أطلق ينصرف للوجوب ويحصل الامتثال ولو مرة واحدة ضرورة إنَّ الأمر المطلق لا يقتضي تكريراً، فقوله: صلوا أي ادعوا له بزيادة الرحمة والشرف والإكرام بأن تطلبوا له ذلك من الله، وحكم السلام في الأمر كالصلاة لاستهوائهما في الطلب بصيغة الفعل، ولفظ السلام له معان كثيرة منها التحية. قال القاضي عياض[1] في الشفاء: وفي معنى السلام عليه ﷺ ثلاثة أوجه أحدها: السلامة لك ومعك، ثانيها: السلام على حفظك ورعايتك مُتولٍ له وكفيل ويكون السلام هنا اسم الله، ثالثها: أن السلام بمعنى المسألة والانقياد وقوله تسليماً مصدر منصوب بسلموا، وإنما كانت هاته الآية جملة اسمية مؤكدة بأن لتنزيل المخاطبين بها منزلة المتردد في شأنه عليه الصلاة والسلام من حيث التعظيم والتوقير؛ وفي الآية من إشارات الصوفية ذوي الهمم العلية ما قاله الإمام القشيري: أن الله تعالى أراد أن يكون للأمة عند رسولها يد خدمة يكافيهم عليها بالشفاعة بيد نعمة فأمرهم بالصلاة عليه ثم كافاهم على لسان نبيه بقوله: «من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشر مرات»[2]

---

(١) القاضي عياض: هو عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى القاضي، أبو الفضل اليحصبي البستي المراكشي، المحدث المالكي، ولد سنة ٤٧٦هـ، وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤هـ، من تصانيفه: «الأجوبة المخيرة عن الأسئلة المحيرة»، «أخبار القرطبيين»، «الإعلام في حدود الأحكام»، «إكمال المعلم شرح صحيح مسلم»، «الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع»، «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد»، «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب الإمام مالك»، «جامع التاريخ»، «السيف المسلول على من سبّ أصحاب الرسول»، «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى»، «الصفا بتحرير الشفا»، «العيون الستة في أخبار سبتة»، «غريب الشهاب»، «غنية في أسماء الشيوخ»، «غنية الكاتب وبغية الطالب»، «كتاب العقيدة»، «مشارق الأنوار في اقتفاء صحيح الآثار الموطأ والصحيحين»، «مشارق الأنوار في تفسير غريب الحديث»، «مطامح الأفهام في شرح الأحكام»، «نظام البرهان على صحة جزم الأذان» وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ٨٠٥).

(٢) تقدم الحديث مع تخريجه.

نقله القسطلاني في مسالك الحنفاء، وفضل هاته الآية كثير فقد روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إذا قرأ العبد إن الله وملائكته يصلون الخ... ناداه ملك فلان لا تسقط لك عند الله حاجة»، وفيها إيذان بعزازة قدر نبيه ﷺ وفخامة أمره واستغنائه بصلاة الله وملائكته عليه عن صلاة غيرهم ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التّوبَة: الآية ٤٠] ، ثم قال: «اللهم صل على محمد وبارك وسلم» أعقب الآية رضي الله عنه بهاته الصلاة امتثالاً للأمر الذي تضمنته مع أن الصلاة مطلوبة في مفتتح كل أمر ذي بال، وهذا الحزب مما له بال. قال القاضي عياض في الشفاء: الذي مضى عليه عمل الناس ولم ينكروه الصلاة في أول الرسائل وما يكتب بعد البسملة. فقوله: اللهم أي يا الله ولذا لا تستعمل إلاّ في الطلب فلا يقال: اللهم غفور رحيم بل يقال: اللهم اغفر لي وارحمني، ولأجل هذا تجعل في أول الأدعية غالباً كما هنا، والمختار أن ميم اللهم زيدت عوضاً عن حرف النداء المحذوف وهو مذهب البصريين، ولا يجوز الجمع بينه وبين الميم اختياراً إلاّ في الضرورة الشعرية كقول الشاعر:

إني إذا ما حدث ألما أقول يا اللهم يا اللهما

وعند سيبويه أن هذا الاسم لا يوصف فلا تقول: يا اللهم الرحيم ارحمني وضمة الهاء أصلية، وإنما فتحت الميم لكونها بمثابة علامة جمع المذكر السالم وشددت لتعادل الحرف المحذوف لكونها عوضاً عنه، وعند أهل الطريقة إن هاته الميم جمعت سر الأسماء الحسنى ولذا قال النضر بن شميل: من قال اللهم فقد دعا الله بجميع أسمائه. والذي تقرر أن اسم الجلالة علم على ذات واجب الوجوب باعتبار اتصافها بجميع الصفات لا مجرداً عن ذلك، فلفظ اللهم حقيق أن يتوجه به في الدعاء لما تضمنه من عظيم الثناء، وأصل معناه اثن عليه يا الله عند ملائكتك وشرّفه وكرّمه زيادة على ما شرّفته به وكرّمته، أو اجعل اللطف والرحمة المقرونة بالتعظيم المنبعثة عن العطف والحنان على محمد، وهذا الاسم أشهر أسمائه ﷺ، وبه سماه جده عبد المطلب، وقيل له: لم سميته محمداً ولم يكن من أسماء آبائك وأجدادك؟ فقال: لأني أرجو أن يحمده أهل السماء والأرض، فحقق الله رجاءه، وقيل: إنما سماه محمداً لرؤية رآها وهو أنه رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف في المشرق وطرف بالمغرب والناس يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود يكون من صلبه يتعلق به أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض فسماه محمداً رجاءً

لذلك هذا وقد سماه الله به قبل أن يخلق آدم عليه السلام ولم يسم به أحد قبله إلاّ بقرب زمانه تسمى به خمسة عشر رجلاً رجاء النبوة (والله يعلم حيث يجعل رسالته)، وفي هذا الاسم أسرار عظيمة، ففي دلائل الخيرات ومن جملة التوسلات قوله: وبالاسم الذي وضعته على الليل فأظلم، وعلى النهار فاستنار، وعلى السموات فاستقلت، وعلى الأرض فاستقرت، وعلى الجبال فرستْ، وعلى البحار فجرتْ، وعلى العيون فنبعتْ، وعلى السحاب فأمطرتْ.

قال الشيخ ابن المبارك[1] في الإبريز: سألت أستاذي عبد العزيز الدباغ على هذا الاسم فقال لي: هو محمد. وناهيك بهذا السر العظيم وما اختص به عليه الصلاة والسلام من التبجيل والتكريم والبركة كثرة الخير والكرامة والنمو والزيادة، أو هي الثبات على ذلك أو هي التطهير والتزكية من المعائب أو هي الزيادة في الدنيا والذرية فهي صالحة لهاته التفاسير، والمقصود أفض عليه بركات الدين والدنيا أو أدم عليه ما أعطيته من التشريف والكرامة.

«وصلى الله على مجمع كماله» هذه الجملة إنشائية معطوفة على الجملة قبلها وإن كانت لفظها لفظ الخبر. ولا خفاء أنه ﷺ مجمع أنواع الكمالات لأنه اجتمع فيه ما افترق في غيره من المظاهر، فإن الغير مستمد منه وآخذ عنه فهو مجمع جميع الأسرار من الأسماء والصفات وهو منبعها ومظهرها وهو السر الذي أودعه الله في مكنوناته العلوية والسفلية الذي ظهرت به الأسرار وأشرقت الأنوار، فلا مكوِّن إلا من سره الذي قام به أمره، وذاته الكريمة جمعت حقائق الموجودات، ونبوّته جامعة لسائر النبوّات، ونوره جامع لسائر الأنوار، ويومه جامع لسائر الأيام، وكتابه جامع لسائر الكتب.

«ومحيط نواله» الإحاطة الاستدارة بالشيء، والنوال العطية، وإنما كان النبي ﷺ محيطاً بنوال الله وعطيته لما علم من أن كل شيء من المخلوقات متعلق ومرتبط به استناداً واستمداداً، فكل إنسان وكل حيوان بل وكل جماد استناده إليه

(١) ابن المبارك: هو أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي الفقيه المالكي المدرس بفاس، توفي سنة ١١٥٦هـ، له من المصنفات: «إنارة الأفهام بسماع ما قيل في دلالة العام»، «تفسير آية قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾»، «الذهب الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز»، «رد التسديد في مسألة التقليد»، «شرح المحلى على جمع الجوامع»، «طرر على شرح سعيد قدورة على السلم»، «كشف اللبس عن المسائل الخمس». (كشف الظنون ٥/ ١٧٤).

ﷺ علوياً كان أو سفلياً، لأن نعمة الإيجاد والإمداد اللتين ما خلا موجود عنهما، وكل مكوِّن لا بد له منهما الواسطة العظمى فيهما نبينا محمد ﷺ كما يشهد لذلك حديث الخِطاب لآدم عليه السلام في قوله: (لولاه ما خلقتك) وحيث كان هو الواسطة في كل شيء صح أنه محيط بنوال الله وعطيته، ولذا قال الإمام البكري رحمه الله:

ما أرسل الرحمان أو يرسل ... من رحمة تصعد أن تنزلِ
في ملكوت اللّه أو ملكه ... من كل ما يختص أو يشملِ
إلاَّ وطه المصطفى عبده ... نبيه مختاره المرسلِ
واسطة فيها وأصل لها ... يعلم هذا كل من يعقلِ

«ومحضر إنزاله» أي المشاهد لإنزاله من الوحي بالتلقي عن جبريل عليه السلام أو المراد به أنه عليه الصلاة والسلام محل البركات التي يرسلها الله إلى الخليقة.

«سيدنا محمد وآله» السيد قد فسر بتفاسير كثيرة منها الذي يفزع إليه وقت الشدائد وهو من أسمائه ﷺ، وقد جاء في الحديث إطلاقه عليه، فمن ذلك حديث الترمذي رحمه الله: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»[١]، وفي حديث الصحيحين: «أنا سيد الناس يوم القيامة»[٢] هذا وأن النبي ﷺ معلوم بالسيادة طبعاً وخلقاً وأدباً إلى غير ذلك من المكارم من قبل ظهوره بالنبوّة يعرف من اعتنى بالسير، وتعرف أحواله من الصغر إلى الكبر، والقرآن ناطق بسيادته عند علماء الحقيقة. قال القاضي عياض في الشفاء: من أسمائه عليه الصلاة والسلام يس ومعناه يا سيد، وقيل يا سيد البشر، والإضافة فيه لتعريف العهد الخارجي مع إفادتها التشريف، ومحمد بدل من سيد والآل مختلف في تعيينهم، فمذهب مالك رضي الله عنه أنهم بنو هاشم ما تناسلوا وهو المشهور، وقيل: بنو عبد المطلب وهو قول قوي في المذهب، وأما حديث: «آل محمد كل تقي من أمته»[٣] فإنه رواه الديلمي بإسناد ضعيف، قاله السمهودي في كتاب الغماز على اللماز.

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه.
(٢) تقدم الحديث مع تخريجه.
(٣) تقدم الحديث مع تخريجه.

«واعلم» بأن الصلاة على النبي ﷺ فرض، قال ابن عبد البر[١]: أجمعت العلماء على أن الصلاة فرض على كل مؤمن للآية الشريفة والوجوب يحصل ولو بمرة واحدة في العمر، وعليه الإمام أبو حنيفة ومالك رضي الله عنهما وجم غفير من العلماء، وإنما الاختلاف في استحباب الزيادة على الواحدة، وأما ذكرها في التشهد الأخير من الصلاة فاختلف المالكية فيه بالسنية والفضلية وشذ ابن المواز[٢] منهم، فقال بالوجوب ولم يجعله واجباً شرطاً، ولا أن الصلاة تبطل بتركه خلافاً للإمام الشافعي رضي الله عنه فإن الصلاة في التشهد عنده واجبة شرطاً وتبطل الصلاة بتركها، ولا قائل به غيره، ثم إن كيفية الصلاة عليه ﷺ ليست متعينة بلفظ مخصوص بل الباب في ذلك واسع، ففي مسالك الحنفاء بسند مؤلفه شهاب الدين القسطلاني إلى كعب بن عجرة[٣] قال: لما نزلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ [الأحزَاب: الآية ٥٦] الآية، قلنا: يا رسول الله قد علّمتنا السلام عليك ـ يعني كيفية السلام في التشهد ـ فكيف نصل عليك؟ قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد». قال بعض الفضلاء: فعلم من هذا أن مراده التعليم في الكيفية بأن نطلب من الله الصلاة عليه لا أننا نصل عليه بأنفسنا، فكانت الكيفية نص في ذلك ولا يضر حينئذ تغير الألفاظ الدالة على ذلك وصنيع السلف والخلف قاض بذلك.

«تنبيهان» الأول: ربما يختلج في الصدر أن قاعدة العرب في التشبيه تقتضي أن المشبه بالشيء يكون أخفض رتبة وأعظم أحواله أن يكون مثله، وهاهنا شبهت عطية رسول الله ﷺ بعطية إبراهيم عليه السلام كما في حديث التعليم المذكور، وكان عز الدين بن عبد السلام[٤] رحمه الله يبدي هذا الكلام في درسه وتحمل في

---

(١) ابن عبد البر: تقدمت ترجمته.

(٢) ابن المواز: هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الإسكندراني المالكي، ابن المواز، صاحب التصانيف، انتهت إليه رئاسة المذهب والمعرفة بدقيقه وجليله، وله مصنف حافل في الفقه، قدم دمشق، وتزهّد وانزوى ببعض الحصون الشامية في أواخر عمره حتى أدركه أجله، توفي سنة ٢٦٩هـ.

(٣) هو كعب بن عجرة بن أمية بن عدي البلوي، حليف الأنصار، صحابي شهد المشاهد كلها. سكن الكوفة وتوفي بالمدينة له ٤٧ حديثاً. (كتاب الثقات لابن حبان ٣/ ٣٥١، الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٣٢).

(٤) عز الدين بن عبد السلام: تقدمت ترجمته.

الجواب عنه جم غفير وما أصابوا المرمى حتى قيض الله له شهاب الدين القرافي[١] قال رحمه الله في الفروق: إن الدعاء في لسان العرب لا يتعلق إلا بمعدوم مستقبل كسائر أنواع الطلب، وقولنا: اللهم صل دعاء فلا يتعلق إلا بعطية لم تعط لرسول الله ﷺ معدومة لأن طلب تحصيل الحاصل محال، فالحاصل له عليه الصلاة والسلام لم يتعلق به طلب لكونه وجوداً حاصلاً وبهذا الموجود الحاصل حصل له التفضيل إبراهيم عليه السلام، فيكون الواقع قبل دعائنا مواهب ربانية من خير الدنيا والآخرة لم يدركها أحد من الأنبياء قبله ونحن نطلب زيادة على ذلك تكون تلك الزيادة مثل المواهب الحاصلة لإبراهيم عليه السلام.

(الثاني) وقع خلاف بين العلماء في الصلاة على النبي ﷺ هل هي من المقطوع بقبوله أو هي من المظنون؟ قال أبو إسحاق الشاطبي[٢] في شرح الألفية: أن الصلاة من المقطوع بقبولها، واستشكله سيدي محمد السنوسي رحمه الله فقال: إذا قطعنا بقبولها قطعنا بحسن الخاتمة لكل مصل، قال: ويجاب عنه بأن معنى القطع بقبولها أنه إذا ختم له بالإيمان وجد حسنتها مقبولة لا ريب فيها بخلاف سائر الحسنات لا وثوق بقبولها وإن مات صاحبها على الإيمان، ويحتمل أن قبولها على القطع إذا صدرت من صاحبها على وجه محبته ﷺ، فيقطع بانتفاعه بها في الآخرة ولو بتخفيف العذاب إن قضي عليه به ولو على وجه الخلود المؤبد لا على موقع محبة أشرف الخلق ﷺ؟ ألا ترى إلى انتفاع أبي طالب في الآخرة بمحبته له ﷺ وكذا تمثيل أبي لهب في سعته في نقرة الإبهام وتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين لعتقه من بشّرته بولادته عليه الصلاة والسلام. وتعقّب الشيخ ابن المبارك في الإبريز المبالغة المذكورة في قوله: ولو على وجه الخلود الخ. . . بأن النصوص تظافرت من الكتاب والسنة بإحباط عمل الكافر وأن الإيمان شرط في القبول، وأما أبو طالب وأبو لهب فقد خرجا عن ذلك لنص فعدل بهما عن سنن

---

(١) القرافي: هو أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمان بن عبد الله الصنهاجي البهفشي (بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وفتح الشين المعجمة، من قبائل صنهاجة)، شهاب الدين أبو العباس القرافي (بفتح القاف: مقبرة في مصر)، ولد سنة ٦٢٦هـ، وتوفي سنة ٦٨٤هـ، من مصنفاته: «الأجوبة عن الأسئلة الواردة على خطب ابن نباتة»، «الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة»، «الاحتمالات المرجوحة»، «الأدلة الوحدانية في الرد على النصرانية»، «أنوار البروق في أنواع الفروق» في القواعد الفقهية، «الذخيرة» في الفروغ، وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ٩٩).

(٢) أبو إسحاق الشاطبي: تقدمت ترجمته.

القياس فلا يقاس عليهما، لأن من شرط المقيس عليه على ما تقرر في الأصول أن لا يعدل به عن سنن القياس. وحينئذ فلم يبق إلا الظن القوي بقبولها، والذي حرره الشيخ ابن المبارك في هاته المسألة عن شيخه عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه أن القطع بقبولها ليس على إطلاقه، بل لا يحكم بذلك إلا إذا أبرزت عن ذات طاهرة وقلب طاهر، لأنها إذا خرجت من الذات الطاهرة خرجت سالمة من جميع العلل مثل الرياء والعجب وغيرهما فالعلل كثيرة جداً ولا يكون منها شيء في الذات الطاهرة والقلب الطاهر.

وأما حديث: «كل الأعمال فيها المقبول والمردود إلا الصلاة عليّ فإنها مقبولة غير مردودة» ضعيف، قاله ابن حجر، وعن شمس الدين السخاوي: إن الحديث المذكور من كلام أبي الدرداء من قوله: «إذا سألتم الله حاجة فابدءوا بالصلاة على النبي ﷺ فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويرد الأخرى». إذا علمت هذا صح أنه لا دليل على القطع بقبول الصلاة، نعم هي أرجى في القبول من غيرها، وأدخل في باب الظنون إلا إذا برزت عن ذات طاهرة وقلب طاهر كما سبق فينبغي للمصلي أن يحترز من العلل الموجبة للظلام الداخل على قلبه، فمن ذلك ما حكاه صاحب الإبريز قال: ترى الرجل يقرأ دلائل الخيرات، فإذا أراد أن يصلي على النبي ﷺ صوَّره في فكره وصوَّر الأمور المطلوبة له كالوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود وغير ذلك مما هو مذكور في كل صلاة وصوَّر نفسه طالباً لها من الله وقدَّر في فكره أن الله يجيبه عليه ويعطي ذلك لنبيه عليه الصلاة والسلام على يد هذا الطالب، فيظن أنه حصل منه للنبي ﷺ نفع عظيم فيستبشر ويزيد في القراءة ويبالغ في الصلاة ويرفع بها صوته ويحس بها خارجة من عروق قلبه ويعتريه خشوع وتنزل به رقّة عظيمة، ويظن أنه في حالة عظيمة ما فوقها حالة، وهو في هذا الظن على خطأ عظيم فلا يصل بصلاته هذه إلى شيء من الله عزَّ وجل، لأنها متعلقة بما ظنه وصوره في فكره وظنه باطل والباطل لا يتعلق بالحق، فليحذر المصلي على النبي ﷺ من هذه الآفات العظيمة، فإن أكثر الناس لا يفطنون لها ويظنون أن تلك الرقة والحلاوة الحاصلة لهم كائنة من الله إنما هي من الشيطان ليدفعهم بها عن الحق، ومن موجبات إدخال الظلام على القلب الرياء في الصلاة، ولا يقال: إن الرياء لا يدخل فيها لأنّا نقول: أفتى شيخ الإسلام...[1] وغيرهما أن الرياء لا يدخل كل الأعمال حتى

(١) بياض بالأصل.

الصلاة على النبي ﷺ، وقد شاهدنا في زماننا هذا أناساً مرائين بالصلاة عليه ﷺ وبالأذكار، نسأل الله العافية بمنه وكرمه، والذي ينبغي له أن يكون الحامل على قراءته محبة النبي ﷺ وتعظيمه لا غير، وأما إن كان الحامل عليها نفع العبد فإنه يكون محجوباً وينقص أجره، أو الحامل عليها نفع النبي ﷺ، فإن صلاته حينئذ لا تتعلق بالحق سبحانه ولا تبلغ إليه. كلامه.

ثم شرع الشيخ رضي الله عنه فقال: «إلٰهي بك أستغيث فأغثني» أي يا إلٰهي فهو منادى حذف منه حرف النداء والمراد هنا بالإلٰه المعبود بحق، أعني واجب الوجود المطاع الثابت الدائم، وإن كان غير معرف بأل صح إطلاقه على الله وعلى غيره بخلاف المعرف بها فإنه لا يطلق إلاً على الله وحده، وإضافته هنا للتشريف. قال ابن برجان(١) في شرح الأسماء: ومن التطرق إلى معرفته من جهة الحروف المؤلفة قولهم: أله بالمكان إذا قام به، ومن ذلك ألوه والتوله بمعنى إفراد المحبة والود والفرار إليه من سواه. والشيخ رحمه الله فار إلى الله ومستغيث به لا بغيره كما يرشد إليه تقديم المعمول، ومعنى الإغاثة العون والنصرة، يقال: أغاث الله العبد إذا كشف الشدة عنه وهاته المناجاة إحدى التوجهات الثلاث عند القوم:

الأول: توجه بالاستسلام وذلك عند تعذر الأسباب وهي طريق العارفين.

الثاني: توجه بالطلب وذلك عند انشراح الوقت وجريانه بالمعتاد وموقف تذكير النفس بالافتقار حين غفلتها عن التوحيد والاضطرار أو يكون البساط بساط تعليم أو تذكار ونحوه.

الثالث: توجه بالتعريض وذلك حين يغلب حسن الظن والاكتفاء بالعلم كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٨٢] وقول موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القَصَص: الآية ٢٤] والتوجه الثاني منطبق على كلام الشيخ هنا، (فإن قيل) ما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له؟

---

(١) ابن برجان: هو عبد السلام بن عبد الرحمان بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمان، اللخمي، أبو الحكم الإشبيلي المالكي، المعروف بابن برجان، توفي بمراكش سنة ٥٣٦هـ. من تصانيفه: «الإرشاد في تفسير القرآن»، «شرح أسماء الله الحسنى»، «كتاب الإرشاد». (كشف الظنون ٥/ ٥٧٠، فوات الوفيات ٢/ ٣٢٣، الوافي بالوفيات ١٨/ ٤٢٨، لسان الميزان ٤/ ١٣ـ ١٤، وفيات الأعيان ٤/ ٢٣٦ـ ٢٣٧).

(قلت): قال الإمام الغزالي: اعلم أن من جملة رد البلاء والدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة، كما أن الترس سبب لرد السلاح، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء، وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح، وقد قال تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النّساء: الآية ١٠٢] فقدر الله الأمر وقدّر سببه.

ثم قال: وبك استعنت فأعني، جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[١] وجملة الاستعانة هاته توجد في بعض النسخ دون بعض، والمعنى أطلب منك الإعانة لا من غيرك، والسين والتاء للطلب، والإعانة لا تكون إلاّ من قادر عليها، والعاجز عنها لا قدرة له على إعانة نفسه فضلاً عن غيره. ثم قال: وعليك توكلت فاكفني، أي اعتمدت عليك لا على غيرك إذ التوكل هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع أو في حفظها بعد حصولها وفي دفع المضرات أو رفعها بعد وقوعها، وعند صاحب الحزب: التوكل هو الخروج عن الحول والقوة مع سكون إلى رب الأرباب، وقال في كتاب التعاريف: هو الثقة بما عند الله والإياس عما في أيدي الناس.

واعلم أن الناس في التوكل على ثلاثة أقسام، منها أن يعتمد الإنسان على ربه كاعتماد الإنسان على وكيله، ومنها أن يكون كالميت بين يدي غاسله وصاحب هذه الحالة لا حظ له عند نفسه، وبها كان صاحب الحزب يوصي المريدين كما في كتاب فتوح الغيب له.

والحاصل أن حقيقة التوكل عند أهل الحقيقة كلة الإنسان أمره إلى خالقه والتعويل على وكالته إذ قد سمى نفسه في الأزل وكيلاً، وأيّد ذلك بإيجاد الخليقة ثم بإمدادها ثم بكمالها في جميع الأحوال بالخلق والرزق والأمر والنهي وغير ذلك، ومحل التوكل القلب كما قال القشيري، والحركة بالظاهر هي السبب وهو لا ينافي ما في القلب من التوكل بعد حصول ما تحققه العبد من أن كل مقدر كائن من الله، فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن تيسر فبتيسيره، وقوله: فاكفني أي لا تحوجني إلى أحد سواك وادفع عني ما يسوءني وأعني في جلب ما ينفعني ودفع ما يضرني، ولذا ناجاه بقوله: يا كافي اكفني المهمات، اسمه تعالى الكافي مشتق من كفى يكفي، قال ابن برجان: هذا إلى سبيل الدفاع أقرب، وقد كفى الله عبيده كما

---

(١) أخرجه الترمذي في القيامة باب ٥٩، وأحمد في المسند ١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧.

في قوله عز من قائل: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: الآية ٣٦] ، والمهمات جمع هم بالفتح وهو القصد إلى الشيء وعدم الفعل، ومنه الحديث الشريف: «لقد هممت أن أنهى عن الغيلة»[١] أي عن إتيان المرضع مع أنه ﷺ ما نهى عن ذلك، والمعنى تول صلاح أحوالي ومهماتي التي عزمت عليها ولم أفعلها. ثم قال: «من أمر الدنيا والآخرة» أي: حالهما إذ الأمر الحالة كما في المصباح، والدنيا في معناها قولان أحدهما: أنه اسم لمدة بقاء العالم، ثانيهما: أنها اسم لما بين السماء والأرض فما فوق السماء وما تحت الأرض ليس من الدنيا وعلى الأول الدنيا زمان وعلى الثاني مكان، ولفظها مشتق من الدنو فإن قارنه لفظ الحياة فزمان وإن لم يقارنه احتمل الزمان والمكان، وأما الآخرة فقال محيي الدين بن عربي: هي الجنة والنار اللتان أعدهما الله للجزاء سميت آخرة لتأخر خلقها عن الدنيا بتسع آلاف سنة. نقله الفاسي[٢] شارح الحصن الحصين، ولا يبعد أن يقال: إنما سميت بذلك لتأخر وصول الخلق إليها بالإقامة فيها، وإنما ناجى مولاه باسمه الكافي واسمه الرحمان الرحيم لمناسبة ذلك لمطلبه، لأنه استغاث به واستعان وعليه توكل لا على غيره كما يرشد إليه تقديم المعمول فناداه بهذه الأسماء ليكفيه ما طلبه ولا يحوجه إلى غيره ويرحمه برحمته الواسعة، وهذا من أداب الدعاء ويرجى به القبول لامتثاله سنة النبي ﷺ، فقد كان عليه السلام حين يدعو يذكر الله باسم من أسمائه مناسب لمطلبه ذكره ابن أبي جمرة[٣].

وقوله: «يا رحمان الدنيا والآخرة ويا رحيمهما» أي يا رحمان أهل الدنيا والآخرة. قال ابن برجان[٤]: معنى الاسم الأول ما منح الله به عباده من جلائل

---

(١) أخرجه مسلم في النكاح حديث ١٤٠، ١٤١، وأبو داود في الطب باب ١٦، والترمذي في الطب باب ٢٧، والنسائي في النكاح باب ٥٤، والدارمي في النكاح باب ٣٣، ومالك في الرضاع حديث ١٧، وأحمد في المسند ٦/ ٣٦١، ٤٣٤.

(٢) الفاسي: لم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) ابن أبي جمرة: هو عبد الله بن سعد بن أبي جمرة الحافظ أبو محمد الأزدي الأندلسي المالكي المتوفى سنة ٦٧٥هـ، من تصانيفه: «بهجة النفوس»، «تفسير القرآن»، «شرح حديث الإسراء»، «شرح حديث الإفك» (كشف الظنون ٥/ ٤٦٢).

(٤) ابن برجان: هو عبد السلام بن عبد الرحمان بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمان اللخمي، أبو الحكم الإشبيلي المالكي المعروف بابن برجان، توفي بمراكش سنة ٥٣٦هـ، من تصانيفه: «الإرشاد في تفسير القرآن»، «شرح أسماء الله الحسنى»، «كتاب الإرشاد». (كشف الظنون ٥/ ٥٧٠).

النعم، ومعنى الاسم الثاني ما منحهم من دقائقها، وإنما قدم الرحمان لأنه صار كالعلم من حيث إنه لا يوصف به غيره تعالى ولا عبرة بتسمية مسيلمة الكذاب[١] بهذا الاسم في تسمية قومه له برحمان اليمامة، لأن ذلك من تعنتهم في الكفر وهما مشتقان من الرحمة التي هي الرفق والإحسان وإيصال الخير ودفع الشر والرحمة من صفات الذات والتعليل في أبلغية الرحمان على الرحيم، بأن كثرة الحروف تدل على زيادة المعنى غير مطرد كما حرروه، وعند أهل الحقيقة أن الرحمة تنقسم إلى قسمين عامة وخاصة، الأول هي الشاملة لكل حقيقة علمية قبل تعيينها وتسمى عندهم بالنفس الرحماني، والثاني هي الواقعة بعدها في حضرة من الحضرات، وقبول تاج الدين بن عطاء الله نعمتان ما خرج موجود عنهما نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد إشارة إلى الرحمة العامة.

ثم قال: «إني عبدك ببابك» هذا شروع منه في تعداد أوصافه الدالة على نقصه وحدوثه القاضية بكمال الله وعظمته وبقائه تواضعاً لربه، لأن من عرف نفسه فقد عرف ربه والعبد في اللغة خلاف الحر وهو اسم يضاف للرب والسيد، والمالك مأخوذ من قولهم: عبدت الله أعبده عبادة وهي الانقياد والخضوع فالعبد من له رب ومن عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبية، فالعبودية صفة قائمة بالعبد تحمله على امتثال الأوامر واجتناب المناهي والرضا بالأقدار ولها أول في مقام الإسلام وآخر في مقام الإحسان ولا صارف للعبد على إقامتها في مقاماتها إلا النفس الأمارة بالسوء، ولا سبيل إلى استسلامها إلى أحكام الربوبية إلاَّ بمجاهدتها على طريق الطائفة الصوفية فشهود العبودية كمال الإنسان ومقامها أشرف المقامات ولأجلها كان الإيجاد. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: الآية ٥٦] ولذا كان اسم عبد الله أحب الأسماء إلى الله وكان رسول الله ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ولكن قولوا عبد الله ورسوله»[٢]، فاستثبت ما هو ثابت له وأسلم لله ما هو له، وقوله: ببابك

---

(١) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، ولد ونشأ في اليمامة، وتلقب في الجاهلية بالرحمان. وفي الأمثال: «أكذب من مسيلمة»، توفي رسول الله ﷺ قبل القضاء على فتنته، ولما انتظم الأمر لأبي بكر الصديق، انتدب قائده خالد بن الوليد لمحاربته، فكان أن ظفر خالد به وقتله سنة ١٢هـ. (انظر: السير النبوية لابن هشام ٣/ ٧٤، فتوح البلدان للبلاذري ص ٩٤ـ ١٠٠، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ٢٩٨ـ ٣٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ٤٨، والدارمي في الرقاق باب ٦٨، وأحمد في المسند ١/ ٢٣، ٢٤، ٤٧، ٥٥.

متعلق محذوف أي واقفٌ ببابك يا مالكي، وإضافة عبد للتشريف وكذا جميع ما يأتي من الصفات مضافة لكاف الخطاب. ثم قال: «فقيرك ببابك» أي المفتقر إليك في جميع الحالات، ومعنى الفقير في اللغة يأتي في قوله: مسكينك ببابك، والاتصاف بالفقر إلى الله من أكمل الأوصاف لاقتضائه الغنى عمن سواه تعالى، وكلامه يرشد إلى حصول صفة الفقر له القاضية بالغنى عمن سواه تعالى كما ترشد إليه الإضافة إلى ضمير الخطاب، وفقير الله في طريقة القوم هو الذي امتلأ قلبه بربه ولا شغل له فيما سواه، فإذا فنى عن ذكره غيره كان فناء وهو على ثلاثة أقسام: فناء في الأفعال لا فاعل إلاَّ الله، وفناء في الصفات لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة إلا الله، وفناء في الذات لا موجود على الإطلاق إلاَّ الله، وأنشدوا في ذلك:

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى ... فكان فناؤه عين البقاءِ

والاتصاف بصفة الفقر هذا عزيز، ولذا سأله القطب الشاذلي رضي الله عنه حيث قال في حزبه الكبير: نسألك الفقر مما سواك، لأن من كان افتقاره إلى الله انقطعت عنه علائق ما يشغل عن الحق وتمحض للعبودية وبذلك يحصل له الغنى، ذكر في منهاج العاشقين أن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ناجى مولاه فقال: إلٰهي أنا الغريب وأنا المريض وأنا الفقير. فأوحى الله إليه: يا موسى الغريب من لم يكن له مثلي حبيب والمريض من لم يكن له مثلي طبيب والفقير من لم يكن له مثلي مجيب فيا من هو الغني بلا فقر والعزيز بلا ذل أسألك غنى لا فقر فيه وعزّاً لا ذل فيه وليس ذلك إلا بك يا أرحم الراحمين وما أحسن قول الروذباري في وصف الفقراء حيث قال:

فاء الفقير فناؤه ببقائه ... والقاف قرب محله للقائه
والياء يعلم كونه عبداً له ... في جملة العتقاء من طلقائه
والراء راحة جسمه من كده ... وبلائه وعنائه وشقائه
هذا الفقير إن طلبت وجدته ... في جملة الأصحاب من رفقائه
أهل الصيانة والديانة والتقى ... مضمون قصد الحق من تلقائه

«واعلم» أن الفقير هو من اتصف بالصفات السابقة وامتلأ قلبه بربه ولا شغل له بما سواه، وأما المتشبهون بهم الذين قصدهم الالتحاق بهم الأخذون في طريقهم وسبيلهم، فإذا صحبهم عمل التحقوا بهم لما رواه الطبراني بإسناد حسن:

«من تشبه بقوم فهو منهم»[(١)] قال المناوي: أي من تزيَّ في ظاهره بزِّي الصلحاء وهو من أتباعهم يكرم ما يكرمون، ونقل عن الشيخ زروق أن المشائخ قالوا: من تشبه بهم من غير عمل فهو ملبس، نعم إن كان تشبه بهم لدفع ضرر فلا بأس به إذ قد أباحه الله، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٩] فأخذ العلماء جواز المرقعة والعكاز والسبحة ومحفظة الكراريس واللوح ونحو ذلك لدفع الضر في الأسفار لا لجلب فائدة. وأما إذا ادعى الولاية وتشبه بالأولياء في زيهم فإن ذلك من الذي عقوبته سوء الخاتمة كما نصوا عليه. ثم قال: «سائلك ببابك» هذه الجملة توجد في بعض النسخ دون بعض، وسائل اسم فاعل من سأل وهو عند الصوفية طلب الأدنى من الأعلى، فإن وقع من العبد إلى الله كان عزاً، وإن وقع لغير الله كان ذلاً، قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النِّساء: الآية ٣٢] قال صاحب الحزب في كتاب فتوح الغيب: إن الله عز وجل يبتلي طائفة من المؤمنين من أهل الولاية والمعرفة ليردهم بالابتلاء إلى السؤال فيجب سائلهم فإذا سألوا يجب إجابتهم ليعطي الكرم والجود حقهما، لأنهما يطالبانه عز وجل عند سؤال المؤمن بالإجابة وقد تحصل لهم الإجابة ولم يحصل لهم النقد والنفاذ لتعليق القدر لا على وجه عدم الإجابة والحرمان والصد، فليتأدب العبد إذا نزل البلاء، ويفتش عن ذنوبه في ترك الأوامر وارتكاب النواهي ما ظهر منها وما بطن إذ الغالب إنما يبتلي لذلك، فإن انكشف البلاء وإلاّ فليخلد إلى الدعاء والتضرع والاعتذار فيديم السؤال لجواز أن يكون ابتلاء ليسأله ولا يتهمه في تأخير الإجابة، وقال أيضاً في الكتاب المذكور: لا تقل لا أدعوا الله فإن كل ما أسأله إن كان مقسوماً فسيأتيني سألته أو لم أسأله، وإن كان غير مقسوم فلا يعطيني بسؤال، قال رضي الله عنه: بل اسأله عز وجل جميع ما تريد وتحتاج إليه من خير الدنيا والآخرة ما لم يكن محرماً لأن الله أمر بالسؤال له فهو عبادة محضة، وقد قال النبي ﷺ: «اسألوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»[(٢)] ورحم الله من قال:

تورَّع عن سؤال الخلق طراً ... وسل رباً كريماً ذا هِباتِ
ودع لذَّات دنياك اللواتي ... تراها لا محالة ذاهباتِ

---

(١) أخرجه أبو داود في اللباس باب ٤، وأحمد في المسند ٢/ ٥٠.
(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات حديث ٣٤٧٤، والحاكم في المستدرك ١/ ٤٣٩.

وقوله: ببابك، متعلق بمحذوف تقديره واقف بباب عطائك. ثم قال: «ذليلك ببابك» أي واقف بباب عزك، ومعنى الذل الهوان والضعف وهو يتعلق بالنفوس والأهواء كالإعزاز بخلاف الخفض والرفع فإنهما يختصان بالمراتب، وما سوى الله كله تحت قهر العبودية ذليل له ولو كان جباراً عنيداً، فوقوف العبد بباب العزيز وهو ذليل إعطاء لحق العبودية لأنه تارك للكفر متبرىء من الحول والقوة، وبهذا ومثله ترجى إجابة الدعاء واستحقاق جزيل العطاء، فقد قالوا: أبواب الملوك لا تقرع بالأيدي بل بنفس المحتاج، ورحم الله من قال:

وما رمت الدخول عليه حتى حللت محلة العبد الذليلِ
وأغضيت العيون على قذاها وصنت النفس عن قال وقيلِ

فذل العبد لمولاه غاية العز والفخر، وهو ديدن العارفين. قال تاج الدين بن عطاء الله: إلٰهي هذا ذليّ بين يديك وهذا حالي لا يخفى عليك منك أطلب الوصول إليك وبك أستدل عليك فاهدني بنورك إليك والحسنى بصدق العبودية بين يديك، ثم قال: «ضعيفك ببابك» هذه الجملة توجد في بعض النسخ دون بعض فقوله: ببابك، أي واقف ببابك يا قوي، والضعيف بفتح الضاد لغة بني تميم، وبضمها لغة قريش ومعناه خلاف القوة. قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء: الآية ٢٨] ولذا قال تاج الدين(١): تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته. وذلك لأن الإنسان ضعيف عن كل شي من المعاني والمحسوسات فيطلب من الله التقوية في كل شيء وإن يعينه على مراده، لأنه إن لم يعنه الله تعطلت عليه أسباب الإعانة مطلقاً، ورحم الله من قال:

إذا لم يعنك اللّٰه فيما تريده فليس لمخلوق إليه سبيل
وإن هو لم يرشدك في كل مقصد ضللت ولو إن السماك دليل

وأضداد هاته الأوصاف أوصاف الربوبية من عز وغنى وقوة، قال الشيخ الشاذلي رضي الله عنه: ملازمة العجز والفقر والضعف تصحيح للعبودية، وأضدادها أوصاف الربوبية فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه. ثم قال: (أسيرك ببابك) أي واقف وجالس بباب امتنانك إذ الأسر هو الحبس، وكأنه يقول: أسير الله محبوس في طاعته وخدمته ومحبته ولا ميل له لمن سواه، وكيف لا وإحسانه

---

(١) تاج الدين: هو تاج الدين بن عطاء الله السكندري: تقدمت ترجمته.

لا ينقطع عنه أبد الآبدين، وقد ألبس أولياءه ملابس الهيبة فقاموا بعزته مستعزين، وبدأ بالإحسان قبل توجه العابدين، وجاهر بالعطايا قبل طلب الطالبين، فالوقوف ببابه عز وجل واجب، والأسر في محبته من المواهب لأن الإنسان عبد الإحسان، وهو عبد الكمال والكمال محبوب بالطبع عند من أدركه، وثمرة هذا النوع من المحبة الاستغراق في الشهود وارتفاع الحجب عن قلب صاحبه حتى يفنى في الشهود، وإلى هذا المعنى تشير السيدة رابعة العدوية[1] حين قال لها سفيان الثوري كما في الإحياء: ما حقيقة إيمانك؟ فقالت: ما عبدته خوفاً من ناره ولا رجاء لجنته فأكون كالأجير السوء، بل عبدته حباً له وشوقاً إليه، ثم قالت:

أحبك حبين حب الهوى ... وحباً لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهلٌ له ... فكشفك للحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاك

فنسأل الله أن يوفقنا لطاعته وأن يعصمنا من معصيته، ثم قال: (مسكينك ببابك) أي واقف يرجو رحمتك، والمسكين بفتح الميم لغة أسدية، وبكسرها عند غيرهم، واختلف في معناه، فقال ابن السكين: المسكين الذي لا شيء له بخلاف الفقير فإنه الذي له بلغة من العيش، وعلى قوله: الفقير أحسن حالاً من المسكين. وقال الأصمعي[2]: المسكين أحسن حالاً ويشهد له قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ

---

(١) رابعة العدوية: هي رابعة بنت إسماعيل، مولاة آل عتيك، العدوية البصرية العابدة المشهورة، توفيت سنة ١٨٦هـ. (انظر ترجمتها في: البداية والنهاية ١٠/١٩٦، حلية الأولياء ٦/١٩٢، النجوم الزاهرة ١/ ٣٣٠، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥٦، الكواكب الدرية ١/ ٢٠٠).

(٢) الأصمعي: هو عبد الملك بن قُريب (بالتصغير) ابن عبد الملك بن علي بن أصمع، الأصمعي الباهلي، الإمام أبو سعيد البصري الأديب اللغوي، ولد سنة ١٢٣هـ، وتوفي بالبصرة سنة ٢١٥هـ، له من التصانيف: «الأجناس» في أصول الفقه، «أسماء الخمر»، «أصول الكلام»، «الأضداد في اللغة»، «خلق الإنسان»، «خلق الفرس»، «كتاب الإبل»، «كتاب الأبواب»، «كتاب الأخبية والبيوت»، «كتاب الأراجيز»، «كتاب الاشتقاق»، «كتاب الأصوات»، «كتاب فعل وأفعل»، «كتاب الألفاظ»، «كتاب الأمثال»، «كتاب الأنواء»، «كتاب الأوقات»، «كتاب جزيرة العرب»، «كتاب الخراج»، «كتاب الخيل»، «كتاب الدلو»، «كتاب الرحل»، «كتاب السرج واللجام والشوى والنعال»، «كتاب السلاح»، «كتاب الشاة والغنم»، «كتاب الصفات»، «كتاب غريب الحديث والقرآن»، «كتاب غريب الحديث والكلام الوحشي»، «كتاب الفتوح»، «كتاب الفرق»، «كتاب القلب والإبدال»، «كتاب اللغات»، «كتاب ما اتفق =

﴿فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ [الكهف: الآية ٧٩] لأن السفينة تساوي جملة من الدراهم بخلاف الفقير، فقد قال الله تعالى في حق الفقراء: ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٣] وقيل هما سيان والنفس تميل إلى قول الأصمعي، والأقوال في ذلك كثيرة ولا طائل تحتها، ورحم الله أهل الفضل حيث قالوا: الاختلاف في مثل هذا كاد أن يكون عبثاً إذ ليس تحته كبير فائدة ويطلق المسكين على الذليل المقهور وإن كان غنياً وهذا مناسب لكلام الشيخ هنا، وكذا القول الأول لكن بصرف الاحتياج إلى ما عند الله من خير الدنيا والآخرة. ثم قال: «يا أرحم الراحمين» روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: «مر رسول الله ﷺ برجل وهو يقول: يا أرحم الراحمين، فقال له: سل فقد نظر إليك الله»[1]، رواه الحاكم في المستدرك، والله جدير بأن يتصف بكونه أرحم الراحمين، لأن جميع الرحماء محتاجون لرحمته مفتقرون إليه، قال بعضهم: لمَّ أنزل الله الرحمة إلى الأرض بعد تعلقها بالعرش جعلها سبباً للتعاطف والرأفة والحنان والسكون والتربية والنسل إلى غير ذلك من المصالح، فعاش في ذلك أهل الأرض أنسها وجنها وحيوانها وهوامها وتناسلوا وتعاطفوا وتم عليهم أمرهم ورفع أهل الإيمان في ذلك درجة فتعاطفوا وتحابوا. ولا يخفى مناسبة ما في مناجاته: يا أرحم الراحمين، لما قبله في قوله: مسكينك ببابك.

(لطيفة): سأل بعض الشيعة عالماً من علماء أهل السنة ومقصوده إفحامه عن الجواب فقال له: إن الرحيم من حقه أن لا يعذب أحد من عباده فكيف يعذب بالنار وهو أرحم الراحمين؟ فأجابه السني بأن أسماء الله عديدة ومنها المنتقم وكل أسمائه حقيقة لا مجاز ولا بد لكل اسم أن يظهر ما يدل عليه في عالم الوجود فمن خصه بالرحمة فلا يعذبه ومن خصه بالانتقام فلا يرحمه، وحكمته تخصص

= لفظه واختلف معناه»، «كتاب ما تكلم به العرب فكثر في أفواه الناس»، «كتاب المذكر والمؤنث»، «كتاب المصادر»، «كتاب معاني الشعر»، «كتاب المقصور والممدود»، «كتاب مياه العرب»، «كتاب الميسر والقداح»، «كتاب النبات»، «كتاب النحل والعسل»، «كتاب النسب»، «كتاب النوادر»، «كتاب نوادر الأعراب»، «كتاب الوحوش»، «كتاب الهمزة وتحقيقها» وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ٦٢٣ـ ٦٢٤، وانظر ترجمته أيضاً في: معجم المؤلفين ٦/ ١٨٧، النجوم الزاهرة ٢/ ١٩٠، مرآة الجنان ٢/ ٦٤، ميزان الاعتدال ٢/ ١٥٢، هدية العارفين ١/ ٦٢٣، شذرات الذهب ٢/ ٣٦).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٥٤٤.

من شاء من عباده بما شاء على حقيقة كل اسم وصفة، قال تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: الآيتان ٤٩، ٥٠] فبهت الشيعي وكأنه ألقم حجراً، ثم قال: «صنيعك ببابك» أي مصنوعك واقف ببابك، فصنيعٌ على وزن فعيل بمعنى مفعول، ولا جرم أن كل ما سوى الله صنيعته هو الذي خلقه وصوره على حسب ما اقتضته الحكمة الربانية وأعطى لكل ما يستحقه وأسدى إليه من النعم ما لا يحصى ولو لم يكن منها سوى نعمة الإيجاد بعد العدم، ثم ما أتقن به تربيته طوراً بعد طور حتى استقام أمره لكان كافياً. ولذا ناجاه بقوله: «يا رب العالمين» إذ الرب في الأصل مصدر بمعنى التربية وهو تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً سمي به المالك لأنه يحفظ ما ملكه ويربيه ولا يطلق على غير الله إلاَّ مقيداً كرب الدار ورب الدابة، وإضافته للعالمين أفادته التعريف والعالم اسم لما سوى الله تعالى وصيغة الجمع الجمع لشمول ربوبية الله لجميع الأجناس، وأل لاستغراق أفراد كل منها بأسرها، وإنما جمع جمع العقلاء لدلائه عليهم وعلى غيرهم بطريق الغلبة ولا يخفى شموله لجميع العوالم إذ لا شيء أحدق به نطاق الإمكان والوجود من العلويات والسفليات إلاَّ وهو في حد ذاته محتاج للتربية، فلو فرض انقطاع آثار التربية فما استقر له قرار ولا اطمأنت به الدار، لكن من حكمة الله أن يفيض عليه في كل زمان من جميع النعم ما يناسب في التربية سبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه؛ ثم «الطامع ببابك» الطمع الانتظار في شيء يقرب حصوله وهو في هذا المعنى أكثر استعمالاً والطمع في الله عبودية محضة ولذا نُهي عن الطمع لغير الله، لأنه خسة وعبودية للمطموع فيه لاستلزامه ثلاثة أشياء: أحدها بذل الطامع وجهه للمطموع فيه، ثانيها أنه يستغرق فكره في وجوه تحصيله بحسب الإمكان، ثالثها ما يترتب على ذلك من الذل في الطلب مع احتمال حصول المقصود وعدمه، ثم ما يحصل بعد ذلك من المنّة، قال ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه»[1]، وقال علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه: أنْعِم على من شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج لمن شئت تكن أسيره، وقال ابن عطاء الله: أنت حر عما أنت منه آيس، وعبد لما أنت فيه طامع، وقال الشاعر:

---

(١) أخرجه البخاري في الزكاة باب ٥٠، ٥٣، والبيوع باب ١٥، والمساقاة باب ١٣، والترمذي في الزكاة باب ٣٨، والنسائي في الزكاة باب ٨٥، وأحمد في المسند ١/ ١٢٤، ٢/ ٢٤٣، ٢٥٧، ٣٠٠، ٣٩٥، ٤١٨، ٤٧٥، ٤٩٦.

تضرع إلى الله ولا تتضرع إلى الناس واقنع بعرفانك المعز للناس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم إن الغني من استغنى عن الناس

وقد جاء في الحديث عن سمرة بن جندب[١] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنما السائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه فمن شاء أبقى على وجهه ومن شاء ترك إلا أن يسأل ذا سلطان أو في أمر لا يجد منه بداً»[٢]. والمراد بالكدح آثار الخدش في الوجه على أن الطمع في غير الله مفسد للدين، فقد قال الحسن البصري[٣] لما سأله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: ما صلاح الدين؟ قال: الورع، وما فساد الدين؟ قال: الطمع، وقال إبراهيم بن أدهم[٤]: من خاصية الطمع في غير الله أنه يورث الحزن والغم. وفي بعض النسخ: الطالح ببابك مكان الطامع، فالمراد بالطالح الضعيف الهزيل الذي أثقلته أوزاره، وعلى كل فهو ملتجىء إلى ربه عارف بنفسه، ولذا استغاثه بقوله: «يا غياث المستغيثين» ليكون في عونه ونصرته إذ الغوث والعون والنصرة على المشاق وغياث صفة مبالغة ولا مغيث في الحقيقة إلا الله وحده، وما يرى من نصرة الخلق بعضهم بعضاً فهو من الله كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافات: الآية ٩٦]، ثم قال: «مهمومك ببابك يا كاشف كرب المكروبين» أي الذي سلّط عليه الهم فصار مكروباً به. قال في المصباح: الهم هو الحزن والكرب اسم لكل شاق على النفس لا تتحمله وفيه مضرة عليها، والمعنى أنه مهموم ومكروب من عدم وصوله لمرامه ومطلبه وذلك أمر قضاه الله عليه فهو واقف بباب العفو يرجو كشف ذلك عنه.

---

(١) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري، صحابي من الشجعان القادة، نشأ في المدينة ونزل البصرة، توفي بالكوفة وقيل بالبصرة. (انظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ١٠٨، ٧/ ٣٥، وكتاب الثقات لابن حبان ٣/ ١٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود حديث ١٦٢٣، وأحمد في المسند ٥/ ٢٢، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٦٦٩٨.

(٣) الحسن البصري: تقدمت ترجمته.

(٤) هو إبراهيم بن أدهم، أبو إسحاق، من كبار الصوفية والزهاد، صحب سفيان الثوري، والفضيل بن عياض، توفي سنة ١٦٢هـ. (انظر ترجمته في: البداية والنهاية ١٠/ ١٤٠ـ ١٥١، طبقات الصوفية ص ٢٧، الرسالة القشيرية ص ٨، نفحات الأنس ١٠٤، حلية الأولياء ٧/ ٣٦٧، النجوم الزاهرة ٢/ ٢١، الكواكب الدرية ١/ ١٤٢، صفة الصفوة ٢/ ٧٨٧، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٥٩، كشف المحجوب ١٢٩، مختصر دول الإسلام ١/ ١١٠).

«واعلم» بأن الهم والحزن عند الأولياء، والصوفية أصل لهم، وحاصل بالتفكير في أهوال القيامة والخوف من حضرة الإطلاق التي يفعل الله فيها ما يشاء ولا أخوف منهم أحد بسبب المشاهدة الحاصلة لهم. وقوله: «ثلاثاً» أي تكرره ثلاثاً كما هي سنة الدعاء، ثم قال: «أنا عاصيك ببابك» العصيان في اللغة مخالفة الأمر والنهي، ومن شأن أهل الحقيقة أن يقدموا قبل سؤالهم وطلبهم الاعتراف بإساءتهم وأجرامهم وكونهم أهل لذلك وإن الله بضد ذلك رجاء الإجابة على أنهم رضي الله عنهم قد قهروا أنفسهم تحت مشاق التعبد، وعند أهل الكمال: أن مطلق الغفلة عن الله معصية، قال أبو إسحاق الشاطبي[1] في الموافقات: قهر السلف رحمهم الله أنفسهم تحت مشاق التعبد وسووا بين الواجب والمندوب في طلب الفعل وبين المحرم والمكروه في طلب الترك وعدوا من لم يعمر أنفاسه بطالاً، فمن قصر منهم في عمل مندوب أو ترك مكروهاً، أو لم يعمر نفساً من أنفاسه بذكر الله عدَّ نفسه عاصياً وحصل له الخوف العظيم، والأصل لهم في هذا حديث الندامة يوم القيامة يندم المحسن أن لا يكون ازداد ويندم المسيء أن لا يكون نزع هذا وأن المعرفة بعيوب النفس والاعتراف بها داعية للأدب والانكسار وطريق إلى رحمة العزيز الجبار. قال الكناني[2] رضي الله عنه: لم يفتح الله لسان امرىء بالمعذرة إلا فتح له باب المغفرة. وقال تاج الدين في الحكم: معصية أورثت ذلاً وافتقاراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً. وقال أبو مدين رضي الله عنه: إنكسار العاصي خير من صولة المطيع.

«واعلم» بأن المعصية من المؤمن غير معصية الفاجر إذ بينهما فرق من ثلاثة أوجه، فالمؤمن لا يعزم عليها قبل فعلها ولا يفرح بها وقت فعلها، ولا يصر عليها بعد ذلك، والفاجر بخلافه ولذا قال الشيخ عبد الكريم الجيلاني[3] في قصيدته العينية:

---

(١) أبو إسحاق الشاطبي: تقدمت ترجمته.

(٢) الكناني: هو أبو زكريا يحيى بن عمر بن يوسف بن عمر الكناني الأندلسي، الفقيه المالكي، من أحل جيان، نشأ بقرطبة ورحل وسكن قيروان، ثم سوسة، ومات بها سنة ٢٨٩هـ، من تصانيفه: «كتاب اختلاف ابن القاسم وأشهب»، «كتاب الرد على الشافعي»، «كتاب الصراط»، «كتاب الميزان»، «كتاب النظر إلى الله عز وجل». (كشف الظنون ٦/ ٥١٧).

(٣) عبد الكريم الجيلاني: هو عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي القادري الصوفي الحنبلي، ولد سنة ٧٦٧هـ، وتوفي سنة ٨٢٠هـ، له من التصانيف: «الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل»، «تفسير القرآن»، «الدرة العينية في الشواهد الغيبية»، «شرح =

ولي نكتة غراء سوف أقولها وحق لها أن تحتويها المسامعُ
هي الفرق ما بين الولي وفاسق تنبه لها فالأمر فيه فظائعُ
وما هو إلاَّ أنه قبل وقعه تخبر قلبي بالذي هو واقعُ
فأجني الذي يقضيه في مرادها وعيني له قبل الفعال تطالعُ
فكنت أرى منها الإرادة قبل ما أرى الفعل مني والأسير مطاوعُ
فآوي الذي تهواه نفسي ومهجتي لذلك في نارٍ حوتها الأضالعُ
إذا كنت في حكم الشريعة عاصياً فإني في علم الحقيقة طائعُ

وهاته القصيدة طويلة بها خمسمائة بيت كما هي في ديوانه رحمه الله، وقد غلط في نسبتها أفاضل منهم الشيخ زروق فقد نسبها للشيخ عبد القادر صاحب الحزب وليس كذلك والشبه أتى لهم من لفظ الجيلي (فإن قلت) الأولياء محفوظون بالولاية فكيف تصدر منهم المعصية (قلت) هذه مسألة اختلف فيها على قولين، أحدهما: الحفظ شرط في الولي، ولا يجوز عليه الهفوة والزلة بل الحفظ في حق الولي كالعصمة في حق النبي لكن تسمى عصمة الأولياء حفظاً رعاية للأدب فيقال: الأولياء محفوظون كما أن الأنبياء معصومون والمعنى واحد إلاَّ أن وقوع الذنب من الأنبياء محال ومن الأولياء جائز لكن يزول بسببه عن رتبة الولاية وما داموا موصوفين بها لا يصدر منهم شيء، والقول الثاني: أنه لا مانع من وقوع الزلة والهفوة من الولي وعليه قول السائل:

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

فأجيب بأن قيل له:

محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط

والاختلاف فيها قوي انظر شارح النصيحة. ثم قال: «يا طالب المستغفرين» لا جرم أن الله طلب العصاة بالاستغفار حيث قال في كتابه العزيز: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: الآية ١٠]، وحكم على نفسه بالغفران لمن استغفر فضلاً منه ورحمة فقال جل من قائل: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النِّساء: الآية ١١٠]، ويفهم من مجرى المناجاة في قوله: يا

= مشكلات الفتوحات المكية»، «الكمالات الإلٰهية في الصفات المحمدية»، «النوادر العينية في البوادر الغيبية» وغير ذلك. (كشف الظنون ٥/ ٦١٠ـ ٦١١).

طالب المستغفرين أنه استغفر ربه من العصيان المعترف به، وورد في الحديث صيغ كثيرة في كيفية الاستغفار منها ما رواه الترمذي أن النبي ﷺ قال: «من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إلٰه إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف أي هرب من الجيش الذاهب للعدو»[1].

«واعلم» بأن الاستغفار النافع الذي تحمل عليه الأخبار الواردة هو الاستغفار باللسان مع تضرع القلب وابتهاله من الذنب، فإن قارنه توبة وعدم إصرار كان أكمل، وإن لم يكن مقروناً بذلك ولكنه مع الندم والانكسار فهو استغفار حقيقة، وإن لم يكن مع واحد من ذلك فهو استغفار الكاذبين الذي قالت فيه رابعة العدوية: إن استغفارنا يحتاج إلى استغفار، لكن قد ندب بعض الفضلاء الاستغفار والذكر بمجرد اللسان، ولا جرم أنه خير من السكوت أو الكلام فيما لا يعني، ثم قال رحمه الله: «المقر ببابك يا غافراً للمذنبين» أي المعترف بما جناه بسبب المخالفة والعصيان واقف بباب العفو والغفران وقوله يا غافراً هو اسم من أسمائه تعالى كالغفار، فهو مأخوذ من مادته ومعناه الساتر للذنوب والمتجاوز عن العقوبة عليها لطفاً وكرماً بخلقه ولسعة رحمة الله يرجو الشيطان حين يشاهد سعة الرحمة يوم القيامة أن تعمه ويغفر له ما قد جنى فيطيل عنقه لينالها وما قررنا به معنى الغفران هو في حق مولانا عز وجل يدل عليه الحصر في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٣٥]، وأما تجاوز المحسن من الخلق على المسيء منهم فهو صفح وعفو لا غفران إذ لا ذنب إلاَّ لمخالفة أمر الله وسبب المغفرة غالباً يكون بالتوبة وتعقيب السيئة بالحسنة لأن الحسنات يذهبن السيئات.

ثم قال: «المعترف ببابك يا أرحم الراحمين» الاعتراف هو الإقرار أتى به تأكيداً وتقدم معنى أرحم الراحمين وما أبلغ دعاء الإمام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو: اللهم إن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغني ورحمتك وسعت كل شيء فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم إنك خلقت قوماً فأطاعوك فيما أمرتهم وعملوا في الذي خلقتهم له فرحمتك إياهم كانت قبل طاعتهم لك يا أرحم الراحمين. ثم قال: «الخاطىء ببابك يا رب العالمين» الخاطىء اسم فاعل من أخطأ إذا عرج عن الصواب إلى ضده الذي هو الخطأ وهو يقصر ويمد ويستعمل الخطأ في الذنب أيضاً، وقوله: يا رب العالمين تقدم

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٢١٠٩.

شرحه، ثم قال: «الظالم ببابك يا مآل الظالمين» المراد بالظالم هنا الظالم لنفسه والظلم وضع الشيء في غير محله وهو من شيم النفوس البشرية، ويستحيل في حقه تعالى لحديث: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي»(١) أي تعاليت عنه، فتصرفات الله عز وجل كلها في موضعها بلا حاكم يتعقبه ولا حق يترتب عليه خلافاً للمعتزلة قبحهم الله، والمراد بقوله: الظالم، كونه ظالماً لنفسه كما قال الحسن البصري رضي الله عنه: ظلمنا أنفسنا بالاشتغال بغير الله، وكأنه رأى نفسه أنه اشتغل بأحوال الدنيا وترك الإقبال على خالقها، وقال ابن عطاء الله: ظلمنا أنفسنا باشتغالنا بالجنة وطلبها من الله، وقوله: يا مآل الظالمين هكذا يوجد في بعض النسخ وفي بعضها لا يوجد، والظالمين جمع ظالم ومآل الظالمين ورجوعهم إلى الله في اليوم الموعود الذي لا يسأل فيه والد على مولود، والحكم لله الواحد القهار إن شاء الله تعالى ستر العيوب، وغفر الذنوب، وإن شاء عذّب لا حرج عليه في ذلك ولا منفعة له في طاعة الطائعين ولا مضرة عليه في معصية العاصين، ولكن هذه الأمة المحمدية ناجية إن شاء الله تعالى مغفور لها.

قال المواق في سنن المهتدين: كان سيدنا عمر بن الخطاب يتلو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: الآية ٣٢]، فلما فرغ من التلاوة قال: قال رسول الله ﷺ: «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له»(٢). هذا وإن السلف الصالح وأهل الحقيقة ومن وفقّه الله لا يركنون للبطالة اعتماداً على الحديث المذكور، لأن من ركن إليه ولم يتعب نفسه في مرضاة الله ومأموراته واجتناب منهاياته، فلا شك أنه مغرور، فقد قال السيد معروف الكرخي: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب والشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، والرجاء في رحمة من لا يطاع حمق وجهالة.

* * *

«تنبيه»: الظلم ظلمان، ظلم يتعلق بالإنسان في خاصة نفسه فيما بينه وبين الله وهو الذي عناه الشيخ هنا، وظلم يتعلق بالإنسان من أذايته للخليقة ومضرته إياها بالقتل والشتم والضرب وأخذ الأموال على وجه الغصب والحيلة والتخويف

---

(١) أخرجه مسلم في البر حديث ٥٥، وأحمد في المسند ٥/ ١٦٠.

(٢) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٢٩٢٥.

وغير ذلك من الاذايات وكلاهما صاحبه أمره مفوّض إلى ربه، والأول أقرب للنجاة من الثاني والحكم في تبرعات الثاني من صدقة وحبس وهبة وعتق والرد وعدم انعقادها مهما عثر عليها وأمكن الحكم فيها إذا كان جميع ما بيده منهوب من أموال الناس، لأنه والحالة هذه مستغرق الذمة ولا ثواب له في جميع التبرعات، وما يقال من أن له ثواب المناولة باطل، لأن المناولة يشترط فيها الإذن من رب المال، وهو لا إذن له في الأخذ ولا في التبرع هذا مشهور مذهب مالك والموافق لقواعده.

«واعلم» بأن إعانة الظالمين معصية ولو بشطر كلمة، وقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في بريّةٍ: هل يسقى شربة ماء؟ فقال: دعه حتى يموت، فإن ذلك إعانة له على ظلمه، وقال ﷺ: «من أعان ظالماً سلّطه الله عليه»[1] ومصداق معنى الحديث قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٢٩﴾ [الأنعَام: الآية ١٢٩] . وذكر الغزالي في الإحياء: أن بعض الناس أفتى بإسقاء الظالم الذي أشرف على الهلاك لكن يعرض عنه، ثم قال: «البائس الخاشع ببابك» البائس هو المضرور الذي نزل به الضرر وأقام عليه والخاشع هو الخاضع وكثيراً ما يقع الخشوع في الأصوات والخضوع في الأعناق، قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: الآية ١٠٨] والمراد هنا بالخاشع ما يشمل المعنيين والمعنى المضرور الذي قام به ضر التقصير في العبادة وخاشع خاضع واقف ببابك.

ثم قال: «ارحمني يا مولاي وسيدي» قوله: ارحمني هو فعل دعاء يقتضي طلب الرحمة التي هي الرفق والإحسان وإيصال الخير ودفع الشر، والمولى هو الناصر وهو اسم من أسماء الله مأخوذ من اسمه تعالى الولي، وله إطلاقات في الشرع، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝١١﴾ [محَمَّد: الآية ١١] ، ولما ارتجز أبو سفيان بن حرب يوم أُحد بقوله: إن لنا العزة ولا عزةِ لكم، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أجيبوه»، فقالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «قولوا لهم الله مولانا ولا مولى لكم»[2]. والسيد هو المالك لغيره الذي يفزع إليه عند الشدائد، والمعنى أنه طالب من الله أن يرحمه ويتولى أمره

---

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفاء ٢٣٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد باب ١٦٤، والمغازي باب ١٧، وأحمد في المسند ٤/ ٢٩٣.

بالنصر والإعانة على مطلبه، ثم قال: «إلٰهي أنت الغافر وأنا المسيء»، أي يا إلٰهي والمراد بالإلٰه واجب الوجود المعبود بحق الثابت الدائم، والإضافة فيه للتشريف، وتقدم أن غافراً من أسمائه تعالى وأن معناه الساتر للذنوب المتجاوز عن العقوبة والإساءة المضرة يريد أنه أضر نفسه بالتقصير في عبادة ربه، ومن شأنه أهل الحقيقة إذا أرادوا أن يطلبوا شيئاً من الله قدموا شيئاً يدل على نقصهم وإساءتهم ولذا قال الأستاذ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: ما سألت الله شيئاً إلا قدمت إساءتي بين يدي لأكون طالباً لفضله بفضله لا باستحقاق، وذلك لتحقق الغنى به عمن سواه لأنه كفيل بالإجابة، قال تاج الدين بن عطاء الله: إلٰهي إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنّة عليّ، وإن ظهرت المساوىء مني فبعدلك ولك الحجّة عليّ، وقد توكلت لي فكيف أضام وأنت النصير لي، ثم قال: «مولاي إلٰهي أنت الرب وأنا العبد» أي يا مولاي ويا إلٰهي أنت الرب والمالك والسيد القاهر القائم بالأمر المصلح المربي كل شيء إلى كماله، وأنا العبد لك في جميع الأحوال من فقرٍ وغنى وفقدٍ ووجد وغير ذلك. نقل في مجمع الأحباب عن كتاب الأمثال عن علي كرّم الله وجهه أنه ارتجل بكلمات قطع الأطماع عن اللحاق بواحدة منها من ذلك قوله في مناجاته: كفاني غداً أن تكون لي ربّاً، وكفاني فخراً أن أكون لك عبداً، أنت ربي كما أحب فوفقني لما تحب.

ولا يكون العبد عبداً لربه إلا بالانقطاع له والاستسلام إليه والتصرف بمراداته، فإذا تخلفت هذه الصفات سلب معنى العبودية ضرورة انتقاء الشيء بانتقاء ثمرته. قال بعضهم: يقال للعارف عبد الله بطريق إضافة التشريف، ولا يقال للعاصي المنهمك عبد الله وإنما يقال له عبد، ثم قال: «وهل يرحم العبد إلاّ الرب» أي المكمل كل شيء إلى تمامه وإنما سمي العبد عبداً لأنه مأخوذ من قولهم: طريق معبد أي مذلل، والعبد مسلك لمجاري القضاء والقدر، ويقال على أضرب: عبد بحكم الشرع وهو الإنسان الذي يصح بيعه وابتياعه وعبد بالإيجاد وذلك ليس إلاّ الله وإياه قصد في قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: الآية ٩٣] وعبد بالعبادة والخدمة وهو المقصود في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ [ص: الآية ٤١]، وعبد الدنيا وأعراضها وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها، وإياه قصد رسول الله ﷺ في قوله: «تعس عبد الدينار والدرهم»[١].

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد باب ٧٠، والرقاق باب ١٠، وابن ماجه في الزهد باب ٨.

«واعلم» بأن هل حرف استفهام لطلب التصديق الموجب لا غير وقد يراد بها النفي، وقد حملوا عليه قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سَبَأ: الآية ١٧] أي ما يجازي، والمعنيان صالحان هنا في عبارة الشيخ وكذا فيما يأتي بعد هذا فلا عود ولا إعادة؛ ثم قال رضي الله عنه: «مولاي إلٰهي أنت المالك وأنا المملوك» مالك اسم من أسمائه تعالى وبه قرىء قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٤] والمالك هو ذو القدرة على الإيجاد الغالب بحكمه على كل شيء، ومالك الله لكل شيء حقيقة، ومالك غيره مجاز لأن الإيجاد والإمداد له وهما نعمتان ما خلا موجود عنهما ولا بد لكل مكوَّن منهما ولا قدرة لأحد سواه على ذلك، ولذا كان الله مالكاً لكل شيءٍ وكل شيءٍ مملوك له لا إلٰه إلاَّ هو خالق كل شيء، ثم قال: «وهل يرحم المملوك إلا المالك» لأن رحمته من جملة الإمدادات الواصلة لسائر الموجودات العلوية والسفلية إذ كل ما سوى الله صنيعته ومملوك له بالإيجاد، ثم بالإمداد فهو محتاج إليه بالقهر والغلبة، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعرَاف: الآية ١٥٦]، (تنبيه): قوله تعالى: ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعرَاف: الآية ١٥٦] ليس على عمومه بل هو مقيد بقوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعرَاف: الآية ١٥٦] الآية، وبموجب هذا لا يدخل إبليس اللعين تحت العموم المذكور ومناظرته لعنه الله في هذه الآية مع سهل التستري(١) شهيرة في كتب القوم.

ثم قال: «مولاي مولاي إلٰهي أنت العزيز وأنا الذليل» الأسماء الأول الثلاثة كلها مناداة بحرف نداء محذوف وإنما كررها، والمسمى واحد لأجل التأكيد والتلذذ بالخطاب وإظهار شدة التجائه إلى ربه سبحانه، ويُحتمل أنه أراد بالاسم الأول الإشارة إلى الزمن الماضي، وبالثاني الإشارة إلى المستقبل، وبالثالث الإشارة إلى الحال بحسب الأزمنة المتوالية عليه كما قرره في مثل هذا، والإضافة

---

(١) سهل التستري: هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري، الصوفي، الزاهد، أحد أئمة الصوفية الكبار، ولد سنة ٢٠٠هـ، وتوفي سنة ٢٨٣هـ، من تصانيفه: «جوابات أهل اليقين»، «دقائق المحبين»، «زايرجه»، «الغاية لأهل النهاية»، «قصص الأنبياء»، «مواعظ العارفين». (انظر ترجمته في: كشف الظنون ٥/ ٤١٢، الأعلام للزركلي ٣/ ١٤٣، طبقات الصوفية ص ٢٠٦، وفيات الأعيان ١/ ٢١٨، حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩، طبقات الشعراني ١/ ٦٦، الرسالة القشيرية ص ١٥، كشف المحجوب ١٦٧، نفحات الأنس ٢١٣، الكواكب الدرية ١/ ٤٢٩).

فيه للتشريف، وهكذا يقال فيما بعده مما كررت فيه الأسماء فلا إعادة، وقوله: العزيز هو من أسمائه تعالى ومعناه الغالب على كل ذي سطوة بعظم الجلال المرتفع على لحوق الاكتناه لذاته، أو وصول الإدراك إلى حقائق صفاته، وقوله: الذليل أي المهان المقهور. قال بعض الفضلاء: على قدر تذلل العبد وترك مشيئته إلى مشيئة مولاه في جميع الأحوال يعظم الحظ من تلك العزة، ثم قال: «وهل يرحم الذليل إلاّ العزيز» الغالب بسطوته القوي على كل شيء، لأن الذليل لا قدرة له على رحمة نفسه وإنقاذها من ذلها فضلاً عن رحمة غيره وذل المخلوق للخالق من العبادة الموجبة للعز والارتفاع.

قال تاج الدين بن عطاء الله: تحقق بوصفك يمدك بوصفه وتلك ثمرة الإيمان. وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «المؤمن لا يذل نفسه» يريد لغير الله. هذا وإن العز في غير الله أمره نسبي يزيد وينقص وينعدم أصلاً بخلاف عز الله، فإنه أبدي ذاتي لا ينفك ولا يتبدل أزلاً وأبداً، ثم قال: «مولاي مولاي إلٰهي أنت القوي وأنا الضعيف» القوي اسم من أسمائه تعالى، ومعناه القادر كما في المواقف وغيرها، وقال الشيخ زروق: هو الذي لا يلحقه ضعف ذاتاً وصفة وفعلاً، وعن بعضهم أنه مأخوذ من القوة التي هي وسط ما بين حال باطن الحول وظاهر القوة، قال: لأن الذي يوجد أولاً في باطن قوله العمل من الإنسان القوي يسمى حولاً ثم يحس به في الأعضاء مثلاً يسمى قوة، وأما في حق الله فمعناه الغالب على معارضه ومخالف أمره. وفي اتصاف غيره تعالى به كما في المشاهد يدل على المدافعة بسبب من الأسباب والله قوي غالب على أمره لا يحتاج إلى معين ولا إلى سبب من الأسباب جل وعلا، وقوله: وأنا الضعيف أي الذي لا قوة له على المدافعة إلاّ بحول الله وقوته.

ثم قال: «وهل يرحم الضعيف إلا القوي» إذ الضعيف عاجزٌ لا قوة له بخلاف القوي الغالب على أمره بسطوته وقدرته وهو الله جل وعلا، ثم قال: «مولاي إلٰهي أنت الكريم وأنا اللئيم» الكريم اسم من أسمائه تعالى ولا أكرم من الله إذ هو المتفضل بالجود والإحسان على من طلبه ومن لم يطلبه، وعلى من آمن به أو كفر بالكرم صفة كمال في حق الله تعالى، ويعبر عنها بالفيض تسوق خزائن آلائه إلى المستحق وغير المستحق سواء طلب وانتفع أو لا، وفي حق غيره فطرة تحمل صاحبها على البذل في غير مقابلة شيء ومجازاة، وله مراتب ترجع إلى

صفاء تلك الملكة من كدراتها، ومن أوصاف الكريم إذا قدَّر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي كم أعطى، كما قيل:

إذا كان الحساب على كريم فما استوفى كريم قط حقه

ومن هذه المادة الكرامة وهي الخارق المقارن للصلاح من غير تحدٍ لأنها تكرم صاحبها، ومذهب أهل السنة رضي الله عنهم جواز الكرامة للولي خلافاً للمعتزلة فإنهم أنكروها ولا حجة لهم على ذلك، قال إمام الصوفية رحمه الله في لطائف المنن: لا خفاء أن ظهور الكرامة من الأولياء يكون من الممكنات، لأنه إن لم يكن منها فإما أن يكون من الواجبات وإما أن يكون من المستحيلات، فإن المستحيل هو الذي لو قدر وجوده لزم منه محال عقلي، ولا يلزم من تقدير وجود الكرامات محال عقلي وباطل، أو يكون جريان الكرامات على الأولياء وجوباً إذ الطائفة الصوفية مجمعة على أنه قد يكون الولي ولياً، وإن لم تخرق له العادة فتعين أن يكون من الجائزات ولا يحيله العقل وكل ما لا يحيله العقل ولم يرد بعدم وقوعه نقل فجائز أن يكرم الله به أولياءه والأدلة على إمكانها كثيرة، وكان بعض الرافضة امتحن الشيخ عبد القادر صاحب الحزب في ملأ من الخلق ليظهر عجزه عن الكرامة وإظهاراً لصحة معتقده فأتاه بقفتين مخيطتين مختومتين وقال له: أخبرنا بما في هاتين القفتين؟ فنزل من أعلا كرسيه وكان إذ ذاك على الكرسي يسمع الناس ويعظهم ووضع يده على إحداهما، وقال: في هذه صبي مقعد، وأمر ابنه عبد الرزاق بفتحها فإذا بها صبي مقعد فأمسك به وقال له: قم، فقام يعدو، ووضع يده على القفة الأخرى وقال: في هاته صبي لا عاهة به، وأمر ابنه بفتحها، فإذا بها صبي فقام يمشي بأمسك بناصيته، وقال له: اقعد، فقعد فلما رأوا ذلك منه تاب جميع الرافضة الحاضرون من اعتقادهم الفاسد ومات من المريدين في المجلس ثلاثة. نقل ذلك صاحب البهجة بسنده، واللئيم المراد به هنا ما قابل الكريم وهو العاجز عما اتصف به تعالى من صفات الكمال لا اللئيم بالمعنى المتعارف وهو البخيل الشحيح أو صاحب الفحش وغير ذلك من الأوصاف الذميمة، وإن كان ذلك من طبع الذوات البشرية إلاَّ من عصمه الله من ذلك خصوصاً الأنبياء والأولياء فإنهم مبرؤون من ذلك، قالوا: من علامات اللئيم إذا ساد ونفذت كلمته آذى أهل الفضل وحسدهم، واستهزأ بمن صار يأتي إلى أعتابه وتشمَّت فيه، وسرح لسانه فيه بما يوجب مضرته، وتعرض له في وصول رزقه، وجفا أقاربه، وأنكر معارفه، واستخف بأصحابه، ونسي ما أسدوا إليه من الفضل

وغير ذلك، ولقد رأيت في زماننا هذا كثيراً من الناس بهذه المثابة، نسأل الله أن يغنينا عن الخلق بمنّه وكرمه ويرزقنا من حيث لا يكون لهم علينا يد فهو قادر على ذلك.

روي عن المأمون العباسي[١] رحمه الله أنه قال: ثلاثة يضيع عندهم المعروف، اللئيم والشرير والأحمق، فأما اللئيم فإنه بمنزلة الأرض السبيخة، وأما الشرير فإنه يرى ما أسديت إليه مخافة شره، وأما الأحمق فإنه لا يدري مقدار ما صنعته إليه. ثم قال: «وهل يرحم اللئيم» العاجز عما اتصف به المولى من صفات الكمال «إلاَّ الكريم» المتفضل بالجود على الطالب وغيره يسوق خزائن آلائه إلى المستحق وغيره فسبحانه ما أكرمه. ثم قال: «مولاي مولاي إلٰهي أنت الرزاق وأنا المرزوق وهل يرحم المرزوق إلاَّ الرزاق» الرازق والرزاق كلاهما من أسمائه تعالى؛ قال ابن برجان[٢]: وسبيلهما سبيل اعتبار اسمه تعالى الخالق واسمه الخلاق فالمخلوقات مختزنة في الأرزاق والأرزاق مختزنة في خزائن السموات والأرض ومقاليد السماوات والأرض بيد الخالق الرزاق، ومعنى الاسمين: الممد كل كائن بما يحفظ به صورته ومادته فإمداد الأجسام بالأغذية، وإمداد العقول بالعلم، وإمداد القلب بالفهم، وإمداد الأرواح بالتجليات، والله خالق الأرزاق وموصلها إلى المرتزقين للتمتع بها، ثم إن الرزق رزقان ظاهر لظاهر وهو الأقوات للأبدان، وباطن لباطن وهو المعارف للقلوب والأسرار، وهو تعالى خالق الرزقين وموصلهما إلى كلا الفريقين ولكنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، هذا وإن الله يرزق الحلال والحرام كما هو مذهب أهل السنّة وذلك مشاهد بالأعيان خلافاً للمعتزلة، وجعل تعالى لكل شيء سبباً ظاهراً أو خفياً.

ومن الثاني ما حكاه الشيخ رحمه الله في شرح الأسماء، قال: سمعت سالكاً ومعه جماعة يرزقون من حيث لا تعرف لهم جهة معاش، فقصدته واجتمعت

---

(١) المأمون: هو عبد الله أبو العباس المأمون بن هارون الرشيد، ولد ببغداد سنة ١٧٠هـ، وتوفي بطوس سنة ٢١٨هـ، الخليفة العباسي، كان معتزلي المذهب وحارب كثيراً وحقق انتصارات عظيمة، وفي عهده ظهرت محنة القول بخلق القرآن. (انظر: تاريخ الطبري ١٠/ ٢٧٠، تاريخ المقريزي ٢/ ٤٩٢، الفخري ١٩٧، تاريخ بغداد ١٠/ ١٨٣، الكامل في التاريخ ٦/ ١٤٤، الأعلام ٤/ ١٤٢).

(٢) ابن برجان: تقدمت ترجمته.

معه مراراً وذكرت له ذلك فقال: إنه من دعاء شيخي ومن التوجه الصادق، غير إنه إذا ضاقت الحال نجتمع، وأظنه قال: في الثلث الأخير من الليل ونروي الاسمين الشريفين، وهما الفتاح والرزاق ثلاثة آلاف مرة وندعو الله بالتيسير وهذه هدية الفقراء من مشائخ أهل الطريقة أو قال: من السيد عبد القادر الجيلاني قدّس الله سره. ومن المعلوم الضروري أن المرزوق لا يرحمه ولا يرزقه إلا الرزاق الذي بيده خزائن الأرزاق المتكفل به لجميع المخلوقات على اختلاف أجناسها سبحانه وتعالى ما أعظم شأنه وأعزّ سلطانه، ثم قال: «مولاي مولاي إلٰهي أنا الضعيف أنا الذليل أنا الحقير وأنت العفو وأنت الغفار وأنت الحنَّان وأنت المنَّان وأنا المذنب وأنا الخائف». تقدم معنى الضعيف وأنه الذي لا قوة له إلاَّ بحول الله وقوته، والذليل المهان المحقور، والحقير هو المهان في قدره الذي لا يعبأ به، وهذه الألفاظ كلها دالة على التذلل والخضوع إعطاءً للنفس البشرية حقها فإن من عرف نفسه فقد عرف ربه وكل ذلك داعية للأدب وطريق إلى الرحمة، والعفو اسم من أسمائه تعالى ومعناه المتجاوز كثيراً عن المؤاخذة بالذنب إرشاداً وتربية لمن له لمعة نور من أنوار العناية. فالمصالح العامة والخاصة مترتبة على العفو من الله.

وقوله: وأنت الغفار، أي الساتر للعيوب المتجاوز عن العقوبة وهو اسم من أسمائه تعالى، وفي بعض النسخ زيادة: وأنت الغافر ومادتهما واحدة. وقوله: وأنت الحنَّان وأنت المنَّان هما أيضاً من أسمائه تعالى، فأما الحنَّان فمعناه في حق الله يرجع إلى معنى الرحمة والوداد والمحبة والعفو والمبالغة في ذلك ظاهرة من لفظه بخلاف حقيقته في حق المخلوق فإنها رقّة النفس والميل المفرط في الطبع، والحيلة سببه شوق تضعف القوة عن حمله، وهذا الوصف القائم بالعباد ما عند الله أتمّ منه وأكمل حناناً؛ فقد جاء في الحديث: «إن الله تعالى يقول للعبد إذا غلبته نفسه بالمعاودة للذنب مرة بعد المرة ويندم على ما كان منه فيستغفره ثم تغلبه فيعود، قال: فيقول له الحق في الثانية أو الرابعة: يا ويحه يا ويحه لا هو تارك للذنب ولا هو تاركي من الاستغفار عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك» فَعَذرهُ عز وجل لضعفه عن مقاومة ما يجده من عدوه الشيطان وعجزه عن الإتيان بما قد سطر له في أمّ الكتاب فهو بين هذا وهذا قد ضاقت حيله إلاَّ من استغفار ربه، وأما اسم المنَّان فهو مأخوذ من المن الذي هو الإحسان من غير طلب مثوبة ولذلك سمي ما كان أنزله الله على بني إسرائيل من السماء منَّاً لأنه أنزله عليهم من غير طلب ولا سبب لهم فيه ولا سعي، بل إنه محض منّة من الله وفضل، وقوله:

وأنا المذنب أي المستحق للعقوبة إذ الذنب يترتب على فعل يستحق فاعله العقوبة عليه كإتيان فعل ورد النهي عنه أو أنكره الشرع، وقد تقدم أن السلف الصالح وأهل الحقيقة يَعِدُّون من قصر في عمل مندوب أو ترك مكروه أو لم يعمر نفساً من أنفاسه بذكر الله عاصياً لقهرهم أنفسهم تحت مشاق العبادة، والذنب على الإطلاق ينقسم إلى أقسام أعظمها الشرك بالله، ثم الكفر بأنواعه، ثم المخالفة بما أمر بفعله جزماً أو نهى عنه قطعاً، ثم الصغائر. والشرك والكفر كلاهما محبط للحسنات بخلاف غيرها من السيئات، فإن السيئة تكتب سيئة وإن عمل حسنة تكتب عشراً وإن الحسنات يذهبن السيئات وقد جاء في الخبر: «من سرته حسنة وساءته سيئة فهو مؤمن»[1] لأن كلتيهما علامة، فالحسنة علامة على وجود مرضاة الله على العبد والسيئة علامة على سخطه عليه، فإن وفق الله العبد للصالحات سرّه ذلك لأنه علامة على رضا المولى عليه، وإن خذله فعمل بالمعاصي ساءه ذلك وأحزنه لأنه علامة على السخط، وغلب عليه الخوف، ولذا قال: «وأنا الخائف» والخوف توقع شيء فيه مضرّة عاجلة أو آجلة.

قال ابن أبي جمرة[2] رحمه الله: الخوف ينقسم إلى قسمين: خوف عوام المؤمنين وله حد محدود وكذا رجاؤهم ونهاية خوفهم من دخول النار، ثم هم يرجون ما وعدهم ربهم من جزيل العطاء والثواب، وخوف خواص المؤمنين لا حد له لأنهم يخافون عدله وعظمته ولذلك إذا طرق أحدهم طارق الخوف مات إذا لم يداركه الله برحمته، هذا وإن الخوف يكون مع كمال طاعة العبد لكونه لا يعرف صحة عمله ولا قبوله لخفاء ما يطرق الأعمال من الآفات والعبد إذا تفكّر في ذنبه وشدّة عقاب ربه رهب وخشي أن لا تقبل توبته، وفي بعض النسخ بعد قوله: وأنا الخائف، زيادة وأنا الضعيف، وعليها فهو تكرار أتى به للتأكيد، ثم قال: «إلٰهي أسألك الأمان الأمان في القبور وظلمتها وضيقها» أي يا إلٰهي أطلب منك السلامة من هول القبور. والأصل في الأمان أن يستعمل في سكون القلب، يقال: أمن زيد من كذا إذا سلم منه، ولفظ الأمان الثاني تأكيد وفيه إشارة إلى شدّة خوفه وكثرة التجائه إلى الله، والقبور جمع قبر وهو محل دفن الميت وضيق القبر لا يخفى بحسب الظاهر وكذا ظلمته بعد وضع اللحود وأعظم أحواله الشدة التي تقع

---

(١) أخرجه الترمذي في الفتن باب ٧، وأحمد في المسند ١/ ١٨، ٢٦، ٣/ ٤٤٦.

(٢) ابن أبي جمرة: تقدمت ترجمته.

للإنسان من ضغطته، ولكن الله بالمؤمنين رؤوف رحيم، فقد وردت أحاديث كثيرة أن المؤمنين يفسح لهم في قبورهم دون غيرهم، من ذلك ما نقله الحافظ السيوطي رحمه الله في كتاب شرح الصدور قال: أخرج البيهقي وابن أبي الدنيا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «القبر حفرة من حفر جهنم أو روضة من رياض الجنة»[١]. ولا يقال: كيف يكون ذلك مع أننا نشاهد القبر على حالته لأنّا نقول أمور أخرى محل خرق العوائد، وقد أخبر صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه بذلك فيجب علينا التصديق، والقبر أول منازل الآخرة، وقد قال الإمام الغزالي[٢] في الإحياء للتصديق: «بعذاب القبر ثلاث مقامات، الأول: أن ذلك أمر ملكوتي لا تصلح هذه العين لمشاهدته، فقد كان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ ولا يشاهده إلاَّ رسول الله ﷺ، وإن الحيَّات التي تلدغ في القبور ليست من جنس حيَّات عالمنا فهي تدرك بحاسة أخرى.

«الثاني» أن يتذكر أمر الله ثم يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه كل ذلك يدركه من نفسه وينادي به كما ينادي اليقظان وأنت ترى ظاهره ساكناً ولا ترى معه حية ولا غيرها، والحية موجودة معه، والعذاب حاصل له، لكن لا تشاهده أنت.

«الثالث» انظره في الإحياء إن أردت، ثم قال: والحق إن الكل في حيز الإمكان ومن أنكر ذلك فليضيق حوصلته، والتصديق بعذاب القبر واجب». والاشتغال بمعرفة هذا والوصول إلى كنه حقيقته من الفضول بل يشتغل الإنسان بما يدفع عنه العذاب وينجيه، ومثال هذا من حبسه السلطان ليقطع يده فأهمل طلب الحيلة من النجاة وصار طول ليله يتفكر: هل يكون القطع بالموس أو بالسكين. ولهذا قال في النصيحة الزروقية: إن أردت السلامة في اعتقادك فلا تتبع الشبه ولا تطلب الكيفيات في أمور الآخرة، وقال شارحه نقلاً عن الرسائل الكبرى: أن من التعدي طلب كيفية أحوال الآخرة إذ لا نص قطعي يعتمد عليه في كيفية ذلك، لأنه مهما رام أحد أن يبين ذلك بكيفية خاصة ظهر فيها التناقض والتعارض، ومن ذلك الخلاف الواقع في الخوض هل هو بعد الصراط أو قبله والحق أن جواب السائل عنه يقال له سترد عليه وتعلمه وهكذا يقال في جميع

---

(١) أخرجه الترمذي في القيامة باب ٢٦.

(٢) الإمام الغزالي: تقدمت ترجمته.

أحوال الآخرة التي لا نص قاطع فيها.

ثم قال: «مولاي مولاي يا إلهي أسألك الأمان عند سؤال منكر ونكير وهيئتهما» سؤال الملكين في القبر ثابت في الشرع يجب الإيمان به. واختلف في اسميهما المشهور منكر ونكير كما هنا، وقيل: إن هذين الاسمين اسم للملكين اللذين يسألان الكافر وأما اللذان يسألان المؤمن فاسمهما مبشر وبشير، وسؤال القبر لا يتخطى أحداً. واختلف في سؤال أطفال المؤمنين على قولين، الصواب كما قال الحافظ السيوطي: أنهم لا يسألون، ونصوص الاستدلال على ثبوت السؤال كثيرة من الحديث وها أنا أذكر منها حديثاً واحداً جامعاً فوائده: روى الحافظ السيوطي في كتاب شرح الصدور عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «شهد رسول الله ﷺ جنازة رجل من الأنصار فانتهى إلى القبر ولم يلحد الميت، فجلس وجلس الناس كأنه على رؤوسهم الطير وضرب رسول الله ﷺ بصره الأرض ينكت بمخصرة معه ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: أعوذ بالله من عذاب القبر، ثلاث مرات، ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وإدبار من الدنيا أتاه ملك الموت فجلس عند رأسه ويُهبطُ الله ملائكة معهم تحفة من تحف الجنة وحنوط من حنوط الجنة وكسوتها فيجلسون منه مد البصر سامطين فيبدأ ملك الموت فيبشره ثم تبشّره الملائكة فتسيل نفسه كما تسيل القطرة من في السقاء فرحاً بما بشّره ملك الموت، حتى إذا أخذ نفسه لم تدعها الملائكة طرفة عين حتى يأخذوها ويحتضنوها إليهم بتلك التحف التي هبطوا بها، فإذا ريحها قد ملأ ما بين السماء والأرض فتقول الملائكة: ما أطيب تلك الرائحة، فتقول الملائكة: هذه الرائحة نفس فلان المؤمن قبض. فإذا انتهوا به إلى السماء، فُتحت أبواب السماء لها فليس من باب إلاً وهو مشتاق إلى أن يدخل منه حتى إذا دخلوا بها من باب عمله بكى عليه الباب فلا يمرون على أهل سماء إلا قالوا: مرحباً بهذه النفس الطيبة التي قبلت وصية ربّها، حتى انتهوا إلى سدرة المنتهى فيقول ملك الموت والملائكة الذين هبطوا إليها: يا رب قبضنا روح فلان ابن فلان المؤمن، وهو أعلم منهم بذلك، فيقول الله: ردوه إلى الأرض فإني أعلم، منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارةً أخرى، فإنه يسمع خفق نعالهم ونفض أيديهم إذا وليتم عنه مدبرين فتأتيه أملاك ثلاثة ملكان من ملائكة الرحمة وملك من ملائكة العذاب وقد اكتنفه عمله الصالح والصلاة عند رجليه والصيام عند رأسه والزكاة عن يمينه والصدقة عن يساره والبر وحسن الخلق على

صدره، فكلما أتاه ملك العذاب من ناحية ذبّ عنه عمله الصالح، فيقوم بمزربة لو اجتمع أهل منى لم يقلوها فيقول: أيها العبد الصالح لولا ما اكتنفك من الصلاة والصوم والزكاة والصدقة لضربتك بهذه المرزبة ضربة يشتعل قبرك ناراً هو لكما وأنتما له، ثم يصعد ملك العذاب فيقول أحدهما لصاحبه: ارفق بوليّ الله فإنه نجا من هولٍ شديد فيقول: من ربك؟ فيقول: الله، فيقول: ما دينك؟ قال: ديني الإسلام، فيقول: من نبيك؟ قال: محمد، فيقولان: وما يدريك؟ قال: قرأت كتاب الله عز وجل فآمنت به وصدقت وينتهرانه عندها وهي أشد فتنة تعرض على المؤمن فينادي من السماء صدق عبدي، فأفرشوا له من فرش الجنة واكسوه من كسوتها وطيبوه من طيبها وافسحوا في قبره مد البصر وافتحوا له باباً من أبواب الجنة عند رأسه وباباً عن رجليه، ثم يقولان: نم نومة العروس في حجبتها لم يذق عذاب القبر، فيقول: رب أقم الساعة لكي أرجع إلى أهلي ومالي وما أعددت لي، فيبعث من قبره يوم القيامة مبيض الوجه».

فقوله في الحديث: بمخصرة المراد بها العصا التي يعتمد عليها وطولها من الأرض إلى خاصرة الإنسان ويجعلها بيده تحت خاصرته وقد ورد في حديث: (المخصرون يأتون يوم القيامة وعلى وجوههم النور) أي الذين يجعلون بأيديهم العصا المذكورة لكثرة تعبهم في العبادة والطاعة، وقوله: ونفض أيديهم أي من تراب الدفن، وقوله: بمزربة هي بكسر الميم في الأصل اسم لدقة يدق بها السبول، وقوله: لكي ارجع الخ، يعني بالرجوع إلى الجنة، وأرى أهلي وثمرة ما تصدّقت به من المال وما أعدّ الله له من الثواب على فعله في الدنيا، وقول الشيخ رضي الله عنه وهيئتهما يريد بذلك حالتهما الظاهرة، وفي بعض النسخ وهيبتهما بالباء مكان الهمزة وعليها، فالمراد بها عظمتها وعلى كل فصورتهما هائلة عليهما السلام.

حكي أن عيسى عليه السلام مر بمقبرة فرأى امرأة تبكي وتقول: يا ساكن القبر والتراب ما فعل القبر بالشباب سكنت قبراً بلا أنيس وضيق لحد بغير باب ما لك لا تجبني، فقال لها عيسى عليه السلام: من هذا منك؟ قالت: قال: تريدين أن أحييه بإذن الله فقالت: يا ليته فدعا عيسى عليه السلام فقام الغلام ينفض التراب من جسده وقد اصفر لونه وذاب جسمه وابيض شعره، فلمّا رأته المرأة أنكرته وقالت: ولدي شاب وليس هو، فقال الولد: بل أنا ولدك، فقالت له: ما

الذي غيّرك؟ فقال لها: هول منكر ونكير... من منهاج العاشقين وقد جاء في الحديث ما يدل على عِظَم هيئتهما. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف بك يا عمر إذا انتهى بك إلى الأرض فحفر لك ثلاثة أذرع وشبر في ذراع وشبر، ثم أتاك منكر ونكير أسودان يجران شعرهما كأن أصواتهما الرعد القاصف، وكأن أعينهما البرق الخاطف يحفران الأرض بأنيابهما فأجلساك يا عمر فتلتلاك وتهلاك قال سيدنا عمر يا رسول الله وأنا يومئذ على ما أنا عليه، قال: نعم، قال: أكفيهما بإذن الله تعالى يا رسول الله»، وقوله في الحديث: فتلتلاك: أي فحركاك إذ التلتلة التحريك والاضطراب، وقوله: وتهلاك: أي أوقعاك في الغلط، وقيل: معناه التقريع أي قرّعاك، وقوله: على ما أنا عليه يعني من العقل. قال حجة الإسلام الغزالي في الإحياء: فيه دليل على أن العقل لا يتغير بالموت، يعني ولو زال محله وهو القلب فالحمد لله على ذلك. قلت: وفيه دليل أيضاً على مقدار طول القبر وعرضه وصورة السؤال في الحديث الأول تقتضي أن السؤال واقع من الملكين باللسان العربي كما هو صريح فيه مع أن الحافظ السيوطي رحمه الله قال في منظومته:

ومن غريب ما ترى العينان أن سؤال القبر بالسرياني

وقد قال في شرح الصدور وقع في فتاوى شيخ الإسلام علم الدين البلقيني[1]: أن الميت يجيب السؤال بالسرياني؛ قال السيوطي: ولم أقف على نص يقتضيه ولذا جعله في منظومته من الغريب، وسئل عن ذلك ابن حجر فقال ظاهر الحديث أنه باللسان العربي ويحتمل مع ذلك أن يكون خطاب كل أحد بلسانه. ويوافق فتوى علم الدين البلقيني ما نقله صاحب الإبريز عن شيخه عبد العزيز أنه يكون بالسرياني وعلله بأن السريانية لغة الملائكة والأرواح ومن جملة الملائكة ملائكة السؤال وفي الحقيقة أن الميت إنما تجيب روحه والروح تتكلم بالسريانية كسائر الأرواح، لأنه زال عنها حجاب الذات وصورة السؤال على ما قال (موازهوا)، وصورة الجواب (مرادزيرهوا) ومعنى كل حرف من السؤال والجواب يدل على كلام تام الموجب في تلك اللغة وبيَّنه هناك عن تفسير شيخه وأطال فيه، يراجع في محله. وإنما كانت الأرواح تتكلم بالسريانية لأنها لغة أهل الجنة، قال في الإبريز: لما نزل أبونا آدم إلى الأرض كان يتكلم بها مع زوجته

(١) علم الدين البلقيني: تقدمت ترجمته.

وأولاده لقربهم بالعهد إلى زمن سيدنا إدريس على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فدخلها التبديل والتغيير، وأما حديث (أحب العرب لثلاث، فإني عربي وكلام أهل الجنة عربي، والقرآن عربي)[١]، فقد أنكروه، قال العقيلي: لا أصل له، وعدّه ابن الجوزي في الموضوعات.

ثم قال: «إلٰهي أسألك الأمان الأمان عند وحشة القبر وشدّته» الوحشة الغم، والمراد بالشدة الألم الحاصل للميت من ضغطة القبر وما يحصل له من الانفراد وهذه الحالة لا تتخطى إنساناً كبيراً كان أو صغيراً، قال الجلال السيوطي في شرح الصدور: أن رسول الله ﷺ قال: «القبر أول منازل الآخرة فإن نجى منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»[٢]. وقال ﷺ: «ما رأيت منظراً فظيعاً إلاَّ والقبر أفظع منه»[٣]، ولذا ناجى الشيخ ربه وطلب السلام من وحشته وشدّته.

ثم قال: «إلٰهي أسألك الأمان الأمان في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» هذا اليوم هو يوم القيامة وله أحوال كثيرة مهولة مخوفة وكل حالة بانفرادها أمرها عظيم وخطرها جسيم، ولعظمها ذكرت كل حالة بانفرادها وأضيف لها لفظ يوم كأنه يوم مستقل بالانفراد مع أنها حالة وصفة من صفاته، والقرآن نزل بذلك على حسب ما اقتضاه سبب التنزيل وفي ذلك من التهديد والتقريع ما لا يخفى، ومن حالات يوم القيامة أن طوله خمسون ألف سنة، وجميع أحواله منها ما هو في النفخة الأولى ومنها ما هو في النفخة الثانية هذه الآية التي ذكر بعضها الشيخ رضي الله عنه سيقت بياناً للمعارج والمصاعد التي تصعد فيها الملائكة بالأوامر والنواهي وكون هذا اليوم مقدار خمسين ألف سنة، أي مما يعدّه الناس وذلك منهاج التمثيل والمعنى أن المعارج التي تصعدها الملائكة بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف سنة لو فرض ذلك واستطالة هذا اليوم أما أنه كذلك في الحقيقة، أو لشدته على الكفار، أو لكثرة ما فيه من الحالات، وأياً ما كان فهو في حق الكافرين، وأما في المؤمنين فلا لما رواه أبو سعيد الخدري[٤] رضي الله عنه أنه قيل لرسول الله ﷺ: ما أطول هذا اليوم؟ فقال عليه

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٨٧، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٣٩٢٢.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٦٣.

(٣) أخرجه الترمذي في الزهد باب ٥، وابن ماجه في الزهد باب ٣٢، وأحمد في المسند ١/ ٦٤.

(٤) أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته.

الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى أنه يكون أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا»[(١)].

والسنة هي الحول وتكون محذوفة اللام وفيها لغتان إحداهما جعل اللام هاء ويبني عليها تصاريف الكلمة والأصل سنهة وتجمع على سنهات مثل سجدة وسجدات، وتصغر على سنيهة. وثانيتهما: جعلها واواً فيبني عليها تصاريف الكلمة أيضاً والأصل سنوة وتجمع على سنوات مثل شهوة وشهوات وتصغر على سنية، قاله في المصباح.

«واعلم» أن هذا اليوم سمي بالساعة، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [الأعرَاف: الآية ١٨٧]، وورد في الحديث أن جبرائيل سأل عن الساعة فقال له ﷺ: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، فقال: أخبرني عن أمارتها، قال: «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان»[(٢)]. قال الحطاب[(٣)]: وأكثر العلماء أن المراد بقوله: تلد الأمة ربتها كناية عن كثرة السريات ومعلوم إذا ولدت السرية يكون ولدها سيداً لها كأبيه، وقيل: إنه كناية عن كون الأرقاء يلدون الملوك فتكون أم الملك من جملة رعاياه، وقيل غير ذلك، وقوله: وأن ترى الحفاة أي ما لا نعل له، العراة من الثياب، العالة الفقراء رعاء الشاة، وفي رواية رعاء البهم، وفي أخرى رعاء الإبل يتطاولون في البنيان أي يتفاخرون بطول البناء وكثرته، ومعناه كما قال اللقاني[(٤)] شارح الأربعين: أن أهل البادية وأشباههم تبسط لهم الدنيا ويصيرون أهل ثروة وشوكة فيملكون البلاد ويستطنوها فيبنون القصور المرتفعة ويتباهون بها، فهو إشارة إلى كون الأسافل يصيرون ملوكاً أو كالملوك، ويتولى الرئاسة من لا يستحقها، وتعطى السياسة من لا يحسنها، وذكر ﷺ هاتين الإمارتين تحذيراً للحاضرين وإلاَّ فالإمارات كثيرة منها ما هو مذكور في الحزب من الآيات ومنها غير ذلك، يراجع في مظانه.

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٣٩٠٠٣.

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان باب ٣٧، وتفسير سورة ٣١، باب ٢، ومسلم في الإيمان حديث ١، ٥، ٧، وأبو داود في السنة باب ١٦، والترمذي في الإيمان باب ٤، والنسائي في الإيمان باب ٥، ٦، وابن ماجه في المقدمة باب ٩، والفتن باب ٢٥، وأحمد في المسند ٢/٤٢٦.

(٣) الحطاب: تقدمت ترجمته.

(٤) اللقاني: تقدمت ترجمته.

ثم قال: «إلٰهي أسألك الأمان الأمان ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ [طه: الآية ١٠٢]، ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٨]، الصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام. روي عن أبي هريرة[١] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أول ما خلق الله تعالى من خلق السماوات الصور فأعطاه إسرافيل عليه السلام فهو واضعه على فِيهِ شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر»، قال: قلت: يا رسول الله ما الصور؟ قال: «القرن»، قلت: كيف هو؟ قال: «عظيم، والذي نفسي بيده إن عظم دارته كعرض السماوات والأرض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها في الحياة أحد»[٢]. وذلك قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٨] الآية، وهذه النفخة هي الأولى. وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النَّمل: الآية ٨٧] أي عدم إصعاقه وفزعه، وفي بعض النسخ: ففزع من في السماوات الآية، وعليها فالنفخة هي النفخة الثانية والفزع هو الخوف الحاصل للإنسان إذ ذاك بسبب ما يعتريه عند البعث ولا نشور بمشاهدة الأهوال الخارقة للعادة في الأنفس، ولذا سأل الشيخ الأمان والسلامة من هذا اليوم أعني يوم القيامة تقبلنا الله فيه بالعافية والغفران، والصعق الموت أو الغشيان، قال في الصحاح: صعق صعقاً مات وصعق غشي عليه لصوت سمعه.

وكيفية النفخ ذكرها حجة الإسلام الغزالي في الإحياء على أسرار بينها هناك إلى أن قال: «وإذا أراد الله قيام الساعة ووقع النفخ فإذا الجبال تسير مثل السحاب والبحار يفجر بعضها في بعض، وإذا الشمس تكورت وعادت سوداء مزبدة، وسجرت البحار حتى امتلأ عالم الهواء ماء ودخل العالم بعضه في بعض، وانتشرت النجوم كالسلك إذا انتشر من نظمه، وعادت السماء كدهن الورد تدور كدور الرحى، والأرض قد زلزلت، ويأمر الله بخلع الأفلاك فلا يبقى في الأرضين ولا في السماوات حي كائن إلاّ ذهبت نفسه وإن كان روحانياً ذهبت روحه، وقد خلت الأرض من عمارها والسماء من سكانها على ضروب الموجودين.

ثم قال: «إلٰهي أسألك الأمان الأمان ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزّلزَلة: ١]

---

(١) أبو هريرة: تقدمت ترجمته.

(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ، وفي الحديث: سئل رسول الله ﷺ عن الصور، فقال: «قرن ينفخ فيه، فإذا أمر إسرافيل بالنفخ ونفخ عندها تزلزل الأرض وتذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد». أخرجه الترمذي في القيامة باب ٨، وتفسير سورة ٣٩، باب ٨، والدارمي في الرقاق باب ٧٩، وأحمد في المسند ٢/ ١٦٢، ١٩٢.

أي حركت تحريكاً عنيفاً متكرراً متداركاً بزلزالها المخصوص بها على مقتضى الإرادة والحكمة البالغة، وهو زلزال شديد لا غاية وراءه ويكون عند النفخة الثانية لقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة: الآية ٢] أي ما في جوفها من الأموات والدفائن وهذا الزلزال لا أعظم منه ولا نسبة بينه وبين الزلزال المعهود، قال في الإبريز: كان الزلزال كثيراً في أول خلق الأرض وقبل خلق الجبال وكانت الأرض تضطرب وتميد والسبب فيه تجلي الحق سبحانه، ثم حجبها عن ذلك وخلق الجبال فيها فسكنت قال: وفي آخر الزمان يكثر هذا التجلي فلا تزال تكثر فيه الزلازل والرجفات حتى يبيد من عليها. ثم قال: «إلٰهي أسألك الأمان الأمان ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٤] تطوى بالتاء والبناء للمفعول هو إحدى قراءات ثلاث، والثانية بالياء والبناء للمفعول أيضاً، والثالثة بالنون بدل التاء، والياء ومعنى الطي لغة ضد النشر وقيل هو المحو، والسجل الصحيفة أي طيّاً كطيّ السجل، واللام في الكتاب متعلقة بمحذوف حال، قال البخاري[١] في صحيحه: السجل الصحيفة، ونقل صاحب الإبريز عن الطبري[٢] قال: معناه كطيّ السجل على ما فيه من الكتابة. ونقل عن شيخه سيدي عبد

---

(١) البخاري: هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي، الإمام الحافظ، أبو عبد الله البخاري، ولد سنة ١٩٤هـ، وتوفي سنة ٢٥٦هـ، من تصانيفه: «الأدب المفرد» في الحديث، «أسماء الصحابة»، «الأسماء والكنى»، «بر الوالدين»، «التاريخ الصغير»، «التاريخ الكبير»، «تفسير القرآن»، «ثلاثيات في الحديث»، «الجامع الصحيح»، «الجامع الصغير»، «الجامع الكبير»، «خلق أفعال العباد»، «العوالي في الحديث»، «كتاب الأشربة»، «كتاب الرقاق»، «كتاب السنن» في الفقه، «كتاب الضعفاء»، «كتاب الفوائد»، «كتاب القراءة خلف الإمام»، «كتاب الوجدان»، «كتاب الهيئة»، «المبسوط في الحديث» وغير ذلك. (كشف الظنون ٦/ ١٦).

(٢) الطبري: هو محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير أبو جعفر الطبري، البغدادي المولد والوفاة، ولد سنة ٢٢٤هـ، وتوفي سنة ٣١٠هـ. صاحب التاريخ المشهور، والتفسير المشهور «جامع البيان»، له من المصنفات: «الآداب الحميدة والأخلاق النفيسة»، «اختلاف الفقهاء»، «تاريخ الرجال»، «تاريخ الأمم والملوك وأخبارهم ومولد الرسل وأنباؤهم»، «جامع البيان في تفسير القرآن»، «تهذيب الآثار»، «كتاب البسيط في اللغة»، «الجامع في القراءات»، «كتاب التبصير» في الأصول، «كتاب الحفيف في الفقه»، «كتاب الزكاة»، «كتاب الشذور»، «كتاب الشروط»، «كتاب الصلاة»، «كتاب الطهارة»، «كتاب العدد والتنزيل»، «كتاب الفضائل»، «كتاب القراءة»، «كتاب المحاضر والسجلات»، «كتاب المسترشد»، «كتاب الوصايا» وغيرها. (كشف الظنون ٦/ ٢٦ـ ٢٧).

العزيز: أن السجل الآلة التي يضع عليها الناسخ الكتاب الذي ينسخ منه، قال: وأظنه قال لي: إنها لفظة سريانية والأقاويل في معناه كثيرة، ثم قال: «إلٰهي أسألك الأمان الأمان ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: الآية ٢٥] أي تفتح بالغمام، وأصله تتشقق حذفت منه إحدى التاءين، والباء في بالغمام سببية أي بسبب طلوع الغمام منها، وهو سحاب دقيق أبيض مثل الضبابة ويقع خلال هذا الغمام نزول الملائكة بصحائف الأعمال ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: الآية ٢٦] لا ملك فيه لأحد بل السلطنة القاهرة والاستيلاء العام ظاهراً وباطناً على الدوام له تعالى، ثم قال: «إلٰهي أسألك الأمان الأمان ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: الآية ٤٨]»، التبديل ينقسم إلى قسمين، إما في الذوات وإما في الصفات، فالأول كما في قوله تعالى: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النِّساء: الآية ٥٦] والثاني كما في قولك: بدلت الحلقة خاتماً إذا غيّرت شكلها، ومنه قوله تعالى: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: الآية ٧٠] على بعض الأقوال، والآية الكريمة ليست بنص في أحد القسمين فهي تحتملهما، وعن علي رضي الله عنه في تفسير تبديلها أنها تبدل أرضاً من فضة، وسماوات من ذهب، وهو يرشد على أن التبديل في ذاتها. وعن ابن مسعود(١) رضي الله عنه: هي تلك الأرض وإنما تغير صفاتها وأنشد:

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ... وما الدار بالدار التي كنت تعلم

قال أبو السعود قدس الله سره: ويدل على ما قال ابن مسعود ما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «تبدل الأرض تبسط وتمدُّ مدَّ الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، وحينئذ تبرز الخلائق من أجداثهم التي في بطون الأرض»(٢) أو المراد بالبروز ظهورهم بأعمالهم التي كانوا عليها سراً ويزعمون أنها لا تظهر، ولعل البروز نسب إليهم مع أنه لأعمالهم للإيذان بتشكلهم بأشكال تناسبها، وبروزهم لله الواحد القهار للحساب والجزاء والحكم إذا كان لواحد لا يغالب ولا يظاهر كان في غاية ما يكون من الشدة، ولذا سأل الشيخ الأمان من ذلك وفي بعض النسخ مكان قوله السماوات الخ، ويبقى الله الواحد القهار، ثم قال: «إلٰهي أسألك الأمان الأمان ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ

---

(١) ابن مسعود: هو عبد الله بن مسعود، تقدمت ترجمته.

(٢) أخرجه بنحوه ابن ماجه في الفتن باب ٣٣، وأحمد في المسند ١/ ٣٧٥.

وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النَبَإ: الآية ٤٠] أي ينظر المرء ويشاهد ما قدّمه من خير أو شر ويتمنى حينئذ الكافر أن يكون تراباً في الدنيا ولم يخلق ولم يكلف ولم يبعث لعظم ما يشاهد في هذا اليوم من الأهوال واستحقاق العذاب كما قال تعالى: ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس: الآية ٧٠] ولعظم تلك الأهوال سئلت السلامة في هذا اليوم، ثم قال: «إلٰهي أسألك الأمان الأمان ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآيتان ٨٨، ٨٩] . قال أبو السعود في قوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ﴾ [الأنعَام: الآية ١٥٨] الخ. . . هو بدل من قوله تعالى: ﴿يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحِجر: الآية ٣٦] جيء به لتأكيد التهويل، لأن يوم البعث والحشر والنشر أمره مهول فأبدل منه يوم لا ينفع مال تمهيداً لما يعقبه من الاستثناء وفاعل النفع هنا عام، ومنه المال وهو لا ينفع وإن صرف في الدنيا في أحوال البر، وكذا البنون لا ينفعون وإن كانوا صالحين متأهلين للشفاعة، بل ولا ينفع شيء في هذا اليوم حتى أن الرسل عليهم الصلاة والسلام كل منهم يقول: نفسي نفسي، ولا يتصدى للشفاعة إلا سيد الخلق بعد الإذن، وقوله: إلاَّ من أتى الله بقلب سليم أي من مرض الكفر والنفاق ولم تكن عليه تباعة، فإنه من الناجين بعد مشاهدة تلك الأهوال يوم القيامة، وإن من أهوالها ما حكاه حجة الإسلام الغزالي: أن جهنم تنفلت من يد الزبانية والحال أن بينها وبين الخلق مسيرة ألف سنة ولها صلصلة وتصعيق، فيقال: ما هذا؟ فيقال: جهنم انفلتت من أيدي سائقيها، فتجثوا الخلائق على الركب حتى الأنبياء والمرسلون ويتعلق إبراهيم وموسى وعيسى بلواء محمد ﷺ كل منهم يقول: نفسي نفسي يا رب لا أسألك غيرها ومحمد ﷺ يقول: يا رب يا رب أمتي أمتي سلم سلم وليس في الموقف من تحمله ركبتاه سواه، وهو قوله: وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجَاثيَة: الآية ٢٨] ، قال بعضهم: وانفلات جهنم هو الموضع الثاني من مواضع الفزع الأكبر، ثم قال: «إلٰهي أسألك الأمان الأمان يوم ينادي المنادي من بطن العرش أين العاصون وأين المذنبون وأين الخاسرون هلموا إلى الحساب» هذه حالة أيضاً من أحوال القيامة.

«واعلم» بأن العرش هنا المراد به الجسم المحيط بسائر الأجسام سمي عرشاً لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك، لأن الأمور والتدابير تنزل منه، وقيل الملك. وأما بطن العرش فهو عند القوم مشتمل على عوالم بها ملائكة الرحمان وهم المأمورون بمنادات الخليقة للحساب وهو مأخوذ من بطن الشيء يبطن إذا

خفي ومنه سمي البطن بطناً، وما من موجود إلاَّ له ظاهر وباطن إلا الله عز وجل فهو الأول والآخر والظاهر والباطن ليس شيء سواه هكذا فالدنيا باطنها الآخرة والعمل باطنه الثواب والعقاب إلى غير ذلك، فمهما ظهر أحد الزوجين بطن الآخر، وإذا بطن هذا ظهر هذا وليس كذلك الله عز وجل، قال ابن برجان رحمه الله: وقد يعبر بالباطن عن المخفي في العيان. وبمقتضى ما قال يصح أن يكون المراد ببطن العرش مكاناً مخفياً عن العيان وبه ملائكة الرحمان الذين ينادون الناس للحساب، وفي الحقيقة أن العرش باطنه وظاهره لا يعلمه إلا من وفقّه الله وأهله لرؤيته، ولذا قال الشيخ لطف الله به في شرح الأسماء: ظاهر الكون مفهوم لا يعتبر وباطنه حقيقة ناطقة لأهل العبر، والظاهر واحد والباطن بطون وحقائق تحير الفكر، فعقل العوام لا يتعدى الظاهر، وفهم الخواص يغوص في بحور البطون ويجوز من جواهرها ما يسعه القضاء والقدر، وحط الظواهر العبارات، وحط البواطن الإشارات، ولا يبلغ درجة العقلاء من لم يبلغ شيئاً منها. وقد فصل الشيخ محيي الدين في الفتوحات(١) تفصيلاً يحسن ذكره هنا حيث قال: العرش في لسان العرب يطلق ويراد به الملك ويراد به السرير فعلى الأول حملة العرش هم القائمون به وعلى الثاني حملته ما يقوم عليه من القوائم أو من يحمل على هياكلهم، وقد جعل الرسول حملته في مدة بقاء الدنيا أربعة وفي القيامة ثمانية وتلا قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحَاقَّة: الآية ١٧] يعني يوم القيامة.

قال رحمه الله ونفعنا به: روينا عن ابن ميسرة الجبلي(٢) من أكبر أهل الطريق علماً وحالاً وكشفاً، العرش المحمول هو الملك، وأطال رحمه الله في مبادىء أول المخلوقات من نور ولوح وقلم وملائكة وما أمر القلم بكتبه وما أودع في اللوح من جميع ما يكون إلى يوم القيامة، وأن الله أفاض على ذلك النور إفاضة ذاته فظهر الجسم المعبر عنه بالعرش فاستوى عليه الاسم الرحماني بالاسم الظاهر، فذاك أول ما ظهر من عالم الخلق ثم خلق من ذلك النور الملائكة الحافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم، ثم أوجد الكرسي في جوف

---

(١) الشيخ محيي الدين: هو ابن عربي، تقدمت ترجمته، والفتوحات هو كتاب «الفتوحات المكية».

(٢) ابن ميسرة الجبلي: كذا بالأصل، ولم أجد له ترجمة في المصادر والمراجع التي بين يدي.

العرش وجعل فيه ملائكة من جنس طبيعته ثم خلق في جوف الكرسي الأفلاك فلكاً في جوف فلك وفي كل فلك عالم يعمرونه سمّاهم ملائكة وزينهم بالكواكب وأوحى في كل سماء أمرها. كلامه باختصار ثم على القول بأن العرش سرير وأنه يحمله أربعة قال الشيخ محيي الدين بن عربي أحد الأربعة على صورة إنسان، والثاني على صورة أسد، والثالث على صورة نسر، والرابع على صورة ثور وهو الذي رآه السامري فتخيل أنه إلٰه موسى فصنع لقومه العجل وقال: هذا إلٰهكم وإلٰه موسى. وأما في قوله: أين العاصون وأين المذنبون الخ. . . أداة استفهام يسأل بها عن المكان كما هنا ويسأل بها عن المرتبة أيضاً كما قال الزمخشري[1]، والاستفهام هنا تقريري وفيه من التهويل ما لا يخفى ولأجله وقع الاستفهام وإلاَّ فربك عالم بهم ومحيط. والعاصون جمع عاص وهو كل من خالف أمر الله ونهيه وإنما جمع بالواو والنون لأنه صفة للعقلاء، والمذنبون جمع مذنب وهو الآثم المتحمل للأوزار بسبب المخافة، والخاسرون هم الذين خسرت أعمالهم ولم يربحوا زاداً يبلغ مأمناً، لأن درجات الجنة تتفاوت بكثرة الأعمال الصالحة وقلتها وقبولها وعدمها، فمن ردت أعماله لعدم الإخلاص أو غيره أو لا عمل له أو قليل العمل فهو خاسر في ذلك. وقوله: هلموا للحساب أي أقبلوا لأجله على ما كنتم تعملون في الدنيا، هذا وإن الخلق متفاوتون في الحساب والسرعة والطول على مراد الله ولكن الله بالمؤمنين رؤوف رحيم ومن فضل الله عليهم ما حكاه حجة الإسلام الغزالي رحمه الله: أنه يؤتى برجل يوم القيامة فما يجد حسنة يرجح بها ميزانه فيقول الله له: اذهب في الناس التمس من يعطيك حسنة أدخلك بها الجنة فيجوس خلال العالمين فلا يجد من يعطيه ذلك، وكل من يسأله يقول له: أخاف أن يخف ميزاني فأنا أحوج منك إليها حتى ييأس فيقول له رجل: ما تريد؟ فيقول: حسنة واحدة ولقد مررت بقوم لهم ألوف منها فبخلوا عليّ، فيقول له الرجل: لقد

---

(١) الزمخشري: هو العلامة جار الله، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد بن عمر، الأديب النحوي اللغوي الفقيه الشافعي الشهير بالزمخشري، ولد سنة ٤١٧هـ، وتوفي بجرجانية خوارزم سنة ٥٣٨هـ، من تصانيفه: «أساس البلاغة»، «أمالي»، «جواهر اللغة»، «ديوان الرسائل»، «ديوان شعر»، «الرائض في الفرائض»، «ربيع الأبرار وفصوص الأخبار» في الأدب والنوادر، «شرح كتاب سيبويه»، «صحيح العربية»، «شقائق النعمان في مناقب النعمان الإمام أبي حنيفة»، «الفائق في غريب الحديث»، «فصوص الأخبار»، «فصوص النصوص»، «القسطاس في العروض»، «المستقصى في الأمثال»، «معجم الحدود»، «المفصل في النحو»، «المقامات»، «نوابغ الكلم» وغير ذلك. (كشف الظنون ٦/ ٤٠٢ـ ٤٠٣).

لقيت الله تعالى وما في صحيفتي إلا حسنة واحدة وما أظنها تغني عني من الله شيئاً خذها هبةً لك، فينطلق بها فرحاً فيقول الله تعالى: ما حالك؟ فيقول له: ما كان من الرجل معه، فيدعى بالرجل الذي أعطاه الحسنة ويقول الله تعالى له: كرمي أوسع من كرمك خذ بيد أخيك وانطلق به إلى الجنة.

* * *

«**فائدة**»: من قال هذا الدعاء كل يوم عشر مرات كُفيَّ أهوال الموت، وهو هذا: أعددت لكل هول لا إلٰه إلا الله، ولكل هم وغم ما شاء الله، ولكل نعمة الحمد لله، ولكل رخاء الشكر لله، ولكل مصيبة إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولكل أعجوبة سبحان الله، ولكل ذنب أستغفر الله، ولكل ضيق حسبي الله، ولكل قضاء وقدر توكلت على الله، ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم. قال الشيخ الرحماني في حاشيته على ذات البراهين: وأحسن من هذا أن يقال: اللهم ارحمنا إذا عرق منا الجبين، وكثر الأنين، وأيس منا الطبيب، وبكى علينا الحبيب، اللهم ارحمنا إذا وارانا التراب، وفارقنا الأحباب والنعيم، وانقطع عنا النسيم، اللهم ارحمنا إذا نسي اسمنا، واندرس رسمنا وقبرنا، وانطوى ذكرنا فلم يذكرنا ذاكر، ولم يزرنا زائر، اللهم ارحمنا يوم تبلى السرائر، وتبدو الضمائر، وتنشر الدواوين، وتوضع الموازين. ثم قال: «وأنت تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنبي» العلانية الظهور والسر ما يكتم وهو خلاف الإعلان والنفس لغة وجود الشيء أو حقيقته وسيأتي لها مزيد بيان، أي تعلم ظاهري وباطني وجميع ذاتي بما احتويت عليه، والعذر طلب عدم اللوم بما يبديه المعتذر في طرد اللوم عنه فهو طالب من الله قبول عذره كي يسلم من الملام والعقاب وقبول العذر من شيم الكرام والله أكرم الأكرمين، وقد أمر النبي ﷺ أمته بقبول عذر من أتى معتذراً، ففي حديث الترمذي: «من أتى معتذراً من ذنب فليقبل اعتذاره محقاً كان أو مبطلاً فإن لم يفعل لم يرد الحوض»[(١)] . . وأنشد بعضهم:

إذا اعتذر الصديق إليك يوماً	تجاوز عن مساويه الكثيره
فإن الشافعي روى حديثاً	بإسناد صحيح عن المغيره

---

(١) الحديث لم أجده بهذا اللفظ، وروي الحديث بلفظ: «من اعتذر إلى أخيه بمعذرة فلم يقبلها . . .» أخرجه ابن ماجه في الأدب باب ٢٣.

عن المختار أن اللّه يمحو بعذر واحد ألفي كبيره

وقوله: فاغفر لي ذنبي، أي أطلب منك غفران الذنوب التي ارتكبتها، ومن غفرت ذنوبه فقد نجا وحصل على الهناء ولذا كان الشيخ يوصي المريدين بأن لا يطلبوا من الله إلاَّ غفران الذنوب كما في كتاب فتوح الغيب قال فيه: لا تطلبون من الله عز وجل سوى المغفرة للذنوب السالفة والعصمة منها في الأيام الآتية والتوفيق لحسن الطاعة وامتثال الأوامر وانتهاء عن النواهي والرضاء بجري القضاء والصبر على شدائد البلاء والشكر على جزيل النعماء والعطاء، ثم الموافاة بخاتمة الخير. هذا وأن رسول الله ﷺ الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر انتقل وهو يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلا» رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها فكيف يغيّره من سائر الخلق فلا يكون له رضا عن نفسه وغفلة عن طلب المغفرة، ومن شأن العارفين الالتفات إلى منّة الله عليهم وتقصيرهم، وبذلك يغيب العارف فلا يكون له المجال الرحب إلاَّ في الاستغفار إذ هو دأب العارفين بل مرقى خيرة الخلق من الأنبياء والمرسلين كما أخبر الله عن أبينا آدم عليه السلام بقوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٣]، وعن نوح عليه السلام بقوله: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: الآية ٤٧] وعن إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [نوح: الآية ٢٨]، وعن داود عليه السلام بقوله: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ [ص: الآية ٢٤]، وعن سليمان عليه السلام بقوله: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: الآية ٣٠]، وعن موسى عليه السلام بقوله: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ [الأعراف: الآية ١٥١]، وأما نبينا عليه الصلاة والسلام فقد وردت الأخبار أنه كان متواصل الأحزان دائم الفكرة والصلاة حتى توَّرمت قدماه، ومع ذلك كان يعد له في المجلس الواحد أكثر من مائة مرة: رب اغفر لي وتب علي، فما بالك بالصديقين والأولياء والصالحين ومن دونهم غفر الله ذنوبنا بمنّة وكرّمه.

ثم قال: «وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي» أي مَسؤُولي والذي يفهم من كلامه أولاً وآخراً، أنه طالب للمغفرة لتكرر ذلك منه وفي كلامه إجمال بعد تفصيل، وتفصيل بعد إجمال وكل ذلك دل على تعظيم الربوبية وتحقيق العبودية وهو من باب إعظام المسألة لقوله ﷺ: «إذا سألتم الله فأعظموا المسألة فإن الله لا يتعاظمه شيء، فقالوا: إذاً نكثروا يا رسول الله قال الله أكثر»[1] بالثاء المثلثة وبالباء

---

(١) أخرجه بنحوه مسلم في الذكر حديث ٨، وأحمد في المسند ٢/ ٤٥٨.

الموحدة. ثم قال رضي الله عنه: «إلٰهي آه آه من كثرة الذنوب والعصيان» كلمة آه بالمد وكسر الهاء لالتقاء الساكنين كلمة تقال عند التوجع، وقد تقال عند الإشفاق وكلا المعنيين صالح هنا، فعلى الأول هو متوجع من مجرد المخالفة التي أوجبت له ارتكاب الإثم، وعلى الثاني هو مشفق على نفسه من ذلك والذنوب جمع ذنب وهو الإثم، وأما العصيان فهو المخالفة لما أمر به ونهى عنه والمخالفة في نفسها وبصورتها تمنع الإقبال على الحق، فكيف لا يتوجع العاصي ولا يشفق على نفسه ويحزن لذلك لا سيما أهل الخير والصلاح فهو أولى بذلك وأجدر. هذا وإن الذنوب تكفرها التوبة الصادقة ولو بمجرد النية قبل الفعل لما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كانت قريتان صالحة وظالمة فخرج رجل من الظالمة يريد الصالحة فأتاه الموت حيث شاء الله تعالى فاختصم فيه الملك والشيطان فقال الشيطان: والله ما عصاني قط، وقال الملك: إنه خرج يريد التوبة فقضى الله بينهما أن ينظر إلى أيهما أقرب فوجداه أقرب إلى القرية الصالحة. ومصداق هذا حديث: «إنما الأعمال بالنيّات وإنما لكل امرئٍ ما نوى»[1].

«واعلم» أن الحزن من الذنوب مقام الفضلاء، قالت رابعة العدوية رضي الله عنها: الحزن والتوجع الصادق مقام من مقامات السالكين يبعث على الانكماش في الأعمال والنهوض إلى الطاعة على كل حال. وجاء في الخبر: «إن الله يحب كل قلب حزين»[2]، ومما نقله المواق في سنن المهتدين[3] أن العابدة السيدة بريرة كانت تكثر القراءة بالمصحف وكلما مرت على آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها: انطلقوا بنا نعزلها عن البكاء،

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الوحي باب ١، والإيمان باب ٤١، والنكاح باب ٥، والطلاق باب ١١، والأيمان باب ٢٣، والحيل باب ١، والعتق باب ٦، ومسلم في الإمارة حديث ١٥٥، وأبو داود في الطلاق باب ١١، والترمذي في فضائل الجهاد باب ١٦، والنسائي في الطهارة باب ٥٩، والطلاق باب ٢٤، والأيمان باب ١٩، وابن ماجه في الزهد باب ٢٦، وأحمد في المسند ١/ ٢٥ـ ٤٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٠٩، وابن حجر في المطالب العالية ٣٢٢٩، والسيوطي في الدر المنثور ٥/ ١٣٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٩٠، والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ٢٨٧.

(٣) المواق: لعله عبد الله بن مواق المغربي المتوفى سنة ٨٩٧هـ، صنف: «بغية النقاد» في أصول الحديث. (كشف الظنون ٥/ ٤٧٠). وكتاب «سنن المهتدين في مقامات الدين» لأبي عبد الله محمد بن يوسف العبدري، كان حياً سنة ٧٣٣هـ. (كشف الظنون ٤/ ٢٩).

فدخلوا عليها وقالوا لها: كيف أصبحت؟ فقالت: أصبحت بأرض غربة مقيمين أضيافاً ننتظر متى نُدعى فنجيب، فقالوا لها: إلى كم هذا البكاء؟ أما رأيت عينيك قذ ذهبتا؟ فقالت: إن يكن لعيني عند الله خير ما يضرهما ما ذهب منهما في دار الدنيا، وإن يكن لهما عند الله شر فلا يردهما بكاء أطول من هذا، فقالوا: قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه. وحكايات الصالحين في مثل هذا كثيرة.

«واعلم» أن من الذنوب ذنباً عقوبته والعياذ بالله سوء الخاتمة وهو دعوى الولاية والصلاح، قال حجة الإسلام الغزالي: دعوى الولاية والكرامة بالافتراء عقوبتها سوء الخاتمة، لأن مما يعظم عند العامة دعوى الوصول مع الله حتى ينتهي قوم إلى دعوى المشافهة بالخطاب تشبيهاً بأبي يزيد[١] والحلاج[٢] وهذا يعظم ضررَهُ في العوام، ومهما أنكر عليهم لم يعجزوا أن يقولوا هذا إنكار ناشيء عن

(١) أبو يزيد: هو طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي بن سروشان، أبو يزيد البسطامي، الزاهد المشهور، توفي سنة ٢٦٤هـ، له من التصانيف: «معارج التحقيق» في التصوف، ورسائل أُخر. (كشف الظنون ٥/ ٤٣٤، وانظر ترجمته أيضاً في: حلية الأولياء ١٠/ ١٣٣، طبقات الصوفية ص ٦٧، الطبقات الكبرى ١/ ٨٩، شذرات الذهب ٢/ ١٤٣، البداية والنهاية ١١/ ٣٥، الرسالة القشيرية ص ١٧، هدية العارفين ١/ ٤٣٤، الكواكب الدرية ١/ ٤٤٢، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٥، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٣٣).

(٢) الحلاج: هو أبو المغيث الحسين بن منصور بن محمد الحلاج، الفارسي، البغدادي، الصوفي، ولد سنة ٢٤٤هـ، فيلسوف زاهد صوفي ومتكلم، تكلم الناس في معتقده ووشوا به حتى قتل صلباً ببغداد سنة ٣٠٩هـ، له عدة مصنفات، منها: «بستان المعرفة»، «تفسير سورة الإخلاص»، «كتاب الأبد»، «كتاب الأحرف المحدثة والأزلية والأسماء الكلية»، «كتاب الأمثال»، «كتاب التوحيد»، «كتاب الجيم الأصغر»، «كتاب الجيم الأكبر»، «كتاب حمل النور والحياة والأرواح»، «كتاب خزائن الخيرات» ويعرف أيضاً بالألف المألوف، «كتاب خلق الإنسان والبيان»، «كتاب خلق خلائق القرآن والاعتبار»، «كتاب الدرة إلى نصر القشوري»، «كتاب الذاريات ذرواً»، «كتاب سر العالم والمبعوث»، «كتاب السياسة والخلفاء والأمراء»، «كتاب شخص الظلمات»، «كتاب الصدق والإخلاص»، «كتاب الصلاة والصلوات»، «كتاب الصيهون»، «كتاب طاسين الأزل والجوهر الأكبر والشجرة الزيتونة النورية»، «كتاب الظل الممدود والماء المسكوب والحياة الباقية»، «كتاب العدل والتوحيد»، «كتاب علم البقاء والفناء»، «كتاب الغريب والفصيح»، «كتاب في أن الذي أنزل عليك القرآن لرادك إلى معاد»، «كتاب قران القرآن والفرقان»، «كتاب القيامة والقيامات»، «كتاب الكبر والعظمة»، «كتاب الكبريت الأحمر»، «كتاب كيد الشيطان وأمر السلطان»، «كتاب الكيفية بالمجاز»، «كتاب الكيفية والحقيقة»، «كتاب كيف كان وكيف يكون»، «كتاب لا كيف»، «كتاب المتجليات»، «كتاب مدح النبي ﷺ والمثل الأعلى»، «كتاب النجم إذا هوى»، «كتاب =

العلم والجدل وهذا الأمر لا يقوم إلا من البَاطن بمكاشفة وهذا مما استطال في بعض البلاد شرره وعظم ضرره ومن نطق بشيء منه فقتله في دين الله أفضل، وعلى الناس أن يشتغلوا بعبادتهم وتحصيل معاشهم ويتركوا العلم للعلماء والصلاح لأهله بالمعنى، وقد كثر في هذا الزمان دعوى الصلاح والكرامة طلباً لنهب الأرزاق وحظوظ النفس تاب الله علينا وعليهم بمنّه وكرمه.

ثم قال: «آه من كثرة الظلم والجفاء، آه من نفسي المطرودة، آه من نفسي المطبوعة على الهوى آه من الهوى آه من الهوى» الكثرة العدد الوافر والظلم وضع الشيء في غير موضعه المأمور به شرعاً وهو من شأن الحوادث، والجفاء يريد به الإعراض عن الحق والصواب والطرد البعد، والنفس معناها لغة وجود الشيء أو حقيقته يقال نفس الجوهر ونفس العلم أي حقيقته كل منهما، ويقال على الدم مثل قول الفقهاء ماله نفس سائلة، وعند الصوفية هو ما كان معلولاً من أوصاف العبد ومذموماً من أفعاله وأخلاقه وكثيراً ما يعبرون بها عن مبدأ الصفات المذمومة، ولذلك كانت أعظم عدو للإنسان لصعوبة الخلاص من شرِّها، وتأوَه الشيخ رضي الله عنه من أمرها لصعوبة الخلاص من شرها، وقوله: المطبوعة أي المجبولة على الميل إلى شهواتها فهو مشفق على نفسه من كثرة ظلمه وبعده على مطالبه وعدم تحصيله لما هو طالب وحكم على نفسه بسبب ذلك بالطرد، إذ من المقرر عند أهل الطريقة رضي الله عنهم أن الولي إذا لم يبلغ المقامات العلية بلغها غيره من أهل الحقيقة يحسب نفسه مطرودة بسبب من الأسباب، فيجتهد في العبادة والدعاء وإنما كرر التوجع من الهوى إشارة إلى أنه كلما جاهد النفس بالمخالفة يجدها غالبة له متقوية عليه، وهذا يرشد إلى أنه رضي الله عنه متيقظ إلى أحوال نفسه، فإن أعظم الناس جهلاً من جهل نفسه وأهمل أحواله حتى دخل رمسه، لأن الجهل بها يستلزم الرضا عنها ومواصل كل معصية ومعرفتها تستلزم عدم الرضا عنها وهو أصل كل طاعة كما قال الشيخ ابن عباد: لا شيء واجب على العبد من المعرفة بنفسه ويلزم من ذلك عدم الرضا عنها وبقدر تحقق العبد في معرفة نفسه يصلح

= نور النور»، «كتاب الوجود الأزل»، «كتاب الوجود الثاني»، «كتاب هوهو»، «كتاب اليقين». (وانظر ترجمته في: كشف الظنون ٥/ ٣٠٤ـ ٣٠٥، الفهرست لابن النديم ١/ ١٩٠، طبقات الصوفية ٣٠٧، روضات الجنان ٢٢٦، البداية والنهاية ١١/ ١٣٢، لسان الميزان ٢/ ٣١٤، وفيات الأعيان ١/ ١٤٦، ميزان الاعتدال ١/ ٢٥٦، تاريخ بغداد ٨/ ١١٢، مرآة الجنان ٢/ ٢٥٣).

حاله ويعلو مقامه، ومما يعرِّفك قبح إهمال أحوال النفس قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝١٩﴾ [الحشر: الآية ١٩]. ولما عظم عليه أمر النفس والهوى استغاث ربه بقوله: «أغثني يا مغيث ثلاثاً، أغثني عند تغير حالي» أغثني فعل طلب، والنون نون الوقاية، والياء مفعول به، ومغيث اسم فاعل من أغاث أطلقه، إذ لا مغيث في الحقيقة إلا الله، والإغاثة العون والنصرة على المشاقة، ومناجاة الله... وطلبه عند الشدائد من الأمور المحبوبة عنده عز وجل.

قال في نوادر الأصول: إن رسول الله ﷺ قال: «ما صوت أحب إلى الله تعالى من صوت عبد لهفان» قالوا: يا رسول الله ما اللهفان؟ قال: «عبد أصاب ذنباً فكلما ذكر ذنبه امتلأ قلبه خوفاً من الله، فقال يا رب»[1]. وقوله: أغثني عند تغير حالي يحتمل ذلك أمرين، أحدهما: تغيره باتباع النفس والهوى، وثانيهما: تغير الحال في الدنيا والآخرة لأن الدنيا تحول بأهلها إلى الآخرة وحالات الآخرة بعد الموت عديدة وأول منازلها القبر، والناس في الآخرة متى لم يستقر لهم قرار يكون حالهم متغيراً إلى انفصال الموقف، إما إلى جنة وإما إلى نار، أعاذنا الله منها بمنّه وكرمه.

ثم قال رضي الله عنه: «اللهم أنا عبدك المذنب المخطىء أجرني من النار يا مجير ثلاثاً» قد تقدم الكلام على لفظ اللهم العبد مأخوذ من العبودية وهي عند القوم لها أربع خصال: الوفاء بالعهد، والحفظ للحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود، فمتى حصلت هذه الخصال لإنسان كان عبداً لمولاه، قائماً بحق العبودية. وقوله: المذنب، أي الآثم والخطأ ضد الصواب، والإجارة طلب الأمن من المستجار به، والمعنى أنه يطلب من الله الأمن من نار جهنم لأنه عبده ومملوكه وقد أخطأ وأذنب، ومن المعلوم الذي صرح به القرآن أن الله تعالى رتّب العقاب على المذنبين الخاطئين، وإن كان سبحانه وتعالى يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء لا حرج عليه في ذلك وأعدّ لعقاب من شاء عقابه نار جهنم، وقوله: ثلاثاً، أي تقرأ ثلاث مرات كما هي سنّة الدعاء، وكذلك قوله فيما تقدم: أغثني يا مغيث، فإنها تقرأ ثلاثاً.

---

(١) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

(تنبيه) قال في الإبريز نقلاً عن الشيخ عبد العزيز رضي الله عنه: أن نار جهنم لا ترى مشتعلة نيرة كنار الدنيا فإن جهنم ظلام محض ولو خرج منها قدر التمرة وفرق جمرة في الهواء حتى يصير تفرقه مثل الدخان، فإنه يظهر فيه الضياء والاشتغال وبجهنم قصور مشيّدة أعدّها الله لمن يستحقها من الظالمين. وقد فصل بعض العلماء بين من يدخل النار وبين من يدخل الجنة حيث قال: الناس على ضربين مؤمن وكافر فالكافر بإجماع في النار، والمؤمن على ضربين تائب ومصرّ، فالتائب في الجنة بإجماع والمصرّ على ضربين مصرّ على الصغائر ومصرّ على الكبائر، فالمصرّ على الصغائر دون الكبائر في الجنة بإجماع، والمصرّ على الكبائر على قسمين: مستحل لها فهو في النار بإجماع، والمصرّ عليها القائل بتحريمها في مشيئة الله سبحانه وأصغر الذنوب النظر في المحرم ولا أصغر منه، وأكبر الذنوب الكفر وما بينهما مختلف فيه وذلك تفصيله.

ثم قال رضي الله عنه: «اللهم إن ترحمني فأنت أهل وإن تعذبني فأنا أهل» أي يا الله إن ترحمني وقبلت معذرتي فأنت أهل للرحمة لأنك أرحم الراحمين قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: الآية ٥٤]، وقوله: وإن تعذبني الخ أي فأنا أهل للعذاب ومستحقه لما جبل عليه العبد من النقص الذاتي المناسب لغاية الإقصار والإبعاد عن جانب الحق وحضرة القدس ومحل القرب لولا عناية الله تعالى وتدارك رحمته، ولكنه جل وعلا رضي من عبده بما هو غني عنه من عباده، ويستحيل أن يصل نفع العبادة إليه تعالى لأنه الغني الحميد فكيف بالعبد إذا عصى فهو أجدر بالمقت من أجل ذلك على أن الكل ملكه ولا حرج عليه في تصرفه في ملكه يعذب من يشاء ويرحم من يشاء، ولأجل ذلك قال سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المَائدة: الآية ١١٨]. ثم قال: «يا أهْلَ التقوى ويا أهل المغفرة ثلاثاً ويا أرحم الراحمين ويا خير الناصرين ويا خير الغافرين» أي يا من هو حقيق بأن يُتقى عقابه ويؤمن به ويطاع وحقيق بأن يغفر لمن آمن به وأطاعه، وقد وصف نفسه بذلك في كتابه العزيز قال: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدَّثِّر: الآية ٥٦] وقوله ثلاثاً أي تقرأ ثلاثاً لأنه سنّة الدعاء وأرجى في القبول وتقدم الكلام على أرحم الراحمين، وقوله: ويا خير الناصرين أي أكرمهم وأفضلهم والناصر هو المعين على الشدائد والأعداء، ولا معين حقيقة إلاّ الله لأنه أفضل المعينين وأكرمهم

والملهم لإعانة الناس بعضهم بعضاً، وهو أفضل الغافرين وأكرمهم لأن غفران الله ستر للذنوب وترك للعقاب وغفران غير الله صفح وعفو.

ثم قال: «حسبي الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير» أي كافيني الله وحده إذ هو خير من يتوكل عليه ففيه الاعتصام بالله تعالى والالتجاء إليه والاكتفاء به والتوكل عليه في قمع ما يعجز قائلها عن قمعه من النفس والشيطان والهوى والدنيا فإنها كلاب الله مسلطة على الإنسان فمن رجع إلى ربه والتجأ إليه صرفها عنه وكفاه مؤنتها. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: الآيتان ١٧٣، ١٧٤] الآية، وقوله: ونعم الوكيل أي الموكل إليه جل جلاله قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: الآية ٣] أي كافيه خصوصاً أولياءه ولذا قال أبو العباس المرسي[1] رحمه الله: مثل الولي مع الله كمثل ولد اللبوة مع أُمه أتراها تاركته لمن يريد أن يغتاله، وقد ورد في الحديث ما يدل على فضل هاته الكلمات التي ذكرها الشيخ رحمه الله والأمر بذكرها ففي مسند الفردوس من حديث شداد بن أوس موقوفاً (حسبنا الله ونعم الوكيل أمان كل خائف)، وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كيف أنعم وصاحب القرن مذ التقم القرن واستمع الأذن متى يؤمر بالنفخ» فكان ذلك ثقل على أصحابه ﷺ فقال: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وعلى الله توكلنا»[2]. وقوله: نعم المولى أي الناصر الذي لا يضيع من تولاه، وقوله ونعم النصير أي الناصر، وصيغة فعيل للمبالغة أي الذي لا يغلب من ينصره، وتعقيب الطلب والدعاء بقوله: حسبي الله الخ يدل على نهاية التذلل والخضوع فهو بمنزلة الطفل لا تتم مصلحته إلاَّ بتدبير قيمه. ثم قال: «حسبي الله وحده» هذا تأكيد لجملة حسبي الله وتفسير لها.

«واعلم» بأن الحسبلة أول ما تخلّق بها الصالحون وتحققوا بمقتضاها وللناس في استعمالها كيفيات على حسب ما استجيب لهم في عدد ذكرها وأول من نطق بالحسبلة سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام حين ألقي

---

(١) أبو العباس المرسي: تقدمت ترجمته.

(٢) أخرجه الترمذي في القيامة باب ٨، وتفسير سورة ٣٩، باب ٧، وأحمد في المسند ١/ ٣٢٦، ٣/ ٧، ٤/ ٣٧٤.

في النار كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقال معروف الكرخي رحمه الله: من دعا الله بالحسبلة وجد الله عنده يقولها: الإنسان لدينه ودنياه ولما أهمه ولمن يبغي عليه وعند الموت وعند المسألة في القبر وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصراط. قال المواق في سنن المهتدين: وأنا أقول: ولا يزال يحسبل حتى يدخل الجنة إن شاء الله. ثم قال: «برحمتك يا أرحم الراحمين» أي برحمتك ألتمس إجابتي في مسألتي ونصرتي والمقصد المهم فيما يظهر إنها المغفرة وغيرها نعمة زائدة ووسيلة وما قدمه الشيخ من الاعتراف بإساءته وعصيانه هو فعل من أفعال الأولياء والصالحين، لأن من شأن أهل الخير والفضل أن يقدموا أمام سؤالهم ومطلبهم الاعتراف بإساءتهم، وأنهم أهل لكل عيب ونقيصة وإن لم يصدر منهم شيء من المخالفة وإنما هو اعتراف بما تقتضيه الطبيعة البشرية وأن الله بضد ذلك، فقد جاء في الحديث: «من عرف نفسه عرف ربه»[1]، هذا وإن يوسف الصديق على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال كما حكى الله عنه في التنزيل: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يُوسُف: الآية ٥٣].

«فائدة» قال في سنن المهتدين نقلاً عن عز الدين بن عبد السلام أنه قال: عند ذكر الأثر المذكور (من عرف نفسه عرف ربه) ظهر لي من سر هذا الحديث ما يجب كشفه ويستحسن وصفه وهو أن الله سبحانه وضع هذا الروح الروحانية في هذه الجثة الجسمانية لطيفةً لألوهيته، مودعة في كثيفة ناسويته، دالة على وحدانيته وربانيته، ووجه الاستدلال من عشرة أوجه:

الأول: أن هذا الهيكل الإنساني لما كان مفتقراً إلى مدبر وإلى محرك، وهذه الروح تدّبره وتحرّكه علمنا أن هذا العالم لا بد له من مدبر ومحرك.

الثاني: لما كان مدبر الجسد واحد وهو الروح علمنا أن مدبر هذا العالم واحد لا شريك له في تدبيره ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبيَاء: الآية ٢٢] ﴿لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ﴾ [الإسرَاء: الآية ٤٢] الآية، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ﴾ [المؤمنون: الآية ٩١] الآية.

---

(١) أخرجه السيوطي في الحاوي للفتاوى ٢/ ٤١٢، والعجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٣٦٢، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة ٣٥١، والسيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ١٥٢.

الثالث: لما كان هذا الجسد لا يتحرك إلاَّ بإرادة الروح وبتحريكها له علمنا أن الله مريد لما هو كائن في كونه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه.

الرابع: لما كان لا يتحرك في الجسد شيء إلا بعلم الروح وشعوره به لا يخفى عن الروح من حركات الجسد وسكناته شيء علمنا أن الله سبحانه لا يعزب عن علمه سبحانه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

الخامس: لما كان الجسد لم يكن فيه شيء أقرب من الروح علمنا أنه قريب إلى كل شيء.

السادس: لما كان الروح موجوداً قبل وجود الجسد ويكون موجوداً بعدها علمنا أنه سبحانه موجود قبل كون خلقه ويكون موجوداً بعد فناء خلقه فما زال ولا يزال وتقدس عن الزوال.

السابع: لما كان الروح في الجسد لا يعرف له كيفية علمنا أنه مقدس عن الكيفية.

الثامن: لما كان الروح في الجسد لا يعلم له أينية علمنا أنه مقدس عن الأينية والكيفية، فلا يوصف بأين ولا كيف بل الروح موجود في سائر الجسد ما خلا منها موضع من الجسد، وكذلك الحق سبحانه موجود في كل مكان ما خلا منه مكان وتنزّه عن المكان والزمان.

التاسع: لما كان الروح في الجسد لا يخفى ولا يحس علمنا أن الله سبحانه منزّه عن ذلك.

العاشر: لما كان الروح في الجسد لا يدرك بالبصر ولا يمثل بالصور علمنا أن الله ليس كمثله شيء.

وفي هذا الحديث أعني قوله: من عرف نفسه الخ، تفسير مشهور وهو أن تعرف أن صفات نفسك على ضد صفات ربك من عرف نفسه بالعبودية عرف ربه بالربوبية، ولذا قدم أهل الفضل ذكر صفاتهم وما تقتضيه الطبيعة البشرية قبل سواهم تحقيقاً بمقام العبودية وإعطاء لحق الربوبية، ولما كان من مواطن الصلاة على النبي ﷺ أوائل الدعاء وأواخره، لأن المظنون الراجح أن الصلاة عليه ﷺ مقبولة والله تعالى أكرم من أن يقبل الطرفين ويرفض الوسط. قال رضي الله عنه خاتماً لدعائه: «وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم» هذه

الكيفية في الصلاة طريقة المحدثين والوارد في تعليم الصلاة اللهم صل كما تقدم في أول الشرح وتقدم أن المقصود من التعليم إحالة صلاتنا على صلاة الله عليه ولا خصوصية للفظ بعينه، وأن الباب في ذلك واسع عدى ما يفعله الناسخون من الاختصار في لفظ الصلاة ويشيرون له بقولهم: (صلعم)، فإنه منهي عنه وإن وجد كتاب فيه ذلك فإنه عيب في البيع إذا لم يَطَّلع عليه المشتري ويجب به الرد وبه العمل والفتوى بتونس، قال البسيل في تفسيره: كان في زمن الإمام ابن عرفة بيع صحيح البخاري بالكتبيين ووجد فيه هذا الاختصار ولم يطلع عليه المشتري فأفتى الشيخ ابن عرفة برده، ومصدر صلى صلاة وهذا هو المشهور، وأما تصلية فهو مهجور لما فيه من الإيهام ولا منع فيه ولا فكر إذا قصد به الدعاء، وأما إذا قصد به الإحراق فهو كفر خلافاً لمن منعه رأساً وهو محجوج بقول من يوثق بعربيته.

تركت المدام وعرف الغذا وأدنيت تصلية وابتهالا

«واعلم» بأن الصلاة على النبي ﷺ تنور القلوب فقد جاء في الحديث: «الصلاة عليّ نور في القلب ونور على الصراط»[1] ولهاته الخاصية أمر المشائخ بالإكثار منها مع غيرها من الأذكار، قال الشيخ زروق في القواعد: نورانية الأذكار محرقة لأوصاف العبد مثيرةٌ لحرارة طبعه والصلاة على النبي ﷺ تنور النفوس لأنها كالماء تذهب وجه الطبائع وقد أشار الصديق إلى هذا حيث قال: «الصلاة على محمد ﷺ أمحق للذنوب من الماء البارد للنار»، والقلب إذا تنوّر صار له حكم أهل العناية يعني يكتسب بالصلاة القرب من سيدنا محمد ﷺ، ويكون منسوباً له ومحسوباً عليه وداخلاً في جملة عبيده وخدامه، ومن هذا يظهر وجه ما ذكره الشيخ رضي الله عنه من أن الصلاة على النبي ﷺ تقوم مقام الشيخ في الهداية وتصفية الباطن، انظر من ابن زكري[2] على النصيحة الكافية[3]، وقد تقدم شرح ألفاظ الصلاة في أول الشرح إلى قوله وصحبه فهو جمع صاحب وهو من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمناً ومات على ذلك وحكم الصلاة على الصحابة رضي الله

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٢١٤٩.

(٢) ابن زكري: لعله أحمد بن محمد بن زكري، فقيه أصولي بياني من أهل تلمسان، تفقه على يدي العلامة زاغو، من مصنفاته: «مسائل القضاء والفتيا».

(٣) النصيحة الكافية: هو كتاب «النصيحة الكافية لمن خصه الله تعالى بالعافية» للشيخ شهاب الدين أحمد الشهير بزروق المغربي الصوفي المتوفى سنة ٨٩٩هـ. (كشف الظنون ٢/ ١٩٥٨).

عنهم عندنا الاستحباب، وإن لم يرد نص قاطع بالصلاة عليهم بالخصوص فقد ورد عموماً في قوله ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»[(١)]، ولا ريب أنهم رضي الله عنهم أعانوا على إقامة الدين وبذلوا جهدهم في حياة النبي ﷺ ثم بعد انتقاله فلا مرية أن نشكر فضلهم ونرضى عنهم ونستغفر لهم ونطلب لهم زيادة الرحمة رضي الله عنهم أجمعين.

وهنا وقف القلم وجنح القول للسلم والمأمول من محاسن أخلاق الإخوان إصلاح ما وقع فيه من هفوات اللسان. فإن ذمّه شرذمة الأغبياء فيحمده فحول الأذكياء.

إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضباناً عليَّ لآمها

* * *

والله أسأل بدمع منهمر، وقلب منكسر، أن يعصمنا من الخطأ والخلل، والزيغ والزلل، إنه ولي ذلك وهو حسبي ونعم الوكيل، توفانا الله مسلمين وأماتنا على حب النبي ﷺ وأصحابه والتابعين وحشرنا معهم في أعلا عليين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. نجز في يوم السبت أول شهر حجة الحرام سنة ١٢٧٢ اثنتين وسبعين ومائتين وألف من هجرته ﷺ.



(١) روي الحديث بطرق وأسانيد متعددة، أخرجه الترمذي في البر باب ٣٥، وأحمد في المسند ٢/٢٥٨، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٨٨، ٤٦١، ٤٩٢، ٣/٣٢، ٧٤، ٤/٢٧٨، ٣٧٥، ٥/٢١١، ٢١٢.

فهرس المحتويات

فهرس كتاب
غبطة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر

فهرس كتاب
شرح الصلاة الصغرى

فهرس شرح حزب الوسيلة